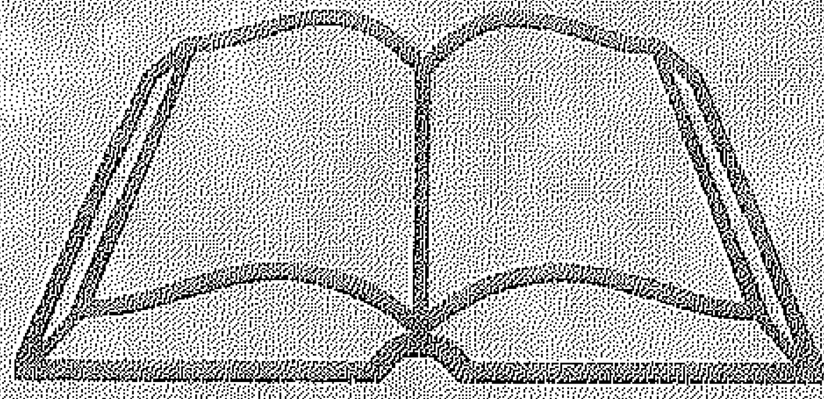
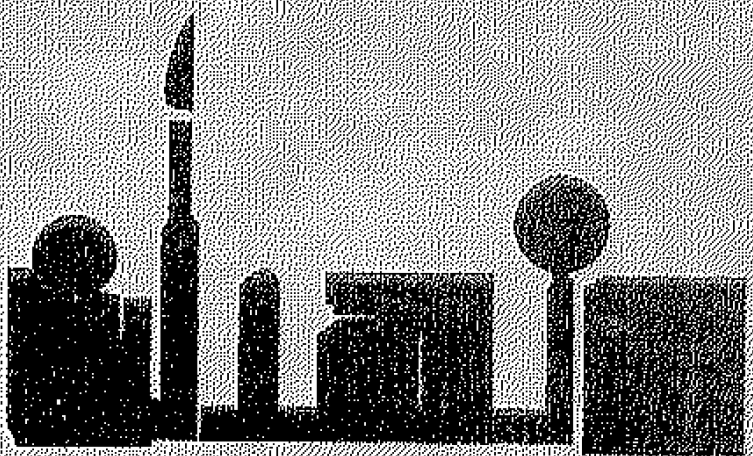
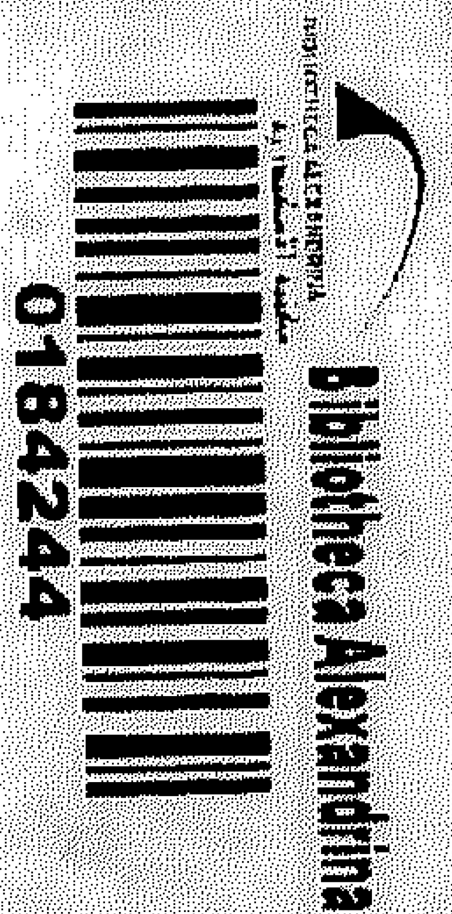
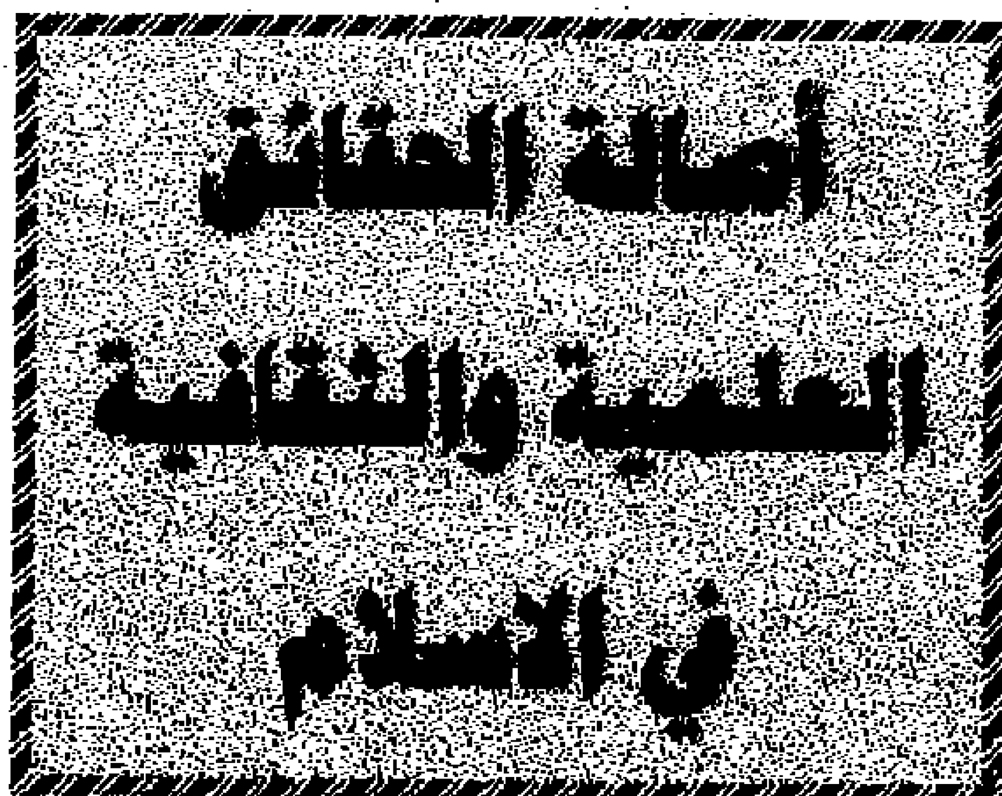


أصالة الحقائق العلمية والثقافية في الإسلام

الاستاذ الدكتور
غازي عناية






أصالة الحقائق
العلمية والثقافية
في الاسلام

أصالة الحقائق العلمية والثقافية في الإســـــلام

الأستــاذ الدكتــور
غــازي عنــايــة

٢٠٠٠

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٩/٧/١١٨٥)

رقـــم التصنيـــف : ٢١١

المؤلف ومن هو في حكمه : غازي عنايـــة

عنـــوان الكتــــاب :أصالة الحقائق العلمية والثقافية في الاســـلام

الموضـــوع الرئيســـي : ١- الديانـــات

٢- الثقافة الاسلامية

بيـــانـــات النشـــر : عمان / دار زهران

* تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

قــال تعالى :

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾

صدق الله العظيم

سورة فصلت آية ٥٣ .

إهـــــــداء

إلى مدرستي الأولى ، إلى مربيتي الأم التي أرضعتني من لبن علومها ، وأطعمتني من غذاء ثقافتها ، وأوصلتني إلى أولى درجات العلم ، إلى المدرسة السعدية الثانوية بقلقيليه .

مقدمة الكتاب:

اللهم لك الحمد على ما أنعمت علينا من نعمك العظيمة ، وآلائك الجسيمة حيث أرسلت إلينا افضل رسلك، وأنزلت علينا اشرف كتبك ، وشرعت لنا افضل شرائع دينك. اللهم ، صلّ على محمد وسلم عليه تسليما كثيراً.

لاشك أن معالم تقدم الأمم ، والشعوب تتحدد تبعا لمؤشرات علومها، وإنجازاتها المدنية ، ومفاهيمها الثقافية ، وبالعلم ، والثقافة أدركت الأمة الإسلامية الغرض من وجودها ، وسبب بقائها ، وتقدمها حيث استطاعت هذه الأمة ، وعبر عديد من القرون أن تغمر شعوب العالم بنور ثقافتها ، وأضواء علومها.

لقد اختارت الأمة الإسلامية منهجها السلوكي الذي يعينها دوما على تكوين شخصيتها من خلال تحديد نوعية العلوم ، والثقافات النافعة لشعوبها، وفي نفس الوقت تدرك هذه الشعوب أن طلب العلوم الشرعية، والحياتية ، والمدنية، والتكنولوجية يعتبر من افضل الفروض التي أوجبها الإسلام على المسلمين . وفي هذا المجال قال تعالى : "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" الزمر آية ٩ .

وقال "صلى الله عليه وسلم" : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" رواه ابن ماجه.

هذا ومنذ أن أدركت الأمة الإسلامية حقيقة الاستناد إلى علومها ، وثقافتها للمحافظة على بقائها تضافرت عناصر الشرك اليهودية، والصليبية لإبعاد المسلمين عن علومهم ، وثقافاتهم ؛ ومن اجل تمرير دعاويهم الباطلة استخدمت عناصر الشرك تلك جميع أسباب الهدم الفكري ، والغزو الثقافي محاولة شحد أذهان المسلمين بها ، وإقناعهم أن الإسلام دين جهالة ، وبلاده ، وخمول ، وأن لا خلاص للمسلمين إذا أرادوا أن ينهضوا إلا إتباع الكفار في كل شيء ، وخاصة علومهم ، وثقافتهم.

ولتحقيق مآربهم الكفرية فقد استطاع دعاة الكفر في المجتمعات الرأسمالية والشيوعية أن يجندوا نفرا من دعاة التغريب محسوبين على الإسلام ، والمسلمين ، اخذوا يروجون لثقافات الكفر ، شعارهم في تحقيق ذلك يكمن في انه لا غضاضة أن يغترف المسلمون من ثقافات الغرب ، والشرك حتى ولو كانت مخالفة لعقائدهم ، ومبادئهم ، وثقافاتهم التوحيدية الإيمانية .

ولذلك نرى الكثير من مثقفي الأمة الإسلامية يتفانون في خدمة أسيادهم الكفار بحجة أن العلم، والثقافة للجميع . وهم يعلمون أولا يعلمون أن العلم شيء، والثقافة شيء آخر. فالعلم معرفة ، والثقافة معرفة هذا صحيح ، ولكن العلم يتعلق بالأمور المادية المخترعة ، والأشكال المادية المصنوعة، والتي تكتسب عن طريق التجربة في المعامل ، والملاحظة ، والاستقراء ، وهي لا علاقة لها بالفكر، والعقيدة، ولا علاقة لها بالتصورات العقدية عن الخالق، والمخلوق . من اجل ذلك لا مانع أن تكون عامة، وأن تستفيد منها جميع الأمم ، والشعوب كعلوم الرياضيات ، والكيمياء ، والفيزياء ، والطب، والهندسة، والتكنولوجيا، وغيرها. أما الثقافة فهي المعرفة المتعلقة بالأمور العقدية ، والفكرية ، والروحية ، والتي تكتسب عن طريق العادات ، والتقاليد ، والرواية ، والأخبار ، والتعود ، وهي تعكس التصورات العقدية عن الخالق ، والمخلوق. ومن اجل ذلك فالثقافة خاصة ، وليست عامة ، ولكل أمة ثقافتها التي تعكس معتقداتها ، وتنبع من مبادئها ؛ ومن اجل ذلك فالثقافة الإسلامية تختلف في تصوراتها العقدية، ومعالمها الأخلاقية عن ثقافات الكفر اليهودية ، والصليبية ، والرأسمالية ، والشيوعية . إن الثقافة الإسلامية ثقافة توحيدية إيمانية ، روحية ، دينية ، دنيوية يجب أن لا تخالف شواهدها ، وموضوعاتها عقيدة الإسلام . من اجل ذلك يجب أن تكون ثقافة العادات والتقاليد سواء في الأفراح، والأحزان من جنس عقيدة الإسلام . فلا يصلح منها إلا ما كان حلالا .

وكذلك ثقافة الأزياء ، واللباس ، والغناء ، والرقــص ، والموســيقى ، والفــن ، والرسم ، والتصوير ، والتمثيل ، والمسرح يجب أن يكون ضمن ما تسمح به ، وتجـــيزه عقيدة الإسلام .

ولكن الشيء الذي يحز في النفوس أن يتكاتف دعاة التغريب من المســلمين مــع أسيادهم المبشرين لزعزعة عقيدة المسلمين ، وهدم ثقافاتهم التوحيدية ؛ وذلـــك بمحاولــة إقناعهم أن ثقافة المسلمين واهية ، وعلومهم باهتـــه ، وعاداتـــهم، وتقــاليدهم متخلفــة لا يرتضيها عقل نير، وسليم. وأخذ دعاة التغريب يطرحون مثل هذه الأبـــاطيل مســتخدمين شعارات ، ودعاوي ، ما انـــزل الله بـــها مـــن ســلطان ، مســتعينين بمعطيــات خلــط المصطلحات، والمفاهيم كالخلط بين المدنية ، والحضارة ، والعلم، والثقافة كل ذلــك مــن اجل إقناع المسلمين بالتخلي عن دينهم، وهجر عقائدهم، وهدم مبادئهم ، والعــزوف عــن ثقافاتهم. وبالتالي لا ضير أن يقوم المسلمون بترقيع عقائدهم بعقـــائد غريبـــة ، ومفـــاهيم يهودية ، ومبادئ رأسمالية ، وشيوعية ، وثقافات كفرية ، شركية. لقد خلطوا بيـــن العلــم والثقافة، وجعلوهما شيئا واحدا ، وانه في المسار النهضوي للأمم فـــلا علـــوم إلا علـــوم الشرك ، ولا ثقافة إلا ثقافة المجتمعات الرأسمالية، والشيوعية. أما الثقافة الإسلامية فـــلا مكان لها اليوم بين ثقافات الكون ، وأما العلوم الشرعية الإسلامية فلا محل لها اليوم بيـــن علوم التكنولوجيا ، والفيزياء ، والرياضيات ، وفي عرفهم انه، وبمثل هذه العلوم تنـــهض الأمم ، وترقى.

وتأصيلا لعلوم ، وثقافة الإسلام ، وتبياناً لأصالة العلم ، والثقافـــة الإســـلامية ، وتبياناً لحقائق الإسلام المدهشة، والواردة في الكتاب، والسنة، والتي لا يزال العلم الحديث يؤكدها، ومن اجل دفع شبهات الكفار عن الإسلام ، وموقفه من العلم ، وتـــأصيلاً لثقافــة

الإسلام التوحيدية النقية الطاهرة ، وضعت هذه الدراسة المتواضعة وبعنـــوان : "أصالـــة الحقائق العلمية ، والثقافية في الإسلام ، وقد ضمنته الموضوعات التالية":

مقدمة الكتاب

العلم والثقافة مؤشران للتقدم الفكري ، والحضاري.

الفرق بين العلم ، والثقافة.

التعريف بالثقافة الإسلامية

خصائص الثقافة الإسلامية

مصادر الثقافة الإسلامية.

بعض الحقائق العلمية الواردة في الكتاب ، والسنة.

أرجو الله أن أكون قد وفقت في تبيان أصالة العلم ، والثقافة في الإسلام ، واســأل الله القبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الأستاذ الدكتور غازي عناية

جامعة جرش ١٩٩٩م

١٤٢٠هـ

العلم والثقافة مؤشران للتقدم الفكري ، والحضاري .

قال تعالى :"وقل رب زدني علماً" طه آية ١١٤

تتحدد مؤشرات التقدم الفكري ، والرقي الحضاري للأمم تبعاً لمفاهيمها الثقافيـــة، وتعاليمها العقدية ، وإنجازاتها العلمية ، وقيمها الأخلاقية ، ومناهجها السلوكية في الحياة ، والتي بها تستطيع الأمة الواحدة أن تؤكد وجودها ، وتثبت حضارتها ، وتكرس أصالتها.

إن العلم ، والثقافة ، والأخلاق تحفظ على الأمة كيانـــها ، وتــبرز شــخصيتها ، وتجعلها قادرة على تمييز مكانتها من بين الأمم ، وبها تتأصل موازين القيم الحضاريـــة، ومؤشرات التقدم أو التخلف، والأصالة أو التبعية .

إن العلم ، والثقافة ، والأخلاق مقياس حضاري فريد في نوعه ، ودقته ، وحكمــه . فبهذا المقياس تدرك الأمة غرض وجودها ، وبه يدرك الفرد حقيقة خلقـــة ، ومـــن ثـــم تستطيع الأمة ، وأفرادها أن يسخروا هذا المقياس لإثبات وجودهم ، وأصالتهم فـــي هـــذه الحياة ، وأن يحددوا بهذا المقياس علاقاتهم بالله خالقهم ، وعلاقاتهم بأنفسهم ، وبغيرهم من الأفراد داخل مجتمعاتهم ، وخارجها.

وبالنسبة للامة الإسلامية فان المنهج السلوكي الحيـــاتي للفـــرد المســـلم تحـــدده مؤشرات علومه ، ومظاهر ثقافاته المنبثقة عن عقيدته ، وأفكاره ، وتصوراته عن خالقة ، ومخلوقاته ، وأهمها : الإنسان، والكون ، والحياة. وبهذا المنهج السلوكي يســـتطيع الفـــرد المسلم أن يتذكر حقيقة وجوده في هذه الحياة، ومن ثم يعمل على تحقيقها وترجمتـــها فـــي ميدان الواقع الحياتي . ومن اجل ذلك يسبق التذكر الفعل ، ولهذا فقد ورد قولـــه تعـــالى : "وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين" الذاريات آية ٥٥ ، قبل قوله تعالى: "وما خلقت الجـــن

والإنس إلا ليعبدون" الذاريات آية ٥٦ . ومن اجل ذلك يستطيع الفرد المسلم، وبمنهجه السلوكي السليم هذا أن يحدد نوعيه العلوم ، والثقافات النافعة ، والصالحة التي تعينه على تكوين شخصيته الإسلامية ، ونفسيته الإيمانية ؛ ليكون على بينه من أمر حقيقة وجوده ، وخلقة أولا ، وليسخر نفسه ، وهواه ، وميوله تبعا لأوامر ربه ، ونبيه ثانيا . ولذلك قال "صلى الله عليه وسلم": "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به" رواه احمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي ، وابن ماجه، والنسائي عن انس. إن طلب العلوم الشرعية ، والمفيدة للمجتمعات الإسلامية ، وإن التثقف بالثقافة الإسلامية، وإن الفهم للأحكام الشرعية من اعظم الفروض التي أوجبها الإسلام على المسلمين ، فقال تعالى :"وقل رب زدني علماً" طه آية ١١٤ .

وقال تعالى :"فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" التوبة ١٢٢ .

وقال تعالى :"قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" الزمر آية ٩ .

وقال "صلى الله عليه وسلم" :"طلب العلم فريضة على كل مسلم" أخرجه ابن ماجه في سننه عن انس جـ١ ص٥ . وقال أيضاً : "تعلموا العلم ، فان تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح" رواه البخاري. وقال أيضاً: "من يرد الله به خيرا ، يفقهه في الدين" رواه البخاري ، واحمد ، والطبراني عن أبي هريرة. ومنذ أن وعت، وأدركت الأمة الإسلامية حقيقة وجودها ، وانه لابقاء ، ولا حياة لها في معزل عن علومها ، وثقافتها سعت جاهدة على نشر حضارتها ، ومدنيتها ، وقيمها الأخلاقية في جميع أنحاء العالم ، فغمرت الأرض رفاهية ، وتقدما ، وطمأنينة ، وسعادة ، وتسامحا، وتعاونا وعدلا، ومساواة ، وغنى ؛ مما حفز شعوب العالم على أن تقبل على دين الإسلام زرافات ، ووحدانا ، تنهل من معينة الصافي علومه ، وثقافاته ، وحضارته ، ومفاهيمه ، وتعاليمه ،

وأحكامه ناقلة إياها إلى مشارق الأرض ، ومغاربها ، وحتى أبواب النمسا في قلب أوروبا معقل ديانات الكفر الوضعية ، التثليثية، والإلحادية ، والعلمانية ، والوجودية ، والإباحية . وما أن شعر الكفار ، والمشركون بعظمة عقيدة الإسلام ، وسمو علومه ، ورفعة ثقافاته ، وعلوم حضارته حتى قاموا يحاولون قهر المسلمين بشتى السبل، وعلى رأسها القوة الحربية المادية ، والغزو الفكري التغريبي . وقد قادتهم قناعاتهم ، وتجاربهم إلى أن الإسلام لا يقهر بالقوة الحربية ، أو بالسلام وحده ، فعمدوا إلى بث سموم الفكر الغربي بين المسلمين ؛ وعلى أمل إن لم ينصروهم يبعدوهم عن عقيدة الإسلام ، فينجحوا في إخضاع العالم الإسلامي برمته . ولهذا يرى غاردنر :"أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا"(١) . ولهذا يقول "جلادستون" رئيس وزراء بريطانيا :"ما دام هذا القرآن موجودا، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان"(٢) .

ومن اجل تحقيق مآربهم العدوانية نقلوا الحرب من ساحة القتال إلى ساحة الفكر ، والمعرفة محاولين بسمومهم الفكرية ، والعقدية هدم عقيدة المسلمين ، وتحجيم حضارتهم ، وغزو ثقافتهم ، وهم يرتكزون على قاعدة :"إذا أرهبك عدوك ، فافسد فكره ، ينتحر به ، ومن ثم تستعبده"(٣) .

وقد نجح علماؤهم ، وفلاسفتهم إلى حد كبير في إفساد عقول كثير من علماء المسلمين ، والمثقفين، والمفكرين ، وإقناعهم بضرورة اعتناق عقائد الكفر ، وثقافاته ، وحضاراته ، ومن ثم نقلها إلى قلب العالم الإسلامي ، ونشرها بين المسلمين تحت مظلة شعارات التطور ، والتقدم ، والحرية الفكرية، ومرونة الثقافة بمظاهرها الفكرية، والأدبية

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكه أجنحة المكر الثلاثة ص١٣ .

(٢) نادية شريف العمري أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص١٦٧ .

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكه أجنحة المكر الثلاثة ص١٤.

، والقصصية ، والمسرحية ، والفنونية : كالغناء، والرقص ، والتمثيل ، والاختلاط ، والعري ، وغيرها من مظاهر الثقافة الغربية التي اقنعوا بها عقول أتباعهم من المثقفين ، والمتعلمين المسلمين ، بأنه لا غنى لهم ، وللمسلمين عنها . ومما زاد الطين بلّه انهم كوّنوا من أتباعهم هؤلاء جيلا أوكلوا إليهم تنفيذ خططهم في نشر مفاهيم ، وأفكارهم ، وثقافاتهم الغربية في بلاد المسلمين، وقد وصل حماس هؤلاء الأتباع إلى درجة انهم اصبحوا اكثر اندفاعا ، وتعصبًا لمفاهيم الغرب ، وبصورة اكبر من حماس أسيادهم الغربيين . وكذلك اصبحوا اكثر حماسا ، ونشاطا لنشر ثقافات الكفر، وحضاراته ، ومحاربة ثقافة الإسلام متهمين إياها بالتخلف، والرجعية، والجمود. ولكي يحقق هؤلاء الأتباع ، وأسيادهم أهدافهم الثقافية، والفكرية، والحضارية ، والتبشيرية، فقد أقاموا ، وأسسوا في، ومنذ أواخر القرن السادس عشر مراكز للتبشير ، ومدارس ، وجامعات ، وكنائس ، وأديرة ، وأندية ، وكليات ، ومعاهد ، وجمعيات في عواصم ، وكبريات المدن في البلدان العربية، والإسلامية : كالكلية السورية الإنجيلية التي أقاموها في بيروت عام ١٨٥٦ ، وهي المسماة الآن بالجامعة الأمريكية ، وكالجامعة الأمريكية في القاهرة ، والجامعة اليسوعية في بيروت، ومدارس المطران ، والتراسانطة ، والفرير ، والفرندز ، وشنلر ، والمدارس الأرثوذكسية ، والراهبات في فلسطين ، والأردن ، وكلية روبرت في استنبول، وكلية لاهور، وكلية غوردن في الخرطوم ، وكجمعية الفنون، والعلوم، والجمعية العلمية السورية، والجمعية السرية التي تأسست في بيروت عام ١٨٧٥م ، والتي قام بتأسيسها خمسة من المثقفين الذين تخرجوا من الكلية السورية العلمية، وهي الجامعة الأمريكية ؛ وكنوادي الروتاري ، والجينز، والماسونية ، وغيرها من الجمعيات التي تأسست تحت شعارات البر ، والخير، والإحساس، ومنها : جمعية الشابات المسيحيات ، وجمعية الشبان المسيحيين ، والجمعيات الكشفية، وبيوت الطلبة ، والتي وصفوها ، وقالوا عنها : "إن هذه

البيوت يجب أن تكثر حتى يمكن أن تجتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح" . وكما يقول كبير المبشرين "زويمر" يجب استخدام الصدقات لاكتساب الصابئين[1] . وكذلك فقد بنوا المراكز الصحية، والمستشفيات ، والمستوصفات ، واتخذوها مراكز تبشيرية ينفقون من خلالها سمومهم الفكرية، والثقافية، ومنها: مستشفى المقاصد الخيرية المسيحية في بيروت ، والمستشفيات التابعة للجامعات ، والجمعيات الخيرية في القاهرة ، وبيروت ، والإسكندرية . تقول المبشرة "ايراهارس" طبيبة إرسالية التبشير في طرابلس الشام في مؤتمر ، ١٩٠٦م عقد في بيت احمد عرابي بالقاهرة :"يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولو للحظة واحدة انه مبشر قبل كل شيء ، ثم هو طبيب بعد ذلك"[2] . وتنصح الطبيب بقولها :"ولعل الشيطان يريد أن يفتنك ، فيقول لك إن من واجبك التطبيب فقط لا التبشير ، فلا تسمع منه"[3] . وهكذا استخدم علماء وأتباع التبشير آلام المرضى ، ومعاناتهم وسيلة لحشو عقول المسلمين الأصحاء ، والمرضى بثقافاتهم ، وأفكارهم المسمومة. وقد ركز دعاة الغزو الفكري ، والثقافي على التعليم كأفضل وسيلة يعول عليها في التبشير، فأنشأوا المكتبات ، والمطابع ، ودور النشر ، والصحافة ، والمجلات ، ومراكز المعلومات ، وكوسائل يستخدمونها في تنصير المسلمين ، وزعزعة عقيدتهم التوحيدية ، وإبعادهم عنها، وإفساد أخلاقهم إن هم لم ينجحوا في تنصيرهم.

يقول المبشر الأمريكي "ستيفن بنروز" رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت من ١٩٤٨م – ١٩٥٤م : "إن التعليم برهن على انه اثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سوريا ، ولبنان ، وإذا كان المبشرون قد خابوا في هدفهم

---

(١) عمر فروخ، ومصطفى الخالدي – التبشير، والاستعمار ص ٦٣-٥٩-٤٦-٤٣٥ .

(٢) عمر فروخ ومصطفى الخالدي – التبشير والاستعمار ص ٦٣-٥٩-٤٦-١٣٥ .

(٣) عمر فروخ ومصطفى الخالدي – التبشير والاستعمار ص ٦٣-٥٩-٤٦-١٣٥ .

المباشر، وهو تنصير المسلمين جماعات ، جماعات ، فيكفي انهم قد أحدثوا بينـــهم آثـار نهضة أوروبية"[1] .

وللأسف الشديد فقط نجح دعاة التغريب، والتبشير من أسياد ، وأتباع إلى حد كبير في تنفيذ مخططاتهم في الغزو الفكري ، وراجت وسائله ، وفتحــت أســواقه فــي بــلاد المسلمين ، والى درجة أن ظهرت دعوات الاستنكار للثقافة الإسلامية علانية ، وفي وضح النهار ، وإحلال الثقافة الغربية اليهودية ، والصليبية محلها . واقبل الكثير من المتعلميـن ، والمثقفين المسلمين على الثقافة الغربية يستملحون أفكارهـــا ، ومبادءهـا ، وعقائدهـا ، ومفاهيمها ، وينادون بضرورة اعتناقها ، وإحلال الواقع الغربي الثقافي ، محــل الواقــع الإسلامي ؛ ومن ثم اعتناق وسائل معيشته في الحياة من لغة ، وفلسفة ، وتاريخ ، وفـن، وعادات، وتقاليد ، ورسم ، ومسرح ، ولباس ، وأزياء ، وغناء ، والى درجة أن أصبــح المسلمون، وكأنهم غرباء في ديارهم. وهكذا غزت الحياة الغربية بثقافتها، وحضارتها كـل جوانب الحياة الإسلامية . فكانت الثقافة الغربية اكثر خطرا ، واشد فتكا بالمســلمين مــن جيوش الكفار الجراره ، واصبح المسلمون من اكثر الأمم تخلفا علما ، وثقافة ، ومدنيــة ، وصنفهم الكفار في درجة القرود، والزنوج من سكان الكرة الأرضية . إن الغزو الفكــري مستمر ، وإن دعاة التغريب باقون على نشاطهم ، وإن مؤسسات التبشير ، والتغريـــب ، والاستشراق ماضية في تبشيرها ، وستبقى كذلك حتى يتمكنوا من سلخ المســلمين عــن عقائدهم التوحيدية ، ومبادئهم الإيمانية ، وتعاليمهم الإسلامية ، ومفاهيمــهم الحضاريــة ، والمدنية ، وحتى يتمكنوا من هدم ثقافتهم ، ثقافة الإسلام حتى لا تقوم للمســلمين قائمــة، وعندها يحتل الكفار بلاد المسلمين ، ويستعبدون الشعوب الإسلامية إلى الأبد ، إلى قيـــام

---

(١) عمر فروخ ومصطفى الخالدي – التبشير والاستعمار ص ٦٣-٥٩-٤٦-١٣٥ .

الساعة ، وشعارهم دوما ، وكما يقول المبشر لورانس براون :"إن الإسلام هـو الجـدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"(١) .

لقد وقف كبير المبشرين "صموئيل زويمر" مخاطباً جمعا من المبشرين قـائلاً: "إن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق، وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طلائع الفتح الاستعماري في المالك الإسلامية،وهذا ما قمتم به خير قيام"(٢).

هكذا دوما يتكاتف دعاة التبشير ، ودعاة الاستشراق، ودعاة التغريـب ، ودعـاة الغزو الفكري مع دعاة الاستعمار؛ لزعزعة عقيدة المسـلمين، وهـدم ثقافتـهم ، وقـهر حضارتهم ليسهل عليهم نقلهم من واقعهم الإيماني التوحيدي إلى واقع الغـرب التثليثـي. وإزاء واقع ، ومظاهر هذا الغزو الفكري الاستعماري كان لزاما على المسـلمين ، وهـم اليوم على أبواب القرن الحادي والعشرين – أن يستيقظوا من نومهم ، وأن يفيقـوا مـن سباتهم ، ويدركوا ما آلت إليهم أحوالهم في جميع المجـالات السياسـية، والاقتصاديـة ، والاجتماعية ، والعلمية ، والثقافية، والفكرية . ويجب عليـهم أن يعـودوا إلـى منـابع حضارتهم ، وثقافتهم، وأن يعودوا إلى عقائدهم ، ومبادئهم ، وأنظمتهم ، وأن يعملوا علـى إعادة مجدهم السياسي ، والثقافي ، والفكري . وكل هذا لا يتحقق إلا بالعودة الكليـة إلـى دين الله ، دين الإسلام ، وإلى منهجيته الحياتية السلوكية في شتى الميادين ، والتي رسـمها لنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية ؛ وبعدها يستطيع المسلمون أن ينـهضوا مـن كبوتـهم الثقافية ، والعلمية، وأن يستبدلوا ثقافتهم بثقافة الكفر ، وعندها يعطلـون علـى الكفـار ،

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكه أجنحة المكر الثلاثة ص٦٧.

(٢) أنور الجندي – تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب ، والسنة ص٢٣ .

مسيرتهم في الغزو الفكري، وينزعون عن كواهلهم ثقل جحيم التغريب الثقافي، فينعمون بعد ذلك بنعم الإسلام ، ومن أهمها نعمة الفكر ، والثقافة فلا يضلون بعدها أبدا. وكما قال تعالى :"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" الإسراء آية ٩. وكما قال حبيبنا المصطفى "صلى الله عليه وسلم" :"تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله، وسنة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" رواه الإمام مالك، وأبو داوود.

ولتحقيق مآربهم الكفرية لجأ دعاة التغريب الثقافي في بلاد المسلمين إلى طرح مفاهيم ، وشعارات ، ودعاوي ، ومعطيات هم سموها حضارية ، ومنها : العلم للجميع ، والثقافة عامة ، والحضارة لجميع الأمم . وهم ، وقد خلطوا بين العلم ، والثقافة ، وبين الحضارة ، والمدنية ، فقد قصدوا إقناع أبناء جلدتهم المسلمين لينفتحوا على علوم الغرب ، وثقافاته إن أرادوا النهوض من تخلفهم الحضاري ، وهكذا على عواهنه ودون تفريق بين ما يصلح لنا من هذه العلوم ، والثقافات ، وما لا يصلح لنا. ولا غضاضة بالنسبة لدعاة التغريب أن يقوم المسلمون بعمليات جراحية لعقائدهم ، ومبادئهم ، وثقافاتهم ، وأن يستأصلوا منها مالم يعد صالحا اعتقاده منها كما يزعمون ، وبالتالي لا خير أن يقوم المسلمون بترقيع عقائدهم ، ومبادئهم بأفكار غربية ، وثقافات يهودية ، وصليبية ما دام ذلك يصب في بحيرة المصالح النهضوية ، والعمرانية الخاصة بالمسلمين .

لقد خلطوا بين العلم ، والثقافة كما خلطوا بين الحضارة، والمدنية، مع أن العلم شيء، والثقافة شيء آخر، كما أن الحضارة شيء، والمدنية شيء آخر . ولذلك نحذر دوما المثقفين المسلمين ليكونوا اكثر دقة في فهمهم لمثل هذه المصطلحات ، وفي كيفية التعامل بها، وعند استعمالها . وعلينا دوما أن نميز بين ما هو علم ، وبين ما هو ثقافة، وبين ما هو صالح لنا منها ، وما هو غير صالح.

الفرق بين العلم ، والثقافة :

يعرف العلم : بأنه المعرفة المتعلقة بالأمور المادية المحسوسة ، والتي تؤخذ عن طريق الملاحظة ، والتجربة ، والاستنتاج ، والاستقراء ، وتغلب عليها صفة العمومية، ومثالها : العلوم الزمنية، والتجريبية البحته : كالرياضيات ، والكيمياء ، والفيزياء ، والهندسة ، والطب ، والتكنولوجية ، والطبيعة، والجيولوجيا ، وغيرها.

وتعرف الثقافة : بأنها المعرفة المتعلقة بالأمور الفكرية الروحية ، والتي تؤخذ عن طريق الأخبار ، والتلقي ، والرواية ، والاكتساب ، والتعود ، والاستنباط ، وتغلب عليها صفة الخصوصية، ومثالها : علوم العقائد ، والتشريعات، والعلوم الأدبية، والإنسانية، والعقلية ، واللغة ، والفلسفة ، والسيرة ، والتاريخ ، والملاحم النصصية ، والمسرح ، والرواية ، والفن ، والغناء ، والرقص ، والرسم ، والنحت ، ولتصوير ، والأزياء ، والعادات ، والتقاليد ، وغيرها . فالعلم معرفة ، والثقافة معرفة إلا أن هناك فرق بين المعرفتين من حيث النطاق ، والمنهجية ، والوظيفية ، والأثر .

أولاً : بالنسبة للنطاق : فالعلم نطاقه : الأمور المادية المحسوسة : كالمنجزات العلمية المادية، والمخترعات ، والمكتشفات ، والمصنوعات التي يخترعها الإنسان، ويكتشفها ، ويصنعها بملاحظاته ، وتجاربه ، وعملياته ، والتي من شانها أن تساعده في تحسين مستويات عيشه ، وحياته . فالعلم يتعلق بالجوانب المادية للحياة الإنسانية ، ويستهدف تحقيق القيم المادية ، والأشياء، والأشكال المادية المحسوسة. فأصوله ، ومنجزاته ، وعملياته أنماط مادية بحتة ، ولا علاقة للعلم بالأمور العقدية ، أو لروحية ، ولا يعكس المنجزات الفكرية المعنوية السائدة في المجتمع ، ولا يستهدف تحقيق القيم الأخلاقية ، والأنماط السلوكية للأفراد. فالعلم، وبشتى أنواعه، وأشكاله : كالرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، والهندسة ، والطب ، والصناعة ، والتكنولوجيا ، وغيرها تستهدف

الأمور المادية ، والأشكال، والأشياء المحسوسة التي تصلح للتجربة، وإجـــراء عمليـــات الاختبار ، والتجارب العلمية في المعامل للوصول إلى اختراعـــات ماديـــة محسوســـة : كالماكينات ، والثلاجات ، والغسالات ، والراديوات ، والتلفزيونات ، وأجـــهزة الـــهاتف ، والتلكس ، والفاكس، والسيارات ، والطائرات ، والبواخر ، والصواريـــخ ، والأســـلحة ، والأقمار الصناعية ، والكمبيوتر ، والأدوية، وآلات الحفر ، والتصنيـــع، وقطـــع غيـــار المصانع ، والأدوات الكهربائية، والمنزلية ، والمرافق الصناعية، والزراعية ، والتجارية ، وغيرها .

أما الثقافة فنطاقها : الأمور المعنوية، والعقدية ، والروحية، والفكرية، والإنسانية، والأدبية، والاجتماعية ، والتاريخية ، والفلسفية ، واللغوية ، والدينية ، والفنية، والأخلاقية، والسلوكية ، والجمالية ، والتي يستعين بها الإنسان في إشباع حاجاته الروحية ، والمعنوية، وتجميل حياته السلوكية ، والاجتماعية. فالثقافة تتعلق بـــالجوانب الروحيـــة ، والســـلوكية للحياة الإنسانية ، وتستهدف تحقيق القيم الروحية ، والأخلاقية ، والأشياء المعنويـــة غـــير المحسوسة ، وغير المادية، ولا علاقة للثقافة بالأمور الماديـــة المصنعـــة أو المكتشـــفة ، والعمليات والتجارب المادية في المختبرات ، والمعامل. فالثقافة تعكس الأفكار العقديـــة ، والروحية ، والمذهبية ، والأخلاقية السائدة في المجتمع. فالثقافة وبشـــتى موضوعاتـــها : كاللغة ، والفلسفة، والتاريخ ، والفنون، والرســـم ، والتصويـــر ، والعـــادات، والتقـــاليد ، تستهدف الأمور الروحية ، والسلوكية المعنوية . فالثقافة نمط معنوي روحـــي ، ســـلوكي يؤمن بغير المحسوس، والغيبيات . ومصادره الكتـــب الســـماوية ، والوحـــي الإلـــهي ، والرسل، والأنبياء ، وليس التجارب المعملية ، والمختبرات العلمية .

ثانيا : بالنسبة للمنهجية : فالعلم منهجيته الملاحظة ، والتجربـــة ، والاســـتنتاج، والاستقراء ، والتحليل ، والاختبار ، وإجراء التجارب العلمية ، والعملية فـــي المعـــامل ،

والمختبرات. فالعلم يتعلق بالأمور المحسوسة المادية: كالأشياء المخترعة ، والمصنعة، والمركبة ، وهذه تليق بها منهجية الملاحظة ، والتحليل ، وإجراء التجارب عليها لتصنيعها، وتكوينها ، واختراعها .

إن العلم يستند في جزيئاته ، وأصوله ، ومصادره إلى ملاحظات العقل البشري للأمور المحسوسة ، والى تجارب الإنسان المادية ، وبذلك منهجيته في التحليل تستند إلى الملاحظات المادية ، والتجارب المحسوسة، والى القيم، والأساليب ، والعينات، والنماذج المادية في التحليل ، والاختبار ، والاستنتاج، ولا علاقة لمثل هذه المنهجية بالأمور المعنوية ، والروحية ، وغير المحسوسة كالغيبيات. فالعلم لا يؤمن إلا بالمحسوس ، ومنهجيته من جنس إيمانه مادية بحتة تستند إلى إجراء التجارب المادية داخل المعامل ، والمختبرات ، وخارجها .

أما الثقافة فمنهجيتها : الأخبار ، والتلقي ، والرواية ، والاكتساب ، والتعود ، والاستنباط. إن الثقافة تتعلق بالأمور المعنوية غير المحسوسة : كالأفكار العقدية والروحية، والمذهبية ، والقيم الروحية ، والأنماط السلوكية ، والأدبيات ، والفنون والعادات، والتقاليد . وهذه تليق بها منهجية التلقي، والرواية ، والاكتساب ، والتعود لاعتناقها ، والحصول عليها ، والعمل بها، والتعود بها ، وعليها. إن الثقافة تستند في أصولها ، ومصادرها إلى وسائل التبليغ، والنقل ، والرواية ، والوحي ، والأخبار والتعود، والاكتساب للأمور الروحية ، والفكرية ، والقيم الأخلاقية ، والسلوكية غير المحسوسة ؛ وكذلك تمتد جذورها إلى عادات الإنسان ، وتقاليده في أفراحه، وأحزانه ، ولباسه ، وأزيائه ، وفنه ، ورسمه، وتصويره . وهذه أمور، ووسائل غير مادية تليق بها منهجية التلقي ، والأخبار، والتعود ، والاكتساب ؛ ولا علاقة لهذه المنهجية بمنهجية إجراء

التجارب المادية، ولا تخضع للعمليات المخبرية في المصانع ، أو داخل المختبرات ، وخارجها .

فالثقافة تؤمن بغير المحسوس ، والغيبيات ، وتتعلق بالأمور المعنوية ، والروحية، والسلوكية، ومنهجيتها من جنس طبيعتها معنوية بحتة تستند إلى الروايات ، والأخبار ، والعادات ، والتقاليد . إن معارف الثقافة ، وموضوعاتها تتكون ، وتصل إلينا عن طريق الأخبار ، والروايات ، والقصص، والتلقي عن الأجيال ، والرواة ، والمؤرخين، والعلماء ، والمفسرين ، والفلاسفة ، والمحدثين ، والناقلين ، والشارحين، والمختصرين ، والمهذبين ، والمؤلفين كموضوعات ، التفسير، والحديث ، والتاريخ ، والسير ، وعلم الكلام ، والفلسفة ، وغيرها .

وقد تصل إلينا عن طريق الاكتساب ، والتعود ، والاستمرارية : كالعادات ، والتقاليد في الأحزان ، والأفراح ، وكعادات اللباس ، والأزياء ، والأكل ، والشرب .

وقد تصل إلينا عن طريق التأثر ، والتقليد : كالفن ، والرقص ، والغناء ، والمسرح .

وقد تصل إلينا عن طريق منهجية الكتابة الناقلة للأفكار السائدة : كالأدبيات ، والمعارف الإنسانية . وقد تكتسب عن طريق الآثار ، والنقش ، والنحت ، والتصوير : كالرسم ، والتصوير .

وقد ترد إلينا عن طريق منهجية التلقي ، والاستنباط من المصادر : كالعقائد والأحكام ، والتكاليف ، والتشريعات ، والفرائض ، وعلوم الفقه ، وأصوله .

وقد ترد إلينا عن طريق منهجية التحلي ، والتعود على الأمور : كالقيم الروحية، والأخلاقية ، والسلوكية . وبكلمة موجزة : فطريقة الوصول إلى العلم تتمثل في منهجية

التجربة ، والملاحظة ، والاستنتاج . بينما طريقة الوصول إلى الثقافة تتمثل في منهجية الأخبار ، والتلقي ، والاستنباط .

ثالثاً : وبالنسبة للوظيفة ، والأثر : فالعلم وظيفته وأثره : عام ، وعالمي ، وشمولي ، ولا يختص بأمة دون الأمم أو شعب دون شعب . فوظيفة العلم هي خدمة البشرية قاطبة ، ويمكن تبادله بين الأفراد في جميع المجتمعات الإنسانية . فالعلم مظهر مادي بحت ، ودنيوي محض يتعلق بالمنجزات ، والمكتشفات العلمية ، والمخترعات الصناعية ، والمبتكرات التجارية ، والتجارب ، والمشروعات الزراعية ، وهو لا يعكس عقائد، ومفاهيم ، وتعاليم علماء هذه المنجزات ، والمخترعات ، والمبتكرات . وكذلك فإن منجزاتهم ، ومبتكراتهم العلمية لا تعبر عن عقائدهم ، ومبادئهم ، وتصوراتهم العقدية ، والفكرية عن الله ، والإنسان ، والكون، والحياة .

ولذلك فالعلم في وظائفه، وآثاره الشمولية في الأخذ بـه، وتطبيق نظرياته ، والاستفادة من تجاربه ، ومبتكراته ، ومخترعاته هو اقرب إلى المدنية من الحضارة .

فالمصانع ، والمصنوعات الكهربائية ، والكهرومنزلية ، كالثلاجات ، والأفران، والمولدات الكهربائية ، والبطاريات ، والغسالات ، والراديوات ، والتلفزيونات.

وأدوات ، ووسائل النقل البري ، والبحري ، والجوي : كالسيارات ، والطائرات ، والبواخر ، والسفن، وأدوات العلوم : كالكمبيوتر ، والحاسوب، والأقلام ، والكتب ، والمجلات ، والوسائل السمعية، العلمية ، والبصرية .

وأدوات الاكتشاف : كالات التصوير ، والتلسكوب ، والمجهر ، والأقمار الصناعية . وأدوات الاتصال : كالهاتف ، والفاكس ، والتلكس ، واللاسلكي ، وغيرها من المنجزات العلمية ، والمخترعات المادية ، والصناعية الحياتية تعتبر مظاهر مادية، ومدنية، وليست من الثقافة أو الحضارة في شيء. وإن استعمالها لا يترك بصمات فكرية

على مستعمليها سوى إنها وسائل مادية ترفيهية تسهل عليهم حياتهم ، وتيسر لهم معيشتهم. فالعلم عام بمدنيته ، ومظاهره المادية كما أن المدنية عامة بعلومها ، ومظاهرها المادية، ولذلك يستطيع أصحاب العقائد ، والديانات ، والثقافات المتعددة ، والمختلفة من أن يستعملوا المنجزات العلمية كلها ، وبغض النظر عن صاحبها . فالرأسمالي يستطيع أن يستعمل مصنوعات ، ومخترعات الشيوعي ، والشيوعي يستطيع أن يستعمل صناعات الرأسمالي. وكذلك المسلمون يستطيعون أن يستعملوا صناعات الكفار ، ومخترعاتهم ، وأن يستفيدوا من علومهم المختلفة : كالرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، والهندسة ، والطب ، والتكنولوجيا ، ووسائل النقل، ودون أن يؤثر ذلك في عقائدهم التوحيدية ، ومبادئهم الإيمانية ، وثقافتهم الإسلامية . فلا مانع للمسلم أن يشتري ويركب سيارة صنعها كافر ، أو طائرة صنعها ملحد . ولا مانع للرأسمالي أن يشتري ، ويستعمل جهازا تلفزيونيا صنعه شيوعي، ولا مانع للشيوعي أن يشتري ويستعمل كمبيوتر صنعه رأسمالي. فكل هذه مظاهر علمية لا يؤثر اقتناؤها على العقائد ، وبالتالي يجوز الانتفاع بها على العموم، ومن قبل جميع الأفراد من أمم الأرض ، ومجتمعاتها. فالعلوم وظائفها عامة ، وآثارها تعم جميع الناس، وبلا حواجز، أو قيود فكرية ، أو عقدية. فعلم الاقتصاد مثلا يتناول تفسير مجريات الحياة الاقتصادية، وظواهرها ، وأحداثها ، وربط هذه الظواهر ، والأحداث بالعوامل ، والأسباب ، وهو ينصب على الأمور المادية : كالثروة ، والدخل، والنقد ، والمال ، والأسواق ، والمبادلات التجارية ، والعرض ، والطلب ، وغيرها ، وبغض النظر عن المعتقدات الدينية، والأفكار الروحية ، والقيم الأخلاقية ، والسلوكية السائدة في المجتمع، وكذلك بغض النظر عن الحلال، والحرام، وما يجوز شرعا ، وما لا يجوز.

وكذلك علم الرياضيات فهو يتناول تفسير الحياة المادية عن طريق المعادلات الرياضية . وكذلك علم الفيزياء : فهو يتناول تفسير الحياة المادية عن طريق إجراء المعاملات الفيزيائية ، والتحليلات المخبرية كتحليل الذرة ، واستخدامها في الصناعات السلمية ، أو الحربية كصناعة القنابل النووية ، والهيدروجينية.

ونفس الشيء بالنسبة للعلوم الزمنية الأخرى : كالطب الذي يتعلق فقط بالجانب المادي من الحياة الإنسانية، وهو الجسد الإنساني بتحليله، وتشريحه، وتقويته ، وعلاجه، وتطبيبه ، وكعلم الهندسة الذي يتعلق بالجوانب المادية للحياة الإنسانية كبناء العمارات ، وإقامة لكباري ، والجسور ، وفتح الشوارع ، وعمل الديكورات ، وهندسة، وتركيب الماكينات، والآلات.

فالعلوم الزمنية هذه تتعلق بالجوانب المادية للحياة الإنسانية ، وهذه ظواهر مدنية لا علاقة لها بالحضارة، أو الثقافة . ولذلك لا مانع أن تكون عامة، وتتصف وظائفها بالعمومية ، وآثارها بالشمولية تشمل في منافعها جميع الأمم، والشعوب والأفراد باختلاف عقائدهم ، ودياناتهم ، وأجناسهم .

أما بالنسبة للثقافة : فيختلف الأمر تماما، فوظائفها، وآثارها خاصة بكل أمة من الأمم. فالثقافة مظهر عقدي ، مبدئي ، أخروي ؛ يعكس عقائد الأمة ، وأفكارها وتصوراتها المبدأية عن الله ، والكون ، والإنسان ، والحياة ؛ مما يجعلها خاصة غير عامة لاختلاف العقائد، والتصورات المبدأية للأمم. فالثقافة في تصوراتها العقدية ، والمبدأية، والفكرية اقرب إلى الحضارة منها إلى المدنية. فالعقائد ، والمبادئ، والقيم الأخلاقية ، والسلوكية هي مظاهر ثقافية حضارية تعكس طرازا، ونوعا معينا من الحياة البشرية يعتنق الأفراد فيها عقائد ، وأفكارا، ومبادئ روحية، ودينية، وينهجون فيها منهجا أخلاقيا وسلوكيا من جنس هذه العقائد ، وما تمليه ، وما تقره من هذا المنهج . ومن هنا فان

المظاهر الثقافية تعكس نوع الحضارة التي تتحضر بها أمة من الأمم، وفي نفس الوقت فان اعتناقها ، والتثقف ، والالتزام بها يترك بصمات فكرية ، عقيديه على معتقديها، وحامليها. والثقافة بالنسبة لمثل هؤلاء غذاء حضاري مبدأي ، وتمس عقائدهم، وعلاقتها قوية بتصوراتهم عن الله، والإنسان ، والكون ، والحياة . والحضارة هي نتاج الثقافة كما أن العلم نتاج المدنية. ومن هنا فان الثقافة في وظيفتها، وآثارها يجب أن تكون خاصة ، ومن المستحيل أن تكون عامة. فلا يجوز أن يتحلى الإنسان بنوعين من الثقافة أو اكثر: كأن يكون كافرا ، ومؤمنا ، أو موحدا ، ومثلثا ، أو مسلما ، وملحدا في آن واحد .

إن الثقافة الرأسمالية تمثل عقيدة فصل الدين عن الدولة ، ولا تهتم بالعقائد الدينية، أو المبادئ الروحية ، أو القيم الأخلاقية ، ولو أنها تعترف بها إلا أنها تتركها لرجال الدين يمارسونها في الكنائس ، والأديره : كالبابوات ، والقساوسة ، والرهبان تحت شعار : أعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

وإن الثقافة الشيوعية تمثل عقيدة الإلحاد ، وتنكر العقائد الدينية ، والمبادئ الروحية ، والقيم الأخلاقية المنبثقة عنها ، وتحت شعار : لا اله ، والحياة مادة .

وإن الثقافة اليهودية ، والنصرانية فهي تمثل عقائد الكفر ، والشرك بالله ، وإن هي تعترف ، وتؤمن بوجوده أصلا . فهذه الثقافات البشرية جميعها تعكس عقائدها السائدة في مجتمعاتها ، وتصورات أممها ، وشعوبها عن الله ، والإنسان ، والكون ، والحياة. من اجل ذلك كانت معارفها ، من جنسها تتعلق بفلسفات ، وعادات، وتقاليد ، وفنون تجسد مفاهيم كفرية ، وتعاليم شركية لا تفرق بين حلال، وحرام ، أو بين أمر ، ونهي أو بين قيم صالحة ، وغير صالحة ؛ ومن اجل ذلك كانت ثقافات ، وفلسفات أصحابها ، وعاداتهم ، وتقاليدهم في حياتهم اليومية، وفي أفراحهم، وأحزانهم ، وأدبياتهم ، وفنونهم ، واجتماعياتهم من جنس عقائدهم ، ومتلائمة معها .

أما الثقافة الإسلامية : فهي تمثل عقيدة التوحيد بالله ، وتجعل السياسة من الديـن ، ولا تفصل الدين عن الدولة ، وتتعلق بالعقائد الدينية ، والمبادئ الروحية ، وتجسـد القيـم الأخلاقية ، والسلوكية ، وتحلل الحلال ، وتحرم الحرام ، وتكـرس الالـتزام بـالفرائض الإلهية ، والتكاليف الشرعية ، وتطبيق الأحكام الشرعية . فكانت معارفـها مـن جنـس عقيدتها تجسد المفاهيم الإيمانية، والتعاليم الدينية، ومن اجل ذلك كانت مفاهيم، ومعـارف، وفلسفات أصحابها المسلمين المؤمنين الموحدين، وعاداتـهم، وتقـاليدهم فـي أفراحـهم، وأحزانهم ، وأدبياتهم ، وفنونهم ، واجتماعياتهم ، وأزيائهم ، ومطاعمهم ، ومشاربهم كلـها من جنس عقيدة الإسلام التوحيدية ، ومتلائمة معها؛ فلا يجوز للمسلمين أن يتثقفوا بثقافة ، أو تعاليم ، أو مفاهيم، ولا يجوز لهم أن يمارسوا فنونا من رقـص ، وغنـاء ، ورسـم ، وتصوير ، ولا يجوز لهم أن يمارسوا عادات ، وتقاليد في أفراحهم ، وأحزانـهم ، وفـي ملابسهم ، ومطعوماتهم إلا ما تحلله، وترتضيه عقيدتهم التوحيدية فـقط ، وهـي عقيـدة الإسلام .

وهنا ، وفي هذا المقام تقتضي الضرورة البحث في الثقافة الإسلامية ، ومفاهيمها، ومصادرها ، وخصائصها ، وبشيء من الإيجاز المفيد لتحقيق فائدة مرجوة اكثر ، ولإلقاء ضوء اكبر على الثقافة الإسلامية .

التعريف بالثقافة الإسلامية :

تعرف الثقافة الإسلامية :"بأنها المعرفة المتعلقة بـالأمور الفكريـة ، والروحيـة المستندة إلى العقيدة الإسلامية ، والمستمدة من أصول الدين الإسلامي : كالقرآن ، والسنة، والإجماع ، والقياس ، والفقه ، والتاريخ ، واللغة" .

ومثالها : علوم التوحيد ، والتفسير ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث ، ومصطلحه، والفقه ؛ وأصول الفقه ، والتاريخ الإسلامي ، واللغة العربية .

فهذه علوم ، ومعارف ثقافية إسلامية ؛ لأنها تستند في نشأتها إلى العقيدة الإسلامية ، وكانت هذه العقيدة سبب في وجودها ، وظهورها ، وتكونها ، وبحث موضوعاتها ، وجزيئاتها ، وأفكارها .

وسميت هذه المعارف علوما ، ولكن بالمعنى المعنوي . فهي ثقافات ، وعلوم أدبية ، وإنسانية، وشرعية ، وفكرية ، وروحية ، ومنها تستمد القيم الأخلاقية والسلوكية، واليها تستند العادات، والتقاليد الإسلامية في الحياة اليومية : كعادات المسلمين في أفراحهم، وأحزانهم ، وتقاليدهم في فنونهم ، وغنائهم ، ورقصهم ، وتصويرهم ، وأزيائهم، ومطاعمهم ، ومشاربهم .

إن معارف ، وعلوم الثقافة الإسلامية هي فكرية روحية ، معنوية ، وليست مادية، ولا تخضع للتجارب في المعامل ، وإنما تستمد من مصادر التشريع الإسلامي، وأصول العقيدة الإسلامية، وتنتقل بالتلقين ، والتلقي ، والأخبار ، والرواية ، والاستنباط، والفهم ، والربط ، والتعليل، والقياس ، والفقه، والاستخراج ؛ وأساسها الوحي الإلهي ، والنبوي ؛ وأساليبها روحية نقلية ، تردنا عن طريق الوحي ، والكتب السماوية ، والرسل، والأنبياء ، واجتهادات ، وتفسيرات العلماء.

خصائص الثقافة الإسلامية :

تتصف الثقافة الإسلامية بخصائص فريدة في نوعها تجعلها مميزة عن غيرها من الثقافات البشرية الأخرى ، واهم هذه الخصائص :

أولاً : إنها ثقافة ربانية :

مصدرها الكتاب ، والسنة جعلها الله مصدر هدايتنا ، ودستور حياتنا ، ومنهاج سياستنا ، وشريعة حكمنا ، ومنبع علومنا ، وطريق سعادتنا، ومرشد عاداتنا ، وتقاليدنا في أفراحنا ، وأحزاننا ، وأزيائنا ، وفنوننا. إن الثقافة الإسلامية ثقافة إلهية ، وشريعة ربانية ، من تثقف بغيرها أضله الله. إنها تمثل عقيدة التوحيد ، عقيدة الإيمان بالله، وتمثل ثقافة العلم، والمعرفة ، والحكمة ، والحقيقة ، والسياسة، والاقتصاد ، والاجتماع ، والتربية ، والسلوك ، والأخلاق ، والنظام. إنها ثقافة التمييز بين الحلال والحرام ، ثقافة ما يجب على المسلمين فعله ، وما لا يجب. إنها روح حياتنا، وشاهد سعادتنا في دنيانا ، وآخرتنا؛ عليها يجب أن نكون، وعليها نحيا ، وعليها نموت؛ لا خيرة لنا أمام ثقافتنا؛ إنها قضاء ربنا ، ونبينا الثقافي ، والعلمي فينا مصداق قوله تعالى: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلا ضلالا مبينا" الأحزاب آية ٣٦ .

إن سمتها الربانية تجعلها دوما مميزة عن غيرها من ثقافات الوضع ، والعقل، والاختراع ، والشعوذة، والتناقض، والتحجر ، والتعفن ؛ وفي نفس الوقت تجعلها متلائمة مع شواهد الفطرة الإنسانية السليمة في الإيمان ، والتوحيد الإلهي ، والربوبي، وتوحيد أسماء الله ، وصفاته . لقد جعلت الثقافة الإسلامية من ربوبيتها حافزا قويا للمسلمين يحفزهم إلى، وعلى التمسك بعقائدهم الإلهية ، وثقافاتهم الربانية ، ومفاهيمهم الفكرية ، وتعاليمهم السماوية ، وأحكامهم ، وتكاليفهم الشرعية ، ومن ثم ترجمتها على، وفي ميدان الواقع الحياتي بالنسبة لجميع المجالات المعيشية، والحياتية : العبادية منها ، والمعاملات ، والعقوبات ، والأحوال الشخصية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية . إن الصفة الإلهية تجعل من الثقافة الإسلامية جزءا لا يتجزأ من حياة المسلمين لا غنى لهم عنها ،

ولا حياة لهم بدونها ، ولا تقدم، ولا مدنية ، ولا حضارة لهم إن كانوا في معزل عنـــها أو بعيدين عنها.

إن شواهد العقلانية السليمة لا تسمح مطلقا أن يستبعد المسلمون ثقافة إسلامهم، أو أن يستبدلوها بثقافات الكفر ؛ حيث لا يجوز أن تقاس معالم الإيمان الثقافي علـــى معـــالم الكفر الثقافي ، أو أن تقاس ثقافة التوحيد على ثقافة الشرك ، أو ثقافة الحق علـــى ثقافـــة الباطل ، أو ثقافة السماء على ثقافة الأرض . إن شواهد المنطق الفكري الحق تقتضي عدم تطبيق ، بل وعدم إمكانية تطبيق ما يصلح من ثقافات لمجتمعـــات الكفـــر الرأســـمالية ، والشرك الشيوعية في وعلى مجتمعات الإيمان والتوحيد ، والإسلام . إن ثقافـــة الإســـلام تخلو تماما من تناقضات الفكر ، وتفاهات العقائد ، ورذائل المبادئ التي تمتلئ بها ثقافـــات الكفر حتى أخمص قدميها.

إن مما يندى له الجبين حقا أن نسمع صيحات يطلقها بعض العلمانيين في العالمين العربي، والإسلامي تنادي بالتخلي عن ثقافة الإسلام ، وفصلها عن حياتهم عن دينهم ، عن حكمهم ، عن دولتهم ، ونحن بدورنا نسألهم : ما هي مبرراتكم ، وما هي أسانيدكم التـــي تستندون إليها في دعاويكم؟!! اللهم لا إجابة منهم إلا التعصب لثقافات الكفر التي لا تسمن، ولا تغني من جوع. اللهم، كلا ، وألف كلا أن نستبعد ثقافتنا الربانية عـــن حياتنـــا، عـــن سياستنا، عن شئوننا. وما بعد استبعادها إن تـــم إلا الضـــلال ، والتنـــاقض ، والتخلـــف، والفوضى ، والقلق ، والشقاء ، والاضمحلال ، والفناء . إن ثقافتنا ، ولأنها ربانيـــة هـــي الجديرة باعتناقها، والتمسك بها . إنها التي تجمع بين الدين ، والدنيـــا ، وبيـــن الـــروح ، والمادة ؛ وبين القوة، والاعتدال ؛ وبين الشدة، واللين ، وهي التي تجمـــع بيـــن ســـعادتي الدنيا، والآخرة.

ثانياً : إنها ثقافة عالمية : إنها ثقافة البشرية كلها، إنها ثقافة كل إنسان ، وفي كل زمان، وفي كل مكان؛ لا محصورة، ولا مقصورة على أحد من خلق الله إلا من رفضها. إنها ثقافة وحييه أنزلت ، وأرسلت إلى الناس كافة عن طريق رسول الوحي محمد بن عبد الله "صلوات الله عليه وسلم" مصداق قوله تعالى : "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا" سبا آية ٢٨ . وقوله تعالى : "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً" الأعراف آية ١٥٨ . وهذا عكس الثقافات الوحيية التي أرسلت إلى الأمم السابقة: كاليهودية ، والنصرانية ، حيث كانت خاصة بأممها ؛ ولذلك كانت تخاطبهم رسلهم بكلمة: يا قوم ، وليست بكلمة : يا أيها الناس كقوله تعالى على ألسنه الرسل لأقوامهم : "يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" سورة الأعراف آية ٨٥ .

تعامل الثقافة الإسلامية شعوب العالم ، وقبائلها بمعيار السواسية ، وعدم التمييز بسبب العرق، أي الجنس ، أو الجنسية ، أو اللون ، أو المال . وقد جعلت الثقافة الإسلامية معيار التفاضل بين الأمم في عنصر التقوى ، والقرب إلى الله ، وطاعته كما قال تعالى في محكم آياته: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير" الحجرات آية ١٣ .

إن ثقافة الإسلام عالمية في آدميتها ، وفي نظرتها إلى بني آدم. وبحكم تعاملها معهم معالم السواسية كما عبرت عن ذلك السنة النبوية بقوله "صلى الله عليه وسلم" : "الناس سواسية كأسنان المشط" رواه البزار في مسنده عن انس. إنها ثقافة الأجناس البشرية كلها لا ثقافة جنس واحد، ولا فضل بالنسبة لها لأي جنس على أخر إلا بالتقوى حتى ولو كان عربيا ، ومن جنس خاتم النبيين ، وأفضلهم كما قال "صلى الله عليه وسلم": "كلكم لآدم، وآدم من تراب؛ لا فرق لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لاحمر على ابيض ، ولا لابيض على احمر إلا بالتقوى" وهذا حديث متفق عليه، ورواه

احمد بلفظ : "لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لاحمر على اسود إلا بالتقوى".

لقد نأت ، وابتعدت الثقافة الإسلامية بنفسها عن كل مظاهر العنصرية ، والعصبية، فكانت ثقافة إنسانية بمعنى الكلمة . وقد حذرت السنة النبوية من مثل هذه المظاهر ؛ فقال "صلى الله عليه وسلم "ليس منا من دعا إلى عصبية" . رواه أبو داوود عن جبير بن مطعم .

وقال أيضا : "دعوها ، فإنها منتنة" رواه مسلم عن جابر بن عبد الله .

لقد غمرت معالم الآدمية ، ومظاهر الإنسانية ، وشواهد السواسية الثقافة الإسلامية في معاملاتها، وعلاقاتها ، ومبادئها ، وتعاليمها، فكانت خير ثقافة ، واعدل ثقافة للناس كافة. فأين هذا كله من ثقافات الكفر اليهودية ، والصليبية ، والتي فرضت نفسها بالقوة على شعوب العالم ، وميزت بين أفرادها بموازين العنصرية التي لم تعرفها البشرية من قبل؛ فشنت الحروب الاستعمارية العديدة، وطيلة قرون عديدة ، واستعبدت بها شعوب العالم بسبب ألوانها الحمراء في أمريكا اللاتينية ، والصفراء في جنوب شرقي آسيا ، والسوداء في أفريقيا ، والسمراء ، والبيضاء في وسط آسيا ، وغربها. وهي وإن لم تكتف بذلك شنت الحروب على نفسها كما فعلت في أوروبا؛ وحافزها ، ومبررها في ذلك تعصبها إلى أجناسها. إن ألمانيا شنت حربين عالميتين في هذا القرن على باقي الدول الأوروبية؛ مبررة ذلك في تفوق الجنس الآري الذي تنتمي إليه على الأجناس الانجلو سكسونية ، واللاتينية . وها هي إسرائيل تتهيأ الآن لإعلان الحرب الكونية الثالثة على شعوب العالم ، وهي تبرر ذلك بتفوق شعب الله المختار على باقي الشعوب.

ثالثاً : إنها ثقافة متوازنة : جمعت بين جميع جوانب الحياة : الغريزية ، والفطرية ، والمادية، والروحية، والدنيوية ؛ والأخروية ، والحياتية ؛ والعبادية ، ودون

شطط بينها من حيث المعالجة ، والإشباع . فالثقافة الإسلامية ثقافة دنيا ، ودين ، وثقافة مادة ، وروح ، وتقتضي مظاهرها التوازنية معالجة الأمور الدنيوية ، والدينية معا دون تفريط في إحداها أو إفراط ؛ وبالتغلب للقيم الروحية على المادية عملا بقاعدة المعالجة في الإشباع، والمؤصلة في قوله تعالى :"وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا" القصص آية ٧٧ .

فقد بدأ بالدار الآخرة، وقرنها بال التعريف لتكون هي الأولى في الاستعداد، والعمل لها. وعندما تكلم عن الدنيا جعلها الثانية، واسبقها بمنْ، ومنْ في اللغة تفيد التبعيض. ولكن لا يعني هذا أن الإسلام حرمنا من الدنيا، وإنما قصد تغليب الآخرة على الدنيا ليس إلاّ. ومن اجل ذلك، وتأصيلا لشواهد التوازن بين الدين، والدنيا قال "صلى الله عليه وسلم" :"ليس بخيركم من ترك دنياه لأخرته، وليس بخيركم من ترك أخرته لدنياه" رواه ابن عساكر، والديلمي. وقد جاء في الأثر :"اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً". وتقتضي توازنية الثقافة الإسلامية الإشباع المتناسق والمتكامل للحاجات الحياتية الدنيوية منها، والعبادية فلا يجوز أن تشبع الثانية، وتترك الأولى، ولا يجوز للمسلم أن يهتم بالعبادات، ويترك المعاملات، والعلاقات. فلا يجوز له أن يحافظ على الصلاة ، ويترك الزواج؛ أو أن يحافظ على الصيام، ويترك الإفطار؛ أو أن يقوم الليل، ولا ينام. وكما ورد في السنة النبوية النهي عن كل هذا ، وكما ورد في الحديث الشريف عن انس رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي "صلى الله عليه وسلم" يسألون عن عبادة النبي "صلى الله عليه وسلم" ، فلما اخبروا ، كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبي "صلى الله عليه وسلم" وقد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فاصلي الليل أبدا ، وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ، ولا افطر ، وقال آخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله "صلى الله عليه وسلم" إليهم

فقال: "أنتم الذين قلتم كذا ، وكذا !! أما والله، إني لأخشاكم لله ، واتقاكم له لكني أصوم، وافطر ؛ واصلي، وارقد ؛ واتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي ، فليس مني" رواه البخاري في باب النكاح .

إنها ثقافة تجمع بين الدين ، والدولة ؛ وبين السياسة ، والحكم ؛ وبين الاقتصاد، والاجتماع ؛ وبين العبادة ، والعمل ؛ وبين الجهاد ، والمحراب؛ وبين الإمامة ، والتجارة؛ وبين الفقه ، والإمامة ؛ وبين التشدد ، والتلطف ؛ وبين الشدة، والرحمة ؛ وبين العزة ، والتواضع ؛ وبين الزعامة ، والتذلل ؛ وبين الكبرياء ، والخشوع ، وبين العظمة ، والتسامح .

إن توازنية الثقافة الإسلامية تعكس توازنية التعانق بين الأحكام ؛ فلا مجال للأخذ ببعضها ، وترك بعضها ؛ ولا مجال للفصل بين أحكام العبادات، وأحكام المصالح، والأحوال، ولا مجال للفصل بين أحكام الشرع ، وقوانين السياسة. فأحكام الشرع، وهي ما شرعه الله من الدين، والعبادة : كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج، وقوانين السياسة ؛ وهي ما وضع من أحكام لرعاية الآداب ، والمصالح، والأحوال كلها متلازمة ، ومتوازنة من حيث العمل بها ، وإقامتها ، وتنفيذها ، وإناطة الدولة بها.

فأحكام الدين ، وأحكام السياسة كلها خاضعة لهيمنة ، وحكم، وقضاء الشريعة الإسلامية . وكما يقول الإمام المقريزي ٧٦٦هـ - ٨٤٥ هـ . ١٣٦٥م-١٤٤١م في معرض كلامه عن التوازن بين هذين النوعين من الأحكام في مجال العمل بهما : "اعلم أن الناس في زماننا بل ومنذ الدولة التركية المملوكية بديار مصر ، والشام يرون أن الأحكام على قسمين : حكم الشرع ، وحكم السياسة . فالشريعة هي ما شرع الله تعالى من الدين ، وأمر به : كالصلاة ، والحج ، وسائر أنواع البر . والسياسة هي القانون الموضوع لرعاية الآداب ، والمصالح ، وانتظام الأحوال. والسياسة نوعان: سياسة عادلة تخرج

الحق من الظالم الفاجر ، فهي من الأحكام الشرعية . وسياسة ظالمة ، فالشريعة تحرمها"[1] . فأمر صلاح الدين بأحكام الشرع، وأمر صلاح السياسة بأحكام، وقوانين رعاية الآداب ، والمصالح يقع ضمن دائرة الأحكام التي تتناولها الثقافة الإسلامية ، وتوكل أمر تنفيذها إلى الإمام ، فلا فصل ، ولا خلل ، ولا تفريط بالنسبة للأحكام المنوطة بالدولة ؛ ولا فرق بين ما هو ديني شرعي ، وبين ما هو قانون سياسي ، وكلاهما يدخل ضمن التوازنية في التطبيق ، والتي تتصف بها الثقافة الإسلامية ، وتدعو إليها.

إنها ثقافة روح ، وحياة ، ودين ودنيا ، وآخره . بثقافتنا ، وبشواهدها التوازنية نسعد ، ونرقى، وبدونها نشقى ، ونتخلف .

رابعا : **إنها ثقافة عادلة** : لأنها ثقافة عقدية تستند في أصولها ، ومظاهرها إلى عقيدة التوحيد عقيدة الإسلام . والعدل كما هو معلوم بالنسبة لنا لا يتحقق إلا بتطبيق أحكام الشرع ، والعلم بثقافة الشرع . لقد تكررت كلمة العدل في القرآن ثمان وعشرين مرة ، وتكرر مرادفها القسط خمساً وعشرين مرة. في حين وردت كلمة الظلم بمفرداتها في مائتين، وثمان، وثمانين آية . تعكس عالمية الثقافة الإسلامية عدالتها العالمية ، وبالنسبة لجميع الأمم ، والشعوب ؛ لان عدالة الإسلام هي الغاية التي بعث من اجلها الرسل بالبينات كما قال تعالى :"لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" الحديد آية ٢٥ .

لقد أمر الله بالعدل ، وقرنه بالإحسان ، وبالنسبة لجميع جوانب الحياة الإنسانية في الحكم ، وفي المعاملات ، وفي العلاقات ، فقال تعالى :"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" النحل آية ٩٠.

---

(١) المقريزي – الخطط ٣٩ ص٦٠-٦٣ .

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره عن ابن مسعود قوله :"هذه اجمع آية في القرآن لخير يمتثل ، ولشر يجتنب . والفحشاء : كل ما تناهى قبحه ، كالزنا ، والشرك والمنكر : كل ما تنكره الفطرة. والبغي: هو الظلم ، وتجاوز الحق ، والعدل"[1] .

إن عالمية الثقافة الإسلامية تمتد في عدالتها لتتناول حتى وجوب العدالة مع الكفار؛ وذلك لأن عدالة الإسلام تعني وضع الحق في نصابه ، ولو كان الطرف الآخر كافرا غير مسلم ، ولو كان عدوا غير صديق. لقد عبر القرآن الكريم عن هذا النوع من العدالة ، والذي لا تعرفه ثقافات الكفر غير الإسلامية بقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون" المائدة آية ٨.

قال الإمام الزمخشري في تفسيره :"وفي هذا تنبيه عظيم على أن العدل كان واجباً مع الكفار الذين هم أعداء الله ، وهو بهذا الصفة من القوة ، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه ، وأحباؤه"[2] .

وإذا كانت التقوى هي أهم بواعث إقامة العدل ، فهذا أمر تفتقده ثقافات غير الإسلام ؛ وبالتالي لا يجوز أن توصف هذه الثقافات بأنها عادلة ، وستبقى ظالمة، وإلى قيام الساعة ؛ لأنها لا تستند في أصولها إلى شرع الله. ومن ثم العدل هو عدل الله ، لا عدل البشر، والخير هو خير الله لا خير العقل. والصواب هو صواب القانون الثقافي الرباني لا القانوني الثقافي الوضعي الرأسمالي ، أو الشيوعي. والهدى هو هدى حكم الشورى لا حكم الديمقراطية. نقولها بملء فينا: إن عدالة ثقافتنا الإسلامية تكمن فيها شواهد حياتنا ، وتتأصل استنادا إليها عوامل نهضتنا. قال تعالى :"يا أيها الذين آمنوا

---

(١) القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ١٠ ص١٦٥ .

(٢) الزمخشري – تفسير الكشاف جـ١ ص٤٧٦ .

استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم" الأنفال آية ٢٤ قال السدي :"ففي الإسلام أحياؤهم بعد موتهم بالكفر"(١) .

وقال قتاده :"هو القرآن فيه الحياة ، والثقة ، والنجاة ، والعصمة في الدنيا ، والآخرة"(٢) . إن عدالة الثقافة الإسلامية عدالة إلهية، ولذلك فهي لا تتجزأ ، ولذلك تعم هذه العدالة جميع جوانب الحياة الإنسانية ؛ لان إقامة العدل الذي تتبناه الثقافة الإسلامية أمر واجب في كل شيء ، ولكل واحد . وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيميه :"العدل أمر واجب في كل شيء ، ولكل واحد ؛ والظلم لا يحل لكل أحد سواء كان مسلما ، أو كافرا، أو ظالما" .

إن عدالة الثقافة الإسلامية لا تنحصر في جانب حياتي دون آخر ، أو في نطاق دون آخر ، أو في نشاط إنساني دون آخر . وذلك لأنها عدالة إلهية ؛ وهذه العدالة تتنافى تماما مع جزئية التناول لها ، أو تطبيقها . وهذه سنة الله في خلقة ، وهذه سنته في عدالته تمتد لتشمل الجوانب الحياتية : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وضمن جميع النشاطات ، والعلاقات ، والمعاملات ، سواء التي بين الأفراد أنفسهم ، أو بينهم ، وبين الدولة .

لا نبالغ لو قلنا : إن ثقافة الإسلام في عدالتها تعتبر روح حياتنا ، وفي غيابها يجل علينا موتنا . إنها جوهر الانتظام للعلائق الإنسانية ، وجوهر ضبطها ، وتسييسها إنها عماد كل القيم الفاضلة ، وكل المثل الإنسانية ، وكل توازن ، وتناسق في مجال المعاملات، والنشاطات ، والى درجة أن الحياة تستحيل بدون تلك المثل ، والقيم ، وتتعقد في غياب ثقافة الإسلام .

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٢٩٧ .

(٢) الطبري – تفسير جامع البيان جـ١٣ ص٤٦٨ .

إن عدالة ثقافة الإسلام تقتضي إقامة التوازن بين أولويات الإشباع للمصالح ، والمقاصد بدءا بالضرورات ثم الحاجيات ثم الكماليات. وبمثل هذا التوازن تستقيم الحياة، وبمثله استقامت الحياة في المجتمعات الإسلامية ، وازدهرت مستويات المعيشة فيها ، وطيلة قرون عديدة، ولمئات من الأجيال. لقد لخص "العباس بن عبد المطلب" أركان العدل في كلمته إلى عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" الله عنه إذ قال له: "أربع من عمل بهنّ ، استوجب العدل : الأمانة في المال ، والتسوية في القسم ، والوفاء بالعدة ، والخروج من العيوب ، نظف نفسك ، واهلك"[(١)] .

لقد أصّلت السنة النبوية وجوب العدل مراراً ، وفي اكثر من موقع ، ومنها قوله "صلى الله عليه وسلم" :"ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة" أخرجه البراني من حديث ابن عباس بسند صحيح.

وفي الحديث القدسي :"إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا" رواه مسلم.

قال ابن تيمية :"وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا" تجمع الدين كله ، فان ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم ؛ وكل ما أمر به راجع إلى العدل"[(٢)] .

لقد جعلت ثقافة الإسلام عدل الحاكم أمانة في عنقه ؛ لأنه أهم أنواع العدالة ، وبه تستقيم الأمور ، ومن ثم جعلت ، واعتبرت فقدان هذه الأمانة من أشراط قيام الساعة، فقد روى البخاري عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" :"إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة" .

---

(١) الطبري – تاريخ الأمم والملوك جـ٤ ص٦٤ .

(٢) ابن تيمية – الفتاوي الكبرى جـ١ ص٤١٤ .

إن حمل الأمانة بالنسبة للحكم يتمثل في عدالته ، وخشية الحاكم من الله. ولذلك روى أهل السنن أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" قال :"القضاة ثلاثة : قاضيان في النار، وقاض في الجنة . فرجل علم الحق ، وقضى بخلافه ، ورجل قضى بين الناس على جهل، فهو في النار ؛ ورجل علم الحق ، وقضى به فهو في الجنة" رواه أبو داوود .

خامساً – إنها ثقافة أخلاقية – لأنها تستند في أصولها ، ومبادئها ، وأهدافها إلى عقيدة الإيمان عقيدة التوحيد، عقيدة الإسلام ، عقيدة الفضائل ، والمكارم . وفي نفس الوقت تدعو إلى تكريس القيم الأخلاقية ، والفضائل السلوكية ، والمثل المحمودة ؛ وتعتبر التحلي بمكارم الأخلاق واجبا في حق الفرد ، والجماعة ، والدولة . وقد عرّف الإمام القرطبي الأخلاق بقوله : "الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره ، وهي محمودة أو مذمومة : كالعفو ، والحلم ، والجود ، والصبر ، وتحمل الأذى ، والرحمة، والشفقة ، وقضاء الحوائج ، والتودد ، ولين الجانب ، ونحو ذلك؛ والمذمومة ضد ذلك" إن منزلة الأخلاق في الثقافة الإسلامية كبيرة؛ ومن اجل ذلك اعتبرها العلماء من المعلوم من الدين بالضرورة ؛ وقد فاضت النصوص الإلهية القرآنية ، والنبوية بذكر محاسنها ، والدعوة إليها ، ونبذ رذائل الأخلاق ، وجعلت كل ذلك شرطا من شروط إيمان المسلم.

إن الثقافة الإسلامية ليست ثقافة ركوع لله ، وسجود فقط ، وإنما ثقافة معاملات وعلاقات أيضا . فالإسلام دين ، وأخلاق ، ولين ، وتسامح ، وعفو ، وعهد ، وتقوى ، وإيمان ، ورفق ، وتواضع . قال تعالى واصفاً خلق عباده :"وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً" الفرقان آية ٦٣ .

إنها ثقافة الدين كله في سمو أخلاقياتها كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري، ومسلم :"أن رجلا جاء إلى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقال : يا رسول الله، ما الدين ؟ فقال الرسول "صلى الله عليه وسلم" : حسن الخلق " وإن الخلق بالنسبة للثقافة الإسلامية

دلالة على كمال الإيمان؛ مؤصل هذا المعنى في قوله "صلى الله عليه وسلم" "إن اكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا" رواه ابن أبي شيبه من حديث أبي هريرة، وهو صحيح ، وإن الإيمان ينتفي عن المسلم بانتفاء خلقة كما ورد في قوله "صلى الله عليه وسلم" :"لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له" رواه احمد ، وابن حبان في صحيحه عن انس .

ولذلك عندما سئل الرسول "صلى الله عليه وسلم" عن المسلم قال :"المسلم من سلم الناس من يده ، ولسانه" رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

إن حسن الخلق الذي تتبناه الثقافة الإسلامية ، وتدعو إليه تقرنه السنة النبوية بالتقوى ، وتجعله سببا لدخول الجنة كما ورد في قوله "صلى الله عليه وسلم" :"اثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله ، وحسن الخلق" رواه احمد بن نصر من رواية أبي العلاء من كتاب تعظيم قدر العقلاء . وقوله "صلى الله عليه وسلم" :"اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله ، وحسن الخلق" رواه الترمذي ، والحاكم. لقد توجت العناية الإلهية سيد البشر محمد رسول الله ، بتاج المحامد ، وهو حسن الخلق ، فقال فيه ربه: "وإنك لعلى خلق عظيم" القلم آية ٤ .

تستهدف الثقافة الإسلامية في نشر محاسن الأخلاق تربية الأفراد ، والأجيال المسلمة ، حتى يكونوا طليعة من يقتدي بهم من البشر في سلوكهم ، وأعمالهم ، ومعاملاتهم ، وفي عاداتهم ، وتقاليدهم ، وأفراحهم ، وأحزانهم ، وأزيائهم ، وفنونهم ، وغنائهم ، ورقصهم ، وجدهم ، ولهوهم ، ورسمهم ، وأدبهم . إنها ثقافة أصيلة غمرت محاسنها ، وأخلاقياتها جميع المعاملات ، وجميع العلاقات سواء التي بين المسلمين ، أو التي بينهم ، وبين غيرهم من الأمم الكافرة.

لقد صححت الثقافة الإسلامية علاقات الناس بربهم ، وجعلت الربوبية ، والعبودية، والتذلل ، والخشوع له وحده. بل وحرمت السجود لغير الله . قال ابن مجلز

"رضي الله عنه" :"خرج معاوية على ابن الزبير ، وابن عامر فقال معاوية : اجلس ، فإني سمعت رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يقول : "من احب أن يمثل له الرجال قياما ، فليتبوأ مقعدة من النار" رواه أبو داوود ، والترمذي. ولهذا قال انس خادم الرسول "صلى الله عليه وسلم" :"لم يكن شخص احب إليهم من النبي "صلى الله عليه وسلم" ، وكانوا إذا رأوه ، لم يقوموا له من كراهيته لذلك" . رواه الترمذي بسند صحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "تقبيل الأرض ، ووضع الرأس مما فيه السجود مما يفعل قدام بعض الشيوخ ، وبعض الملوك لا يجوز. بل لا يجوز الانحناء كالركوع أيضا كما قالوا للنبي "صلى الله عليه وسلم" : "الرجل منا يلقى أخاه أينحني له؟ قال : لا"(1).

لقد صححت الثقافة الإسلامية علاقة الحاكم بالمحكوم ، والغني بالفقير ، والقوي بالضعيف ، والقادر بالعاجز ، فسادت الطمأنينة مجتمعات الإسلام ، وعاش المسلمون في بحبوحة من الأمن ، والاستقرار ؛ وعندما تكون الثقافة مبنية على طاعة الله يسود الوئام بين الحاكم ، والمحكومين ، فلا يكون هناك ظلم ، ولا علو ، ولا استعلاء ، ولا إجحاف. وعلى العكس من ذلك فعندما تكون الثقافة مبنية على طاعة الحاكم ، ومستندة إلى قانونه الوضعي ، يسود الخصام بين الحاكم ، والمحكومين، ويعم الظلم وينشر الفساد ، وتستشري المحسوبية ، والرشوة ، وفساد الأخلاق ، وتعم الفوضى، ويعتدي الأفراد على بعضهم ، ويأكلون حقوق بعض ، ويقتلون ، وينهبون ، ويغتصبون دون خوف من أحد ، أو وازع من ضمير . لقد حكّمت الثقافة الغربية قانونها الوضعي ، فلم يسد الفجوة القائمة في دائرة فساد الأخلاق ، واعترف فلاسفتها انه يجب أن يكون وراء هذا القانون قانون آخر لتحقيق العدل في المجتمع. ولذلك تلزم المحاكم في مجتمعات الكفر

الرأسمالية ، والإلحادية المجرمين ، والشهود أن يقسموا بالله ، وبشهادة التوراة ، والإنجيل أن يقولوا الحق . وهذا دليل منهم – وهم يفصلون الدين عن الدولة ، وينكرونه في مجـــال السياسة ، والعلاقات –على أهمية القانون الديني، وضرورته لصـــلاح أخـــلاق النـــاس ، وانضباطهم . ولذلك يعترف أصحاب المدرسة التاريخية من رجال القانون الوضعـــي : إن أي تشريع لن يصيب هدفه ، وإن أي قانون لا يصلح أخلاق الناس إلا إذا كـــان مطابقـــا للاعتقادات الدينية السائدة في المجتمع ، ونابعا منها ؛ وإن لم يكن القانون مثل ذلك ، كـــان هناك الفشل الذريع.

وحتى تؤتي الثقافة أينما كانت أكلـــها الأخلاقيـــة ، والإصلاحيـــة ، والعدليـــة ، والاحسانية ، يجب أن تغذي أبناءها ، ومثقفيها بلبان الوازع الديني ، وما يعبر عنه أحيانـــا بوازع الضمير . وأن تغرس في قلوب المنتسبين إليها الخوف من الله خالقهم ، والخشـــية من قانونه الإلهي قبل الخشية من القانون الوضعي ؛ لان الفرد لا يصلح خلقيـــا بمراقبتـــه للقانون ، وإنما بعلمه بمراقبة الله له . وتعاليم الثقافة الإسلامية خـــير منهجيـــة لتكريـــس الأخلاق الفاضلة في النفوس ، وتجعل بل تشعر المذنب دوما انه عاص أمام الله ؛ فيعمـــل جاهدا على التوبة من عصيانه . إن عقيدة التوحيد الإلهية ، وأن أنظمتها الإلهية في مجـــال المعاملات ، والعلاقات ، والي تنبني عليها ثقافة الإسلام تجعل منها خير ثقافـــة أخرجـــت للناس ، وأمتها خير أمة أخرجت للناس.

إن الحق الإلهي الذي تقوم عليه الثقافة الإسلامية واحد لا يتعدد، ودائم لا يـــزول، ومشرق دوما لا يغيب . وفي غيابه ، والمتمثل في غياب الثقافة الإسلامية عن الميدان في معظم المجتمعات ، ومنها العربية، والإسلامية هذه الأيام نرى أن الأخـــلاق قـــد فســـدت القلوب ، فتحجرت النفوس؛ وجشعت. وبدلا من أن يصلح الناس خلقيا بقوانين الديمقراطية

---

(١) ابن تيمية – الفتاوي الكبرى جـــ١ ص١٣٨ .

فسدوا ، وحكمتهم ثقافة جاهلية عبودية البشر للبشر ، وعاشوا تحت ظلمات الحاكمية البشرية بدلا من حاكمية الله . يقول الشهيد سيد قطب في كتابه معالم في الطريق : "حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية تكون هذه الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملا ، وحقيقيا من العبودية للبشر"(١) .

---

(١) سيد قطب – معالم في الطريق ص١٠٨ و ص ١٤٩ .

مصادر الثقافة الإسلامية وأهمها :

أولاً : القرآن الكريم : ويعرف :"بأنه كلام الله العربي الموحى به المنزل علـــى الرســـول صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته المعجز المتحدى به ، وبـأقصر سورة منه"[1] .

وهو اعظم كتاب وجد على ظهر هذه البسيطة ، وهو معجزة افضـــل الأنبيـــاء ، والرسل محمد "صلى الله عليه وسلم" الخالدة ، ولا تنقضي بانقضـــــاء ازمانـــها ، وفنـــاء شعوبها كالكتب السماوية الأخرى ، ومعجزات أنبيائها الحسية. ويشاهد ، ويقرا بـــالبصيرة لا بالبصر فقط ، فيبقى معجزا بآياته ، وبيانـــه ، وتشـــريعاته ، وأحكامـــه ، وقصصـــه، وغيبياته ، وحقائق علومه ؛ حفظته العناية الإلهية من التحريف ، والضياع مصداق قولـــه تعالى :"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" الحجر آية ٩ .

لا يغسل بالماء ، ولا يفنى ، يقرأه المسلم، وهو نائم ، وهو يقظان مصداق قولـــه "صلى الله عليه وسلم" : "إن ربي قال لي : قم في قريش ، فانذرهم ؟ فقلت لـــه : أي رب ، إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة. فقال : إني مبتليك ، ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقراه نائما ، ويقظانا، فابعث جندا ، ابعث مثلهم ، وقاتل بمن أطـــاعك مـــن عصاك ، وانفق ، ينفق عليك" رواه مسلم . وهو الكتاب الوحيد الذي مجرد تلاوته عبـــادة ، وتجزئ في الصلاة ، وتصح بها ، ولا تصح بغيره . قال "صلى الله عليه وسلم" :"من قـــرأ حرفا من كتاب الله، فله حسنة ؛ والحسنة بعشر أمثالها : لا أقول : آلم حرف . ولكن ألـــف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف" رواه الترمذي عن ابن مسعود.

---

(١) ينظر في تحليل التعريف : دكتور غازي عناية ، هدى الفرقان في علوم القرآن جـــ١ ص٢٢ .

وهو الكتاب الوحيد الذي قراءته واجبه ، وبها تعمر القلوب ، والصدور ، وخلوها منه كالبيت الخرب قال تعالى :"فاقرأوا ما تيسر من القرآن" المزمل آية ٢٠ .

وهو الكتاب الوحيد الذي يتعوذ عند قراءته بالله من الشيطان الرجيم مصداق قوله تعالى :"فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" النحل آية ٩٨ .

وهو الكتاب الوحيد الذي يجب الاستماع ، والإنصات عند قراءته مصداق قولـــه تعالى "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون" الأعراف آية ٢٠٤ .

وهو الكتاب الوحيد الذي يسجد لتلاوته مصداق قوله تعالى :"إنما يؤمـــن بآياتنـــا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون" السجدة آيـــة ١٥. وهو الكتاب الوحيد المبين المفصل لكل شيء مصداق قوله تعالى :"ونزلنا عليك الكتـــاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين" النحل آية ٨٩ .

وهو الكتاب الوحيد الذي يتمتع بخصائصه وعجائبـــه الثوابيـــة ، والقصصيـــة ، والخبرية ، والعملية ، والعدلية مصداق قوله "صلى الله عليه وسلم" :"ستكون فتن قلت: فما المخرج يا رسول الله؟! قال : كتاب الله ، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكـــم مـــا بينكم. وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار، قصمه الله ؛ ومن ابتغى الهدى فـــي غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم، وهـــو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق علـــى كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه. من قال به ، صدق ؛ ومن عمل به ، اجر، ومن حكم بـــه عدل. ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم" رواه الدارمي ، والترمذي، وغيرهمـــا مـــن طريق الحارث بن الأعور عن علي بن أبي طالب. وهو الكتـــاب الوحيـــد الـــذي تتمتـــع موضوعاته بالأهمية الكبرى بالنسبة للعلوم الإسلامية ، وهو أهم مصدر لها، ومن اشـــهر علومه : الوحي ، والتنزيل ، والتفسير ، والإعجاز ، والمكي والمدني ، وجمع القـــرآن ،

ورسمه ، ومنطوقه ، ومفهومه، ومجمله ، ومبينه ، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد، وجدل القرآن ، وأمثاله ، وناسخه ومنسوخه ، وكناياته ، وفضائله ، وغريبة ، ووجوه ونظائر القرآن ، وأشباه ووجوه القرآن، وأقسامه، ومجازة ، وكناياته ، ومبهماته ، وخواصه ، وفضائله .

ثانياً : السنة النبوية :

وتعرف : "بأنها كل ما صدر عن النبي "صلى الله عليه وسلم" من قول ، أو فعل، أو تقرير". وتأتي السنة النبوية في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر الثقافة الإسلامية . وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، وهي واجبه الإتباع لقوله تعالى : "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" الحشر آية ٧ .

ولقوله "صلى الله عليه وسلم" :"من رغب عن سنتي ، فليس مني" رواه الترمذي ومسلم ، واحمد . والسنة النبوية بيان للقرآن ، وتأكيد ، وتوضيح ، وتفسير لمجمله ، وتفصيل لأحكامه لقوله تعالى : "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" النحل آية٤٤.

ولقوله تعالى :"ثم إنّ علينا بيانه" القيامة آية ١٩ . أي بلسانك يا محمد . والسنة في الأمور التكليفية ، والتشريعية وحي من الله تعالى ، ولكنها تختلف عن وحي القرآن في أمور منها : أن المعنى من الله ، واللفظ من الرسول "صلى الله عليه وسلم" وانه لا يتعبد بتلاوتها ، وأنها لم تحفظها العناية الإلهية من التحريف ؛ فكان منها: الحسن ، والضعيف ، والموضوع ، وكان منها التواتر ، والآحاد ، وكان منها : المرسل ، والمشهور ، والمنقطع، والمعضل ، والموقوف .

وتعتبر السنة النبوية مصدرا مهما من مصادر التشريع، والثقافة الإسلامية. وقد استند إليها في تفسير القرآن الكريم ، واستخراج الأحكام الشرعية، وتجد عناية فائقة من قبل علماء المسلمين؛ وقد تخصص الكثيرون منهم في دراستها ، وتدوينها ، واهم كتبها : صحيح البخاري ، وهو الكتاب الثاني بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر الثقافة الإسلامية ، وعلومها ، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي ، وسنن أبي داوود ، وسنن ابن ماجه ، وسنن النسائي ، وموطأ مالك ، وهو اقدم كتاب في الحديث ما زال موجودا إلى الآن ، ومسند الإمام احمد بن حنبل ، ومسند الإمام الشافعي ، وسنن الدار قطني ، والبيهقي ، وغيرها.

ثالثا : الإجماع : ويعرف : "بأنه الاتفاق على حكم واقعة من الوقائع بأنه حكم شرعي" يعد إجماع الصحابة رضوان الله عليهم أهم مصدر ثالث من مصادر الثقافة الإسلامية ، والتشريع الإسلامي ، ويعتد به ، ولا يجوز تجاوزه ، أو تركه ، أو عدم التقيد به ، فهم أدرى الناس بالشريعة الإسلامية ، وأحكامها.

رابعاً : القياس : ويعرف :"بأنه إلحاق فرع بأصل في الحكم لأمر جامع بينهما، وهو علة الحكم" . ويعد القياس أهم رابع مصدر من مصادر الثقافة الإسلامية، والتشريع الإسلامي. وقد اشتغل علماء المسلمين به ، ونسبوا إليه ، واستندوا إليه في تأصيل كثير من الأحكام الشرعية . وقد استخدمته السنة النبوية . ومما جاء في القياس ما رواه الدار قطني عن ابن عباس قال :"أتى النبي رجل ، فقال: إن أبي مات ، وعليه حج الإسلام ، أفحج عنه؟! قال : أرايت لو أن أباك ترك دينا عليه اقضيته عنه؟ قال : نعم قال : فاحجج عنه". وهذا الحديث يستند إليه العلماء بالقول بمشروعية القياس. ومنه أيضا : تحريم تعاطي أشغال الدنيا عند رفع النداء الثاني لصلاة الجمعة قياسا على تحريم تعاطي البيع ،

في هذا الوقت ، والذي ذكرته الآية القرآنية :"يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" الجمعة آية ٩ .

خامساً : **الفقه** : ويعرف : "بأنه العلم المتعلق باستخراج الأحكام الشرعية من مصادرها" . ويعرف أيضا : "بأنه الأحكام الشرعية العملية التي استنبطها العلماء المجتهدون من الأدلة الشرعية التفصيلية لتنظيم معالجة شئون الحياة ، والوقائع ، والمشاكل" .

فالفقه علم شامل لجميع مسائل الحياة ، ومنظم لجميع العلاقات الإنسانية سواء علاقات الإنسان بربه ، أو علاقاته بنفسه ، أو علاقاته مع الآخرين.

ويعد الفقه بعلومه مصدرا مهما من مصادر الثقافة الإسلامية ، والتشريع الإسلامي خاصة انه يتعلق بعملية استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها ، وأدلتها الشرعية خاصة : الكتاب ، والسنة. ويعول عليه في إيجاد الحلول الشرعية ، والفتاوي التي تحلل للناس الحلال ، وتحرم عليهم الحرام. وتتمثل أهمية الفقه في انه يتطلب فهما عميقا للقرآن ، والسنة ، ولذلك قيل : إن الفقيه هو اقدر الناس على تفسير القرآن الكريم، وفهمه .

وقد حض القرآن الكريم على علم الفقه ، والتفقه في الدين ، وضرورة التفرغ له، فقال تعالى: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" التوبة آية ١٢٢ .

وقد حضت السنة النبوية أيضا على تعلم الفقه ، واعتبرته خيرا. قال "صلى الله عليه وسلم" :"من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" رواه البخاري. وقال :"اطلبوا العلم ولو بالصين، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم" رواه البيهقي . وقال "صلى الله عليه وسلم"

منبها على فضل الفقه في العبادة: "فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد" رواه الترمذي ، وقال أيضا :"التفقه في الدين حق على كل مسلم"[1] .

وقد وجد هذا المصدر الثقافي عناية كبرى ، وما زال من قبل علماء المسلمين واشتهر الكثير منهم في هذا العلم ، ومنهم : الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ، والشافعي ، واحمد بن حنبل ، ومالك ، وألفت الكتب ، والمدونات ، والمراجع العديدة فيه ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: المدونة الكبرى للإمام مالك بن انس ٩٣هـ - ١٧٩هـ رواية سحنون ، ويقع في اثني عشر جزءاً. والمبسوط للإمام السرخسي المتوفى عام ٤٨٣ هـ ويقع في ثلاثين جزءا. والأم للإمام الشافعي (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ) ويقع في سبعة أجزاء. والفتاوي الكبرى للإمام الشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى عام ٧٢٨هـ ويقع في سبعة وثلاثين جزءاً. والمحلى للإمام ابن حزم المتوفى عام ٤٥٦هـ ويقع في أحد عشر جزءاً . والمغني للإمام المقدسي ابن قدامه المتوفى عام ٦٢٠هـ . والذي قال فيه عز الدين عبد السلام : "ما طابت نفسي بالفقه حتى صار عندي نسخة عن المغني" ويقع المغني في اثني عشر جزءاً .

سادسا : **التاريخ الإسلامي** : ويعتبر مصدراً مهما من مصادر الثقافة الإسلامية، وسجلا حافلا لأعمال، وحوادث، ووقائع الحياة الإسلامية بدءا من حياة الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وسيرته التي فاقت نظيراتها من سير الأنبياء، والرسل الآخرين . وقد دون أصحاب السير كل أعماله "صلى الله عليه وسلم" في دعوته ، وتبليغه لرسالته ، وجهاده ، وغزواته ، وفتوحاته ، وأسفاره، وعلاقاته ، وأعماله ، وسلوكاته ؛ فكانت سيرته ،وتاريخه المجيد أساسا متينا، وواقعيا للتاريخ الإسلامي ، ومستندا قويا للصحابة ، والتابعين ، وتابعي التابعين ، ومن والاهم ، وللمسلمين بإحسان إلى يوم الدين . اتخذوها مصدرا

---

(١) أبو بكر ثابت البغدادي - كتاب : الفقيه والمتفقه جـ٢ ص٤٤ . طبعة بيروت .

لثقافتهم باعتبار سيرته "صلى الله عليه وسلم" قدوة ، ومنهجا لما يجب أن تكون عليه سيرهم ، وأعمالهم إلى يوم القيامة. قال تعالى : "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" الأحزاب آية ٢١ . وقد تفرد عديد من العلماء المسلمين لكتابة السيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي المجيد بحوادثه ، ووقائعه ، وحروبه ، وغزواته ، ومعاركه ، وإصلاحاته . ومن مؤلفات السيرة النبوية سيرة النبي لابن اسحق المتوفى عام ١٥٢هـ وسيرة النبي لابن هشام المتوفي عام ٢١٣ هـ وتقع في أربعة أجزاء . والسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين المتوفى ١٠٤٤هـ وحياة محمد لمحمد حسين هيكل . وفقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ، والسيرة النبوية للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي .

وقد اعتمدت منهجيتهم في كتابة التاريخ الإسلامي على الرواية بصفة أساسيه كما فعل الإمام محمد بن جرير الطبري في كتابه : تاريخ الرسل ، والملوك ، وابن سعد في الطبقات ، وابن الأثير في الكامل ، وغيرهم كثير . ولقد كرست أعمال المؤرخين مقولة : شعب بلا تاريخ هو شعب بلا مستقبل.

سابعاً – اللغة العربية : وتعود أهمية هذا المصدر الحيوي إلى أن الثقافة الإسلامية لا يمكن أن تفهم ، ولا يمكن أن تطبق على ، وفي ميدان الواقع إلا بالإلمام ، وفهم اللغة العربية . فلا إسلام بدون لغة عربية لغة القرآن ، والسنة النبوية ، والفقه ، والتشريع ، والتاريخ . وهي القاسم المشترك بين مصادر الثقافة الإسلامية يستحيل أن تفهم، أو تهضم ، أو تطبق ، أو يعمل بها بعيدا عن اللغة العربية . ويجمع اللغويون في جميع أنحاء الأرض بأنها أغنى، وأرقى لغة في العالم ، وبحيث يستحيل استبدالها بأية لغة أخرى في كمال التعبير عن المعاني، والدلالة على المراد. ويتسم هذا المصدر الثقافي بسمات خاصة تجعله مصدرا مميزا في دلالاته ، وتعبيراته ، واستعاراته ، وكناياته ، ومجازاته ، وجناسه ، وطباقه ، وبلاغته ، وفصاحته ، ومفرداته ، وتراكيبه، وتورياته ،

وحروفه ، والتي ينفرد ببعضها من دون اللغات العالمية كحرف الضاد . ولذلـــك ســميت اللغة العربية بلغة الضاد حيث لا يوجد هذا الحرف في غيرها من اللغات.

ولعل اعظم تكريم لهذا المصدر الثقافي الإسلامي يتمثل في أن القرآن الكريم نزل به،ولم ينزل بغيرة مصداق قوله تعالى :"إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" يوسف آية٢.

وقوله تعالى : "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" الزخرف آية ٣ .

وقد حرص المسلمون ، ولا يزالون على دراســـة اللغـــة العربيـــة ، وفهمـــها ، وضبطها ، وتحديد ألفاظها ، وتقنين علومها . فألفوا فيها المعاجم اللغوية ، ومراجع النحو، والصرف ، والبلاغة ، والعروض، والشعر ، والأدب بأنواعه ؛ ولقد ساعدهم في ذلـــك، وساعد على حفظها نزول القرآن بها. فهي باقية ببقائه لا تزول أبدا حيث تعهدتها العنايـــة الإلهية بالحفظ من الزوال ، ولم تعهد غيرها كاللغة الفرعونية الهيروغليفية ، والإغريقية ، القديمة ، واللاتينية، والرومانية القديمة. إن الثقافة الإسلامية غنية بمصادرها لا تضاهيـــها في هذا المضمار أية ثقافة، **فيكفي القول** : بـــان مصادرهـــا ربانيـــة، غنيـــة بعلومـــها ، ومعارفها؛ وتشمل علوم الدين، والدنيا معا. وعلى المسلم المثقف أن يطلع على مثل هـــذه المصادر ، ويحاول الإحاطة ، وبقدر الإمكان بكنوزها العلمية ، وثرواتها الفقهية ؛ وذلـــك بدراسة كتب التفاسير ، والحديث ، والفقه؛ حيث ترك لنا أسلافنا العلماء ثروة هائلة لا تقدر بثمن . إن المصدر الأول للثقافة الإسلامية هو الوحي بمصدريه أي بنوعيـــة : الكتـــاب ، والسنة . وهذان يشكلان المصدر الأول للفقه الإسلامي.

ففي عهد الخلفاء الراشدين دخل في الإسلام شعوب عديدة لها تقاليدها ، ونظمها ، فظهرت قضايا جديدة احتاجت إلى أن يجتهد فيها لتأصيل الأحكام الشـــرعية لـــها فكـــان العلماء المجتهدون بين أمرين : إما أن يتفقوا على حكم شرعي معين، فيكـــون إجماعـــا ،

وإما أن يجتهد كل واحد منهم ، فيكون له رأيه ، وحكمه ، ودليله ، فأضيف إلى الكتاب ، والسنة دليلا الإجماع ، والاجتهاد.

وفي عصر التابعين ، وتابعي التابعين ، ومن بعدهم كثرت المسائل الفقهية، ومن ثم الأحكام الشرعية ، وظهور مدرسة أهل الحديث في الحجاز ، ومدرسة أهل الرأي في العراق. ثم جاء عصر التدوين ، أو عصر الفقه الذهبي ، والذي أبتدأ من أول القرن الثاني الهجري، واستمر حتى منتصف القرن الرابع الهجري حيث نبغ فيه أعلام الاجتهاد ، ونوابغ الفقهاء الذين صارت لهم مذاهب معينة متبعة أمثال : الحسن البصري ، والاوزاعي ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينه ، واسحق بن راهويه ، وابن جرير الطبري ، وأبي ثور ، ومالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، واحمد بن حنبل ، وجعفر بن محمد، وزيد بن علي ، وداوود ..... ، وغيرهم . ومصادر الفقه في هذا الدور هي : الكتاب ، والسنة بعد أن وضع كل فقيه شروطه في الحديث الذي يأخذ به ؛ وكذلك أقوال الصحابة ، والرأي الذي فصّل إلى قياس ، واستحسان ، واستصلاح ، وسد الذرائع ، وعرف. ثم جاء دور تقليد الأئمة السابقين ، واقتصر علماؤه على تعليل فقه المذهب ، واستخلاص أصوله ، والترجيح بين الأقوال المتعددة في المذهب ، وتوضيح فقه المذهب . فتذهب الفقهاء بمذاهب معينة عدا بعض الفقهاء الذين دعوا إلى الاجتهاد أمثال : ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب ، والصنعاني ، والشوكاني ، وغيرهم ، فصارت الكتب الفقهية ألوانا متعددة تمثلها :

١.المتون – وهي الكتب المختصرة.

٢.الشروح – وهي الشارحة للمتون.

٣.الحواشي – وهي الشارحة للشروح .

٤.التقريريات – وهي التعليقات على الحواشي .

٥.الفتاوي – هي أجوبة على أسئلة تلقى على الفقيه مرتبة على أبواب الفقه .

وفي العصر الحاضر ظهرت التقنينات الفقهية كمجلة الأحكام العدلية العثمانيـــة. وظهرت الموسوعات الفقهية ، والأبحاث الرصينة في الدراسات العليا بالجامعات ، وكلــها تهتدي بكتب علماء المذاهب الفقهية المختلفة.

إن المذاهب الفقهية تعتبر قمة ما وصل إليه الفقه الإسلامي ، وبالتالي ذروة مــــا وصلت إليه الثقافة الإسلامية، وخاصة المتعلقة باستنباط الأحكام الشرعية ، ومعرفتها فهي تمثل مدارس لتفسير نصوص الشريعة ، واستنباط الأحكام، فـــهي منــاهج فــي البحــث والدراسة، والفهم ، وتمثل أساليب علمية في الاستنباط؛ غايتها معرفة شرع الله تعالى.

وقد خلفت لنا ثروة ثقافية هائلة في مضمار الفقه ، وعليه فإننا أمام تراث فقــهي ، ثقافي غني بفكره ، وأدلته ، وعلمائه . وعلى الباحث المثقف وهو يبحـــث خاصـــة فـــي المسائل الفقهية أن يقف على مناهج الفقهاء في الاستنباط ، وعلى أدلتهم ، ويدرس المســألة دراسة موضوعية مقارنة بعيدة عن التعصب لمذهب معين ، ويبين دليل كل قول ، ويرجح القول الذي يقتنع بصحة دليله ، معتمداً في كل ذلك على الكتب الثقافية الفقهية المعتمدة فــي كل مذهب مستعينا بكتب التفاسير ، والحديث.

إن الناظر في كتب الطبقات ، والتراجم ، والفهارس يجد كمية هائلة مـــــن هــذه الكتب المؤلفة في التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصول الفقه.

أولاً – كتب التفاسير – وأهمها : تفسير جامع البيان للطبري المتوفي ســنة ٣١٠ هــــ . والكشاف للزمخشري ت سنة ٥٣٨هــ، ومجمع البيان للطبرسي ت سنة ٥٤٨ هــــ. وزاد المسير لابن الجوزي ت سنة ٥٩٧ هــ. والتفسير الكبير للـــرازي ت ســنة ٦٠٦ هـــــ. وأنوار التنزيل للبيضاوي ت سنة ٦٨٥ هــ. والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ت ســـنة

٤٧١هـ ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ت سنة ٧٤١هـ والبحر المحيط لأبي حيان سنة ٧٥٤هـ. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ت سنة ٧٧٤ هـ. والجواهر الحسان للثعالبي ت سنة ٨٧٦هـ. والدر المنثور للسيوطي ت سنة ٩١١هـ. وفتح القدير للشوكاني ت سنة ١٢٥٠هـ. وروح المعاني للألوسي ت سنة ١٢٧٠هـ. وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ت سنة ١٩٣٥م. وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود.

واهم التفاسير التي اهتمت بتفسير آيات الأحكام هي :

أحكام القرآن للجصاص ت سنة ٣٧٠هـ. وأحكام القرآن لابن العربي ت سنة ٥٤٣هـ . والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ت سنة ٦٧١ هـ . وكنز العرفان للسيوري ت سنة ٨٢٦هـ . وتفسير آيات الأحكام للسايس.

ثانيا – كتب الحديث : وأهمها : الموطأ للإمام مالك ت سنة ١٧٩ هـ. والمسند للإمام احمد بن حنبل ت سنة ٢٤١ هـ. وصحيح البخاري ت سنة ٢٥٦ هـ. وسنن الدارمي ت سنة ٢٥٥ هـ. وصحيح مسلم ت سنة ٢٦١ هـ. وسنن أبي داوود ت سنة ٢٧٥هـ. وسنن ابن ماجه ت سنة ٢٧٥ هـ. وسنن الترمذي ت سنة ٢٧٩ هـ. وسنن النسائي ت سنة ٣٠٣هـ. وسنن الدار قطني ت سنة ٣٨٥ هـ. والمستدرك للحاكم ت سنة ٤٠٥ هـ والسنن الكبرى للبيهقي ت سنة ٤٥٨ هـ. والمصنف لعبد الرزاق ت سنة ٢١١ هـ . والأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٤ هـ . ومعاجم الطبراني ت سنة ٣٦٠ هـ.

واهم الكتب التي اهتمت بتخريج الأحاديث هي : جامع الأصول لابن الأثير ت سنة ٦٠٦ هـ. والترغيب والترهيب للمنذري ت سنة ٦٥٦ هـ. ونصب الراية للزيلعي ت سنة ٧٦٢ هـ. والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ت سنة ٨٠٦ هـ. ومجمع

الزوائد لنور الدين الهيثمي ت سنة ٨٠٧ هـ. والدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ .

والجامع الصغير للسيوطي ت سنة ٩١١ هـ. ومختصر تيسير الوصول لابن الديبع ت سنة ٩٤٤ هـ. وجواهر الأخبار للصعدي ت سنة ٩٥٧ هـ. وكنز العمال للمتقي الهندي ت سنة ٩٧٥ هـ. وكشف الخفاء للعجلوني ت سنة ١١٦٢ هـ. والفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للنبهاني ت سنة ١٣٥٠ هـ .

وأما أهم الكتب التي اهتمت بشرح الأحاديث، والتي تعرف بكتب الشروح فهي : معالم السنن للخطابي ت سنة ٣٨٨ هـ. والمنتقى للباجي ت سنة ٤٧٤ هـ. شرح الموطأ. وعارضة الاحوذي شرح سنن الترمذي لابن العربي ت سنة ٥٤٣ هـ . وشرح النووي على صحيح مسلم ت سنة ٦٧٦ هـ. وشرح ابن القيم على أبي داوود ت سنة ٧٥١ هـ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت سنة ٨٥٢ هـ .

وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ت سنة ٨٥٥ هـ. وشرح السيوطي ت سنة ٩١١هـ. وشرح السندي ت سنة ١١٣٨هـ على سنن النسائي وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني ت سنة ٩٢٣ هـ. وشرح عون المعبود على سنن أبي داوود للصديقي . وتنوير الحوالك شرح الموطأ للسيوطي ت سنة ٩١١هـ . وشرح الزرقاني للموطأ ت سنة ١١٢٢ هـ . وطرح التثريب للعراقي ت سنة ٨٠٦ هـ. وولده أبي زرعه ت سنة ٨٢٦ هـ . وسبل السلام للصنعاني ت سنة ١١٨٢ هـ. ونيل الأوطار للشوكاني ت سنة ١٢٥٠ هـ.

ثالثا - كتب الفقه وأهمها هي :

أ. فقه الأحناف : الخراج لأبي يوسف ت سنة ١٨٢ هـ . والسير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ت سنة ١٨٩ هـ . وأدب القاضي للخصاف ت سنة ٢٦١هـ. والكتاب للقدوري ت سنة ٤٢٨ هـ. والمبسوط للسرخسي ت سنة ٤٨٣هـ. وروضة القضاة للسمناني ت سنة ٤٩٩ هـ. والمختصر ، وشرح معاني الآثار ، والشروط الصغيرة ، وهذه الثلاثة للطحاوي ت سنة ٣٢١هـ.

وشرح أدب القاضي لابن مازه البخاري ت سنة ٥٣٦ هـ. وبدائع الصنائع للكاساني ت ٥٨٧ هـ. والهداية للميرغناني ت ٥٩٣ هـ. وحاشية سعود حلبي ت ٤٥هـ. على العناية ، ووقاية الرواية لتاج الشريعة ت ٦٧٣ هـ. والاختيار شرح المختار للموصلي ت سنة ٦٨٣هـ. وكنز الدقائق للنسفي ت سنة ٧١٠ هـ. وتبيين الحقائق للزيلعي ت سنة ٧٤٣هـ . وجامع الفصولين لابن قاضي سماونه ت سنة ٨٢٣ هـ ومعين الحكام للطرابلسي ت سنة ٨٤٤ هـ. وفتح القدير شرح الهداية للكمال بن الهمام ت سنة ٨٦١هـ. وملتقى الأبحر لإبراهيم الحلبي سنة ت ٩٥٦هـ. والأشباه والنظائر لابن نجيم ت سنة ٩٧٠ هـ. والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم سنة ٩٧٠هـ. وحاشية الشلبي على تبيين الحقائق ت سنة ١٠٢١هـ. ومجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر للداماد سنة ١٠٧٨هـ. والدرر المنتقى شرح ملتقى الأبحر للحصكفي ت سنة ١٠٨٨هـ . والدرر المختار للحصفكي سنة ١٠٨٨هـ. وحاشية الطحاوي على الدرر المختارت سنة ١٢٣١ هـ. ورد المحتار شرح الدرر المختار لابن عابدين ت سنة ١٢٥٢هـ . واللباب شرح الكتاب للميداني ت سنة ١٢٩٨ هـ ومجلة الأحكام العدلية، وشرحها درر الحكام لعلي حيدر ، وشرحها لمنير القاضي المتوفى سنة ١٩٦٩م وشرحها لسليم رستم باز .

وأما كتب الفتاوي فهي : الفتاوي الطرسوسية لنجم الدين الطرسوسي ت سنة ٧٥٨ هـ والفتاوي الخيرية لخير الدين الرملي ت سنة ١٠٨١ هـ . والفتاوي الحامدية للعمادي سنة ١١٧١ هـ . والعقود الدررية تنقيح الفتاوي الحامدية لابن عابدين ت سنة ١٢٥٢ هـ.

والفتاوي الخانية لقاضي خان ت سنة ٥٩٢هـ . والفتاوي البزازية لابن البزاز سنة ٨٢٧هـ . والفتاوي الهندية التي جمعت بأمر سلطان الهند عالم أكبرت سنة ١١١٨ هـ.

ب. فقه المالكية : وأهمها هي : المدونة الكبرى للإمام مالك ت سنة ١٧٩هـ. ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ت سنة ٣٨٦ هـ. والمقدمات الممهدات لابن رشدت سنة٥٢٠هـ . وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد ت سنة ٥٩٥هـ. وإرشاد السالك لابن عسكر ت سنة ٧٣٢هـ. والقوانين الفقهية لابن جزي ت سنة ٧٤١ هـ. ومختصر خليل ت سنة ٧٧٦هـ. وتبصرة الحكام لابن فرحون ت سنة ٧٩٩هـ. وتحفة الحكام لابن عاصم ت سنة ٨٢٩هـ . والتاج والإكليل للمواق ت سنة ٨٩٧هـ. وشرح أبي الحسن ت سنة ٩٣٩هـ. على رساله ابن أبي زيد القيرواني ت ٣٨٦ هـ. والفروق للقرافي. والأحكام في تميز الفتاوي عن الأحكام للقرافي ت ٦٨٤هـ. ومواهب الجليل للحطاب ت سنة ٩٥٤هـ. والإتقان والأحكام في شرح تحفة الحكام لميارة ت سنة ١٠٧٢هـ. وشوح الزرقاني ت ١٠٩٩هـ. وشرح الخرسني ت ١١٠١ هـ. وحاشية العدوي ت ١١٨٩هـ. والشرح الصغير على اقرب المسالك للدردير ت سنة ١٢٠١هـ. وبلغة المسالك للصاوي ت ١٢٤١هـ. وحاشية الرهوني على الزرقاني ت سنة ١٢٣٠هـ. وسيدي خليل لعليش ت سنة ١٢٩٩هـ. وجواهر الإكليل للآبي سنة ١٣٣٢هـ . وأحكام الأحكام للكافي التونسي سنة ١٣٤٦هـ. وفتح العلي للعليشي ت سنة ١٢٩٩هـ .

جـ. فقه الشافعية : الأم للإمام الشافعي ت سنة ٢٠٤ هـ. وأحكام القرآن للشافعي أيضاً. ومختصر المزني ت سنة ٢٤٦هـ . والأحكام السلطانية للماوردي ت سنة ٤٥٠هـ. وأدب القاضي للماوردي أيضاً، والمهذب للشيرازي ٤٧٦هـ. وإحياء علوم الدين للغزالي ت ٥٠٥هـ. وأدب القضاء لابن أبي الدم ت سنة ٦٤٢ هـ. ومنهاج الطالبين للنووي ت سنة ٦٧٦هـ. ومغني المحتاج شرح منهاج الطالبين للشربيني ت سنة ٩٧٧هـ. والغاية القصوى في دراية الفتوى للبيضاوي ت سنة ٦٨٥هـ. ورحمة الأمة لقاضي صفدت سنة ٧٨٠هـ. والأنوار لأعمال الأبرار للاردبيلي ت سنة ٧٩٩هـ. وشرح روض الطالب للمقرئ الزبيدي ت سنة ٨٣٧هـ. وشرح فتح القريب للغزي ت سنة ٩١٨هـ. واسني المطالب لزكريا الأنصاري ت سنة ٩٢٦هـ . وحاشية عميرة البرلسي ت ٩٥٧هـ. والميزان الكبرى للشعراوني ت ٩٧٣هـ. والفتاوى الكبرى لابن حجر الهيثمي ٩٧٤هـ. وشرح الخطيب للشربيني ت ٩٧٧ هـ. والإعلام والاهتمام بجميع فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ت سنة ٩٢٦هـ. وفتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لزكريا الأنصاري سنة ٩٢٦ هـ. وشرح فتح المعين للميباري ت سنة ٩٨٧هـ. وفتاوي شمس الدين الرملي ت سنة ١٠٠٤هـ. ونهاية المحتاج للرملي أيضاً، وحاشية القليوبي ت سنة ١٠٦٩هـ. وحاشيتا الشبراملسي ت سنة ١٠٨٧هـ. والرشيدي ت سنة ١٠٩٦هـ. وحاشية الجمل ت سنة ١٢٠٤هـ. وحاشية البجيرمي ت سنة ١٢٢١هـ. وحاشية الشرقاوي ت سنة ١٢٢٦هـ. وحاشية الباجوري ت سنة ١٢٧٧هـ. وإعانة الطالبين للدمياطي ت سنة ١٣٠٠هـ.

د. فقه الحنابلة – شرح مختصر الخرقي ت سنة ٣٣٤هـ. والأحكام السلطانية لأبي يعلى ت سنة ٤٥٨هـ. والغنية للشيخ عبد القادر الكيلاني ت سنة ٥٦١هـ. والمغني لابن قدامه ت سنة ٦٢٠هـ. والشرح الكبير لشمس الدين بن قدامه ت سنة ٦٨٢هـ.

ومجموع فتاوي ابن تيمية ت سنة ٧٢٨هـ. وأعلام الموقعين لابن القيم ت سنة ٧٥١هـ. العقود لشمس الدين الاسيوطي انتهى من تأليفه سنة ٨٦٥هـ. والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين المرداوي ت سنة ٨٨٥هـ ومنتهى الارادات لابن النجار سنة ٩٧٢هـ. وكشف القناع للبهوتي ت سنة ١٠٥١هـ. ومطالب أولي النهى شرح غاية المنتهى للرحيباني ت سنة ١٢٤٣هـ.

هـ. فقه الظاهرية– المحلى لابن حزم ت سنة ٤٥٦هـ.

و. فقه الاباضية – شرح النيل وشفاء العليل لابن اطفيش .

ز. فقه الأمامية الاثني عشرية الخلاف للطوسي ت سنة ٤٦٠هـ. وتذكرة الفقهاء لجمال الدين الحلي ت سنة ٧٢٦هـ. والروضة البهيه لزين الدين العاملي ت سنة ٩٦٥هـ. ومفتاح الكرامة للعاملي ت سنة ١٢٢٦هـ. وجواهر الكلام للنجفي ت سنة ١٢٦٦هـ.

ح. فقه الزيدية – البحر الزخار لابن المرتضى ت سنة ٨٤٠هـ. والروض النضير للسياغي ت سنة ١٢٢١هـ. والسيل الجرار للشوكاني ت سنة ١٢٥٠هـ.

رابعاً – كتب أصول الفقه : الرسالة للإمام الشافعي ت سنة ٢٠٤هـ. والأحكام لابن حزم ت سنة ٤٥٦هـ. والبرهان لإمام الحرمين ت سنة ٤٧٨هـ. وشرح أصول البزدوي ت سنة ٤٨٢هـ. وأصول السرخسي ت سنة ٤٩٠هـ. والمستصفى للغزالي ت سنة ٥٠٥هـ. والمحصول في علم الأصول للرازي ت سنة ٦٠٦هـ. وروضة الناظر لموفق الدين بن قدامه ت سنة ٦٢٠هـ. والأحكام للأمدي ت سنة ٦٣١هـ. وتنقيح الفصول وشرحه للقرافي ت سنة ٦٨٤هـ. والمنهاج للبيضاوي ت سنة ٦٨٥هـ. والمنار للنسفي ت سنة ٧١٠هـ. وكشف الأسرار لعلاء الدين البخاري ت سنة ٧٣٠هـ. وجمع الجوامع لتاج الدين السبكي ت سنة ٧٧١هـ. ونهاية السوك للأسنوي ت سنة ٧٧٢هـ ،

وهو شرح المنهاج للبيضاوي. والموافقات للشاطبي ت سنة ٧٩٠هـ. وشرح عز الدين بن المالك ت سنة ٨٠١هـ. وهو شرح المنار للنسفي. والتحرير للكمال بن الهمام سنة ٨٦١هـ. وشرح الجوامع لجلال الدين المحلي ت سنة ٨٦٤هـ. والتقرير والتحبير للحلبي ت سنة ٨٧٩هـ. وشرح التحرير لمحمد أمين أمير بادشاه ت سنة ٩٧٢هـ. وشرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور ت سنة ١١١٩هـ. وحاشيتا البناني ت سنة ١١٩٨هـ ، وفواتح الرحموت لعبد العلي الأنصاري ت سنة ١٢٢٠هـ. وإرشاد الفحول للشوكاني سنة ١٢٥٠هـ. وأصول الفقه لمحمد الخضري ت سنة ١٩٢٧م. وعلم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ت سنة ١٩٥٦م .

وهكذا إن أراد الباحث المسلم أن يتثقف إسلاميا فعلية أن يطلع على أمهات العلوم، والثقافات الإسلامية ، وعلى رأسها القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والفقه ، وأصول الفقه، واللغة العربية ، والتاريخ ، ولكن ليعلم أن هذا لا يكفيه إن لم يخلص النية لله وحده في تثقيف نفسه . وبالنية الصادقة ، والإخلاص يكون التثقيف ، والخير العميم.

قال "صلى الله عليه وسلم" :"إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى" رواه البخاري.

بعض الحقائق العلمية الواردة في القرآن ، والسنة

الأولى – حقائق : "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"

الثانية – حقائق : "سنريهم آياتنا في الآفاق"

الثالثة – حقائق : "وفي الأرض آيات للموقنين"

الرابعة – حقائق علمية كونية أخرى متفرقة.

الأولى – حقائق : "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" أي حقيقة خلق الإنسان.

وتوصلها ضمن الحقائق العلمية التالية :

أولاً – حقيقة خلق الإنسان من ماء :

مصداق قوله تعالى :"وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهراً" الفرقان آية ٥٤ .

وقوله تعالى :"ألم نخلقكم من ماء مهين" المرسلات آية ٢٠ .

وقوله تعالى :"ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين" السجدة آية ٨ .

وقوله تعالى :"فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق" الطارق آية ٥-٦ .

حيث أكد العلم أن كل دفقة تحوي ٣-٥ سم٣ ، وكل سم يحوي ٦٠-٨٠ مليون حيوان منوي ، وطول كل حيوان ٦٥ ميكرون ، وسرعته في الرحم حوالي ٢-٣ ملم بالدقيقة.

وفي الحديث القدسي :"أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" بصق يوما في كفه ، فوضع عليها إصبعه ثم قال : يقول الله عز وجل :"ابن آدم ، أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه ؟! حتى إذا سويتك ، وعدلتك ، مشيت بين برديك ، وللأرض منك وئيد ، فجمعت ، ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي ، قلت : أتصدق ، وأنى أوان الصدقة" رواه احمد في مسنده ، وابن ماجه في سننه .

ثانياً – حقيقة خلق الإنسان من طين :

مصداق قوله تعالى :"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين" المؤمنون آية ١٢.

وقوله تعالى :"الذي احسن كل شيء خلقة وبدأ خلق الإنسان من طين" السجدة آية ٧ .

وقوله تعالى :"إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين" ص آية ٧١ . يقول شهيد الإسلام سيد قطب :"إن القرآن الكريم اكرم الإنسان المجبول بالطين بأنه فيه نفحة من روح الله، فافترق عن الطين محلية ، وارتقى إلى درجة الكائن الذي يفكر ، ويشعر ، وبان الله

قد منح الإنسان قبسا من نوره ، وعلى قدر ما يعلم ، فقد تولد من عالمنا الصغير هـذا أول جهاز مادي أضيف إليه قبس من نور الله ، وهذا يرفع الإنسـان مـن مرتبـة الغريـزة الحيوانية ، إلى درجة القدرة على التفكير التي يمكنه بها الآن أن يدرك عظمة الكون فـي تشابكه ، وانسجامه ، ويشعر بعظمة الله ماثلة في خلقة"[1] .

واصل الطين الذي خلق منه الإنسان هو التراب قبل أن يمزج بالماء مصداق قوله تعالى:" ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تنتشرون" الروم آية ٢٠ .

وفي الحديث الشريف يقول "صلى الله عليه وسلم" :"كلكم لآدم ، وآدم من تـراب ، لا فرق لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لاحمـر علـى ابيـض، ولا لابيض على احمر إلا بالتقوى" حديث متفق عليه ، ورواه احمد برواية: "ولا لاحمر علـى اسود إلا بالتقوى" .

ويحمل الطين نفس خصائص التراب ، ويتكون من نفس عنـاصره ، وإذا مـزج التراب بالماء الكثير اصبح طينا لازبا ، وقد خلق الإنسان منه كما قال تعالى :"إنا خلقنـاهم من طين لازب " الصافات آية ١١ . وإذا احمي الطين بالنار اصبح صلصالاً كالفخـار ، وقد خلق الإنسان منه أيضا كما قال تعالى :"خلق الإنسان من صلصال كالفخار" الرحمـن آية ١٤ .

وإذا احمي الصلصال على النار ثانية اصبح حماً أي اسودا ، وقد خلق الإنسـان منه أيضا ، وبعد أن اصبح مسوما أي مجوفا ، أسطوانيا كما قال تعالى :"وإذ قـال ربـك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون" الحجر آية ٢٨ .

وكما قال أيضاً : "ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماء مسنون" الحجر آيـة ٢٦ . إن حقيقة خلق الإنسان من طين تزداد وضوحا عندما كرمنه العناية الإلهية ، وبالنفخ

---

(١) سيد قطب – تفسير في ظلال القرآن جـ٢٠ ص١١٩ ط٦ دار إحياء التراث.

في الطين من روح الله ، فاصبح الطين خلقا آخر ، وإنسانا سويا يتمتع بحواس السمع ، والبصر ، وملكة التفقه ، والعلم مصداق قوله تعالى :"ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والإبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون" السجدة آية ٩ .

إن حقيقة خلق الإنسان من تراب ، والنفخ فيه من روح الله دفعت بها العناية الإلهية دعوى تأليه عيسى عليه السلام، وأبطلت بها حجج كفر النصرانية الذي يدعي ألوهية عيسى ، وأثبتت العناية الإلهية أن عيسى عليه السلام – بشر ادمي خلق كما خلق أبو البشرية آدم من تراب ، ثم قيل له : كن فيكون كما قال تعالى :"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقة من تراب ثم قال له كن فيكون" آل عمران آية ٥٩ .

لقد أنكر العلم حقيقة خلق الإنسان من تراب قديماً، ولكنه اعترف بها ، وأكدها حديثا . وهكذا فان شيمة كفر العلم انه لا يؤمن إلا بالمحسوس ، وانه لا يؤمن بالحقيقة العلمية إلا إذا أخضعها للملاحظة ، والتجربة في مختبرات العلوم ، والتجارب حتى ولو كان المخبر عنها ، وقائلها هو الله خالقها.

إن المعجزة الإلهية في حسن الإبداع ، والخلق للإنسان من تراب ، وطين بدت ظاهرة للعيان في هذا القرن العشرين ، قرن العلم ، والجاهلية معا. لقد حلل علماء الكفر ذرة التراب ، وخلية جسم الإنسان ، فوجدوا أنها تتركب من نفس عناصر ذرة التراب ، واكتشفوا أن الخلية البشرية يشترك في تكوينها اثنان وعشرون عنصرا كلها موجودة في ذرة التراب ، أو الطين وهذه العناصر هي :

١.الأوكسجين ، والهيدروجين ، ويتكون من اتحادهما الماء الذي تبلغ نسبته حوالي ٧٠% من جسم الإنسان.

٢.الكربون ويشكل مع اتحاده بالأوكسجين ، والهيدروجين المواد العضوية في جسم الإنسان ، وأهمها- البروتينات ، الفيتامينات ، والهرمونات ، والسكريات ، والمواد الدسمة.

٣.الكلور ، الكبريت ، والفسفور ، والمنغنيز ، والكوبالت ، والتوتياء ، والموليبديوم ، والفلور ، والكروم ، والألمنيوم ، والكلس ، والبوتاس ، والصوديوم ، والحديد ، والنحاس ، واليود ، والبور ، والكادميوم ، والسيلينيوم(١)(٢).

إن معجزة خلق الإنسان من طين ، هي معجزة إلهية إبداعية ، وتكريمية للإنسان الآدمي ، البشري ، سمت به ، وبعناصره المادية الترابية إلى درجة الارتقاء الروحي في التكوين ، والتفكير ، والعبادة ، والتحكم ، والخلافة في الأرض حيث توج هذا الارتقاء نفخة الروح من الخالق ، وحتى إذا سواه ، واكمل خلقة أمر الملائكة للسجود له قال تعالى :"إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" سورة ص آية ٧١-٧٢ .

ثالثاً – حقيقة خلق الإنسان من بين الصلب ، والترائب :

مصداق قوله تعالى :"فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب" سورة الطارق آية ٥-٧ .

فيكون اصل تكوين الإنسان من الماء الدافق ، أي المني الذي يتدفق من بين الصلب أي فقار الظهر، والترائب أي عظم الصدر لكل من الرجل ، والمرأة ، وقد كني بالصلب عن الرجل ، وبالترائب عن المرأة . والصلب ، والترائب هي الأصول ،

---

(١) د. يوسف السويدي – كتاب الإسلام والعلم التجريبي ص ٥٣ .

(٢) د. عبد الحميد ذياب ، ود. احمد قرقوز كتاب مع الطب في القرآن الكريم ص٧٢ .

والأعضاء ، والأمكنة التي يخلق فيها مني الرجل ، والمرأة ، ومن ثم تكون نهايتها ذكـــر الرجل الذي يصب المني في فرج المرأة التي تخلق فيه البويضة الأنثوية ، فيتخلق مـــن إخصاب الحيوان المنوي للبويضة الأنثوية الجنين وهو اصل خلق الإنسان. فيكون الإنسان تخلق من الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب ، والترائب للرجل، والمرأة .

أ. **الصلب** : ويشمل العمود الفقري الظهري ، والعمود الفقري القطني ، وعظم العجـــز . ويشمل أيضا الضفائر ، والحبائل العصبية التي تنشأ في الصلب ، وتثير المراكز الجنســية التناسلية ، وتحفزها على دفق ، وإفراز المني ، ومن ثم التهيؤ لممارسة العملية الجنسية.

ومن الضفائر الصلبية : الضفيرة الشمسية ، والضفـــيرة الخثلية ، والضفـــيرة الحويضية . وتتعلق بهذه الضفائر الجملتان الودية ، ونظيرة الودية ، وهما تتحكمان فـــي انقباض الأوعية ، وتوسعها ، وفي الاسترخاء ، والانتعاش ، أي تتحكمان في تمام العمليـة الجنسية.

ويتحدد الصلب المسؤول عن التعصيب ، والتحكم بالعمل الجنسي بـــالجزء مـــن الظهر الذي يحاذي القطعة الظهرية الثانية عشرة ، والقطنية الأولى ، والثانية ، والقطعـــة العجزية الثانية ، والثالثة ، والرابعة(١).

ب. **الترائب** : يحدد ابن كثير في تفسيره الترائب(٢) : بأنـــها بيـــن العينيـــن ، والثدييـــن ، والرجلين ، ويحددها البعض : بأنها عظام الصدر ، والترقوتان ، واليدان ، والرجـــلان ، وما بين الرجلين ، والجيد، وعنق الرجل . ومن المتفق عليه علميا أن أهم هـــذه الـــترائب هي أصول الرجل الكائنة بين الرجلين.

---

(١) د. عبد الحميد دياب ، و د. احمد قرقوز – مع الطب في القرآن الكريم. ص٣٢ .

(٢) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٤ . ص٤٩٨ .

واهم أجزاء الصلب ، والترائب ، الأنابيب ، والشعيرات في الخصيتيـــن حيـث يتخلق فيهما المني ثم ينتقل إلى الحبل المنوي ثم يسير إلى الحويصلين المنويين ، ومنـــها إلى القناتين الدافقتين ، ومنهما إلى الاحليل ، ومنه إلى خارج الجسم.

رابعاً - حقيقة خلق الإنسان أطواراً :

مصداق قوله تعالى :"وقد خلقكم أطواراً" نوح آية ١٤ . أي خلق الإنســـان فـي أطوارا متعاقبة، ومتتابعة تكتمل نشأته أثناءها ، ويختلف نموه في طور منها عن نظـــيره في الطور الآخر ، وسواء أكان التعاقب في الأطوار داخل الرحم ، أو خارجه . وقد عـبر الخالق عن تشريفه لخلق الإنسان ضمن حقائق أربع من الأطوار هي :

١- الأطوار الجنينية. ٢- الأطوار الولادية . ٣- الأطوار التكوينية. ٤- الأطوار النموية.

١ .**حقيقة الأطوار الجنينية.** وقد نص عليها القرآن الكريم ، وفي قوله تعالى :"ولقد خلقنـا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفـة علقـه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقـا آخـر فتبارك الله احسن الخالقين" المؤمنون آية ١٢-١٤ .

تؤصل هذه الآية الكريمة حقيقة الأطوار الجنينية ضمن خمسة أطوار هي :

أ. طور النطفة .

ب. طور العلقة .

جـ. طور المضغة .

د. طور الهيكل العظمي.

هـ. طور الجنين.

أ- طور النطفة : قال تعالى : "ألم يك نطفة من مني يمنى" القيامة آية ٣٧ .

وتطلق النطفة علميا على الحيوان المنوي . فيكون طور النطفة هو طـور حياة الحيوان المنوي ، وقبل إخصابه للبويضة الأنثوية. وتسمى النطاف طبياً الأعراس الذكرية ، وتنتجها عادة خصيتا الرجل منذ بلوغه حتى مماته . إن الخصيتين معمل نشط تصنع فيه الحيوانات النطفوية المنوية. ويحتوي كل اسم مكعب من ماء الرجل الـذي يمنـى علـى حوالي ٦٠-٨٠ مليون نطفة أي حيوان منوي . ويبلغ طول كـل حيـوان ٦٥ ميكـرون .وشكله كمثري ، وله عنق ، وذيل طويل يبلغ طوله ٤٥ ميكرون ، يساعده على الحركـة داخل مهبل المرأة حتى يصل إلى رحمها ، ويلقح البويضة الأنثوية.

ومن هنا فان القذفة الواحدة من ماء الرجل ، والتي تبلغ عادة حوالـي ٣-٥ سـم مكعب تحتوي على حوالي نصف مليار حيوان منوي ، تموت كلها عند إفرازها في رحـم المرأة ، ولا يبقى إلا حيوان منوي واحد على قيد الحياة ، وهـو الـذي يلقـح البويضـة الأنثوية. ونادراً يبقى حيوانان اثنان يتقاسمان تلقيح البويضة ، وينفرد كل حيوان بقسـمه، فينتج التوأمان أي الاثنان من الجنين.

وكما تصنع النطف الذكرية في خصيتيْ الرجل ، وبالملايين ، فـان البويضـات الأنثوية تصنع، وتخلق في المبيضين أعلى رحم المرأة ، ولكن تخلق بويضة واحدة فقـط كل شهر ، وبحيث يفرز كل مبيض عروسا أنثوية كل شهرين ، وبالتبادل مـع المبيـض الآخر فهما يفرزان بالتناوب بويضة أنثوية كل شهر تستعد لاستقبال الحيـوان المنـوي ، والذي إن لم يوجد ، أو لم يلحقها ، تخرج مع الحيض إلى خـارج الجسـم ؛ وإن لقحـها يندمجان معا، ويتعلقان بجدار الرحم ليكملا أدوار ، وأطوار حياتهما كمخلوق واحد داخـل الرحم ، والى أن يكتمل هذا الجنين بأطواره، فيخرج إلى النور بمسمى الوليد .

وعلى عكس الخصيتين فان مبيضي المرأة لا ينشطان ، ولا يفرزان البويضـات الأنثوية إلا من مرحلة البلوغ حتى سن الأربعين من عمر المرأة فـي غـالب الأحيـان .

وتسمى هذه السن بسن اليأس. أي اليأس من إفراز البويضات ، ومن ثم اليأس من الحمل ، والتي يعقبها انقطاع الحيض ؛ لانقطاع حكمة وجوده ، وهي إخراج البويضة غير الملقحة إلى خارج جسم المرأة. وعندما تتولد البويضة أي العروس الأنثوية في المبيض تكون عادة محاطة بتاج شعاعي من الخلايا الجريبية ، كالعروس يوم زفافها تماما حيث تكون جاهزة لاستقبال عريسها المنوي ، والاندماج معه وبعد أن تكون قد نضجت ، وكبرت بحوالي خمس مرات نتيجة تعرضها لانقسامين: أولهما خيطي. والثاني منصف. وحتى تكتمل عملية الإخصاب أي التلقيح فانه يصاحب تولد البويضة نشوء سائل غني بهرمون الجريبين يقوم بامتصاص سريع للدم ، فيؤدي إلى تغير ملحوظ في مزاج المرأة النفسي يتلاءم مع غريزة الإخصاب حيث يزيد توترها الجنسي، وتبدي استعدادا نفسيا، وعصبيا للجماع ، وتحصل تغيرات عديدة في مخاطية الجهاز التناسلي ، وخاصة في المهبل ، والرحم ، والبوقين ، فتنمو غدد الجهاز التناسلي ، وأوعيته الدموية ، وتحتقن ، فتزداد سماكة الغشاء أربع إلى خمس مرات ، وبحيث تكون الاباضة في اليوم الرابع عشر من الشهر تكون التغيرات الفسيولوجيه قد أهلت البويضة للتلقيح من الحيوان المنوي الذكري الزائر ، والذي يساعد على استقباله، وحضوره إفراز الرحم لسائل شفاف لزج يستمر يومين كاملين يسبح فيه الحيوان المنوي ليجتاز جوف الرحم ، والبوق حتى يصل إلى عروسه الأنثوية ، وهي البويضة(١).

إننا لا نبالغ لو قلنا : إن عملية الإخصاب داخل رحم المرأة، والي تتم بالتزاوج بين النطف الذكرية أي الأعراس الذكرية ، وبين الأعراس الأنثوية تعتبر عملية تزاوج لاحقة لعملية التزاوج بين المرأة ، وزوجها . وبتقدير من العناية الإلهية ، وتوكل الملائكة بحماية الجنين طيلة أطوار حياته ، وتخلقه في بطن المرأة الآدمية يتخلق الإنسان من هذه

---

(١) د. عبد الحميد دياب ، و د. قرقوز – مع الطب في القرآن الكريم ص٧٥ .

النطفة التي نطفها الرجل في رحم زوجته ، وينشا حاملا صفاتهما الوراثية العضوية ، والفسيولوجية ، وحافظا لسلالتهما الإنسانية بعد ولادته، ومؤديا لرسالة خلقه التي ولد ، وتكوّن من اجلها ضمن معايير الابتلاء الرباني له ليكون شاكرا لربه خالقه أم كافرا به كما قال تعالى في هذا المعنى :"إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا" الإنسان آية ٢-٣ .

أي نحن بقدرتنا خلقنا هذا الإنسان من نطفة أمشاج أي من ماء أخلاط ، اختلط ماء الرجل، وهو المني بماء المرأة ، وهي البويضة الأنثوية ، فتكوّن من اختلاطهما ، ومزيجهما الجنين. قال ابن عباس :"أمشاج يعني أخلاط ، وهو ماء الرجل ، وماء المرأة اجتمعا ، واختلطا ، ثم ينتقل من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال"[١] .

وهكذا العناية الإلهية تنعى حال هذا الإنسان الكافر بربه ، الجاحد لنعمه ، وعلى رأسها نعمة خلق الله له ، كيف يكفر بربه ، وهو المخلوق الحقير ، والذي أصله نطفة ماء مهينة ، وكيف يخاصم ربه ، وينكر قدرته ، ويكذب بيوم الدين ، وبالبعث ، والنشور ، ويملأ الأرض فسادا ، ويتكبر ، ويتجبر فيها ، ويظلم الخلائق ، وهو حقير خلق من نطفة حقيرة. مصداق قوله تعالى :""أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم" سورة يس آية ٧٧-٧٨ . اخرج الحاكم ، وصححه عن ابن عباس قال :"جاء العاص بن وائل إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بعظم حائل ، ففتته ، فقال : يا محمد ، أيبعث هذا بعدما رم ؟! قال : نعم يبعث الله هذا ، ثم يميتك ، ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت هذه الآيات"[٢] .

---

(١) محمد علي الصابوني – تفسير مختصر ابن كثير جـ ٣ ص ٥٨٠ .

(٢) د. غازي عناية – أسباب النزول القرآني . طبعة بيروت . ص٣٢٦ .

وقال المفسرون : نزلت في أبي بن خلف ، جاء بعظم رميم ، وفتته في وجه النبي "صلى الله عليه وسلم"، وقال ساخراً : أتزعم يا محمد ، أن الله يحيينا بعد أن نصبح رفاتا مثل هذا ؟! فقال له "صلى الله عليه وسلم" نعم يميتك، ثم يحييك ، ثم يدخلك النار. وفعلا قتله الرسول "صلى الله عليه وسلم" في غزوة أحد ، وهو الآن في النار. واثبت العلم حديثا أن نطفة الرجل هي المتحكمة في ذكورة الجنين ، أو أنوثته ، وليست بويضة المرأة. ومن اجل ذلك قال تعالى :"فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى" القيامة آية ٣٩ . فقد اثبت العلم الحديث أن نطف الرجل أي منّيه يحتوي على كروموسوم الذكورة وهو "س.ص" أما كروموسوم الأنثى ، فهو "س.س". ولذلك فكرموسوم الذكورة "ص" يوجد في نطف الرجل فقط ، ولذلك يخطئ كثير من الناس عندما يتهمون المرأة بأنها المسؤولة عن إنجاب الإناث دون الذكور.

ب. طور العلقة : قال تعالى :"ثم خلقنا النطفة علقه" المؤمنون آية ١٤ .

ويبدأ طور العلقة باندماج النطفة مع البويضة ، فتنشأ العلقة من، ونتيجة عملية الإخصاب بينهما، وسميت بالعلقة لتعلقها بجدار الرحم، ويتم الإخصاب عادة في الجزء البعيد عن البوق . وما أن تخصب البويضة بالنطفة الذكرية حتى تباشر البويضة المخصبة بالانقسام إلى خليتين ، فأربع، فثمان ، وهكذا دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البييضه المخصبة . وتحصل عملية الانقسام، والبييضة المخصبة في طريقها إلى الرحم يساعدها في سيرها هذا حركة أهداب البوق ، والتقلصات العضلية المنتظمة لعضلات جدار البوق . وعندما تصل البييضة الملقحة إلى الرحم تتولد لها خلايا أسطوانية تسمى الخلايا المغذية؛ تكون مهمتها تأمين الغذاء للبييضة . وفي هذه المرحلة تتكون العلقة، ويكون طورها ، وحيث تتعلق الخلايا المغذية للبييضة بجدار الرحم . وتستمر

عملية العلوق أربع وعشرين ساعة، وحتى تتحقق عملية العلوق يجب أن يتحقق ، أو يتوفر شرطان :

الشرط الأول : تكوّن الخلايا الأسطوانية المغذية ، والتي تتعلق بها البييضة في جدار الرحم.

الشرط الثاني : تهيّؤ الغشاء المخاطي للرحم لاستقبال البييضة الملقحة ؛ وذلك بتكاثر غدده، وزيادة افرازاته ، وبادخار مولد السكر، وهو الغليكوجين ، وكذلك الكالسيوم ، والبروتين في خلايا الغشاء . هذا ويجب تحقق الشرطيْن المذكورين طيلة الفترة التي يستغرقها سير البييضه الملقحة من الثلث البعيد للبوق حتى جوف الرحم . وتقدر هذه الفترة عادة من سبعة إلى عشرة أيام. وتتجلى روعة البيان الإعجازي القرآني في وصفه لهذه المرحلة من النشأة الجنينية بالعلوق إذا ما علمنا أن البييضة الملقحة تتعلق فعلا بواسطة خلاياها الأسطوانية بجدار الرحم دون أن تلتصق به . فيا لجمال الإبداع الإلهي في الخلق ، والدقة في الصنع ، والكيفية في الحياة لهذه العلقة ثاني أطوار تخلق الجنين تتعلق بجدار الرحم في بطن أمها كما تكرر هذا التعلق بصدرها بعد أن ترى النور بولادتها. إنها حقيقة خلقية أبدعت صنعها أيدي خالقها . حرصت العناية الإلهية أن تذكرها في أول نزول للقرآن على الإطلاق؛ إثباتا لقدرة خالق الخلق في الخلق ، والصنع ؛ وإعجازاً للبشرية جمعاء لتؤمن بربها ، خالقها ، فلا تعبد سواه ، قال تعالى: "إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق" سورة العلق آية ١-٢ .

وأمام هذه الحقيقة الخفية لطور العلقة لا يسعنا إلا أن نقف مدهوشين أمام عظمة الخالق عرفانا له بقدرته ، وعنايته للعلقة في حياتها ، وتشكلها. وفي نفس الوقت ننعي على الطبيب الكافر بالله ، الملحد به كيف لا يؤمن بربه ، وقد عرف اكثر من غيره سر

هذا الطور من حياة الإنسان ، وقد وفق اكثر من غيره في اكتشاف سر معجزات ربه في قوله : "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" الذاريات آية ٢١.

وأما كفر الكافر بإلهه ، وشرك المشرك بربه ، وإلحاد الملحد بخالقة ، وجميعهم عرفوا ربهم بفطرتهم أمام ذلك كله لا يسعنا إلا أن نقول : إلا بئس الذنب الكفر بعد الإيمان.

جـ. **طور المضغة** : قال تعالى :"فخلقنا العلقة مضغة" المؤمنون آية ١٤ .

يؤازر العلم النصوص القرآنية الذاكرة لأطوار تخلق الجنين في الرحم ، ومنها طور المضغة حيث تعقب طور العلقة مباشرة . وتمر المضغة في مرحلتين : مرحلة المضغة غير المخلقة، ومرحلة المضغة المخلقة. مصداق قوله تعالى: "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى اجل مسمى" الحج آية ٥ .

وبالنسبة للمضغة غير المخلقة – فتبدأ مرحلتها من الأسبوع الثالث إلى بداية الأسبوع الخامس. وتتمثل هذه المرحلة بتكون الخلايا المضغية من بقايا الخلايا الغذائية، وتتشكل الخلايا المضغية في خلال ثلاث وريقات من الخلايا هي : الورقة الخارجية ثم يعقبها الورقة الداخلية ثم يعقبها الورقة المتوسطة. وتتسم مرحلة المضغة غير المخلقة بعدم تكون أو تمايز أي عضو ، أو جهاز. وبعبارة أخرى بعدم تخلق الأعضاء ، وعدم تمايزها، ومن هنا سميت بالمضغة غير المخلقة .

وأما بالنسبة للمضغة المخلقة: فهي تبدأ في أول الأسبوع الخامس وتسمى بمرحلة التمايز . وتتوافق هذه المرحلة مع تكون الطور الرابع للجنين ، وهو الهيكل العظمي ، ولذلك نشرحها ضمن هذا الطور .

د. **طور الهيكل العظمي** : قال تعالى :"فخلقنا المضغة عظاماً" المؤمنون آية ١٤ .

حيث يبدأ مع بداية الأسبوع الخامس من الإخصاب ، ويتوافق مع بدء تكّون مرحلة المضغة المخلقة حيث تتمايز الأعضاء ، وتبدأ خلايا الوريقات الثلاث الخارجية والداخلية، والمتوسطة ببناء ، وتشكيل أعضاء الجسم ، وأجهزته ، وأنسجته ، وذلك في إطار من التعاون ، والتناسق ، والتكامل لإخراج الجنين في أحسن تقويم.

فالوريقة الخارجية تشكل الدماغ ، والأعصاب ، والأغشية المخاطية في الفم ، والأنف ، وبشرة الجلد ، ولواحقه من الغدد الجسمية ..... وغيرها .

والوريقة الداخلية تشكل مخاطية الجهاز التنفسي، والغدة الدرقية ، والجهاز الهضمي ، والكبد ، والبنكرياس ..... وغيرها.

والوريقة المتوسطة تشكل القلب ، والأوعية الدموية، والدم ، والعظام ، والعضلات ، والكليتين ، وأدمة الجلد الداخلية ، وقسم من الغدد الصماء ..... وغيرها.

وفي مرحلة المضغة المخلقة هذه يبدأ التخلق للجهاز التناسلي ، ويبدأ التمايز الجنسي للجنين . وفي الأسبوع السادس ينشأ ارتفاعان صغيران من الحبل الظهري ، والذي سيشكل فيما بعد العمود الفقري ، ويسميان الارتفاعان التناسليان[1] .

فإذا كان الجنين ذكرا يقوم الارتفاعان التناسليان بالبدء بتشكيل الجهاز التناسلي الذكري. فيبدآن بتشكيل نسيج مشابه لنسيج الخصيتين يفرز الهرمونات الذكرية التي تساعد على تكون الجهاز التناسلي الذكري أثناء الحياة الجنينية. وتشكل الخصيتان المعمل الذي ينتج الحيوانات المنوية للرجل. أما إذا كان الجنين أنثى يقوم الارتفاعان التناسليان بالبدء بتشكيل الجهاز التناسلي الأنثوي. فيبدأن بتشكيل نسيج متشابه لنسيج المبيضين. وهذا يتم في الأسبوع العاشر. وهذان المبيضان يشكلان المعمل الذي ينتج البييضات الأنثوية أثناء

---

(١) د. عبد الحميد ذياب ، ود. احمد قوقوز . مع الطب في القرآن الكريم .المرجع السابق ص٨١-٨٣.

حياة المرأة. وتنتهي مرحلة المضغة غير المخلقة ، والمخلقة معاً في نهاية الشهر الثالث من عملية الإخصاب . ويكون طول الجنين عندها عشرة سنتمترات ، ووزنه خمس ، وخمسون غراما.

هـ. طور الجنين: قال تعالى :"فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين" المؤمنون آية ١٤. ويبدأ طور الجنين مع بداية الشهر الرابع، أي بعد مرور تسعين يوماً على الإخصاب . وفيه يبدأ وزن الجنين بالزيادة، وأعضاؤه بالتكامل، والتمايز، والتشكل ، والظهور ، والبروز. وتبدأ بعض الأجهزة بالعمل كالقلب، والجهاز الهضمي ، ويقوم نقي العظام بتكوين الدم . واهم ما يميز هذا الطور هو الحركة ، ونبضات القلب ، واستقلال المشيمة في الإفراز الغدي ، والنمو المتتابع للجنين ، وتكامل شكله الخارجي . وفي بداية الشهر الرابع تتم عملية اتصال الجهاز العصبي بأجهزة الجسم، والعضلات ، ويمكن سماع نبضات القلب واضحة في الشهر الخامس ، وتشعر المرأة الحامل بحركة وليدها ، فتزداد فرحاً ، وسروراً .

تقول دكتورة فلك الجعفري :"إن أحد الأساتذة المصريين أراد تسجيل أول دقة لقلب جنين، وعندما بدا الجهاز بالتسجيل ، والحركة هتف الأستاذ قائلاً : هنا الله ، أي هنا قدرة الله" [1]. وفي مرحلة التكون الجنيني تباشر المشيمة استقلالها الغدي بإفراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أن نقصت الكميات التي يفرزها المبيضان . وفي هذه المرحلة يتسارع نمو الجنين ، ويصبح وزنه في نهاية الشهر الثالث ٥٥ غم ، وطوله ١٥سم، ويصبح وزنه عند تمام الحمل ٣٢٥٠ غم ، وطوله ٥٠سم، وفي هذه المرحلة أيضا يتكامل شكله الخارجي ، ويصبح لون الجلد احمرا ، وتسقط عنه الاوبار، وتنتفخ

---

(١) د. عبد الحميد ذياب ، ود. احمد قرقوز . مع الطب في القرآن الكريم .المرجع السابق ص٨١-٨٣.

الجفون ، وتتكامل الأظفار ، وتتمايز ، وتتكامل الأظفار ، وتتكامل الأعضاء تماماً . وفي نهاية هذه المرحلة يبدأ الجنين بالسماع ، وأول ما يسمعه هو نبضات قلب أمه ، فيستأنس بها في وحدته ، ووحشته ؛ يستمد منها العطف ، والحنان، والدفء ، والغذاء ، وهو قابع ، هانئ في اخطر ، واعز أعضاء أمه ؛ وهي تعاني بسببه آثار الحمل العنيفة من قيء ، وآلام ، وأوجاع ، وقله أكل ، وفقدان شهية ، والغثيان ، والدوخة ، والهزال ، والشحوب ، ونقصان الوزن ، والمغص ، وضعف الحركة ، وقلة الحيلة . وهي مع ذلك راضية قانعة صابرة محتسبة كل ذلك عند الله راجية منه أن يحفظ لها جنينها من كل مكروه . وبعد أن يرى النور يكون إما شاكرا ، وإما كفورا بربه ، طائعا ، أو عاصيا لوالدته التي حملته في بطنها حوالي تسعة اشهر.

قال تعالى واصفا حالة حملها ، وضعفها :"ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير" لقمان آية ١٤ .

وقال أيضا :"ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً" الأحقاف آية ١٥ .

وقد استدل العلماء من هاتين الآيتين على أن اقل الحمل للجنين هو ستة اشهر، فقد ذكر في الآية الثانية أن مدة الحمل ، والفصال أي الرضاعة ثلاثون شهراً ، وذكر في الآية الأولى أن مدة الفصال أي الرضاعة عامان أي أربع وعشرون شهراً ، فيبقى للحمل ستة اشهر.

يؤكد ذلك تحديده لمدة الفصال ، وهي الرضاعة بقوله تعالى :"والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة" البقرة آية ٢٣٣ .

فيبقى لمدة الحمل ستة اشهر ، وذلك كأقل مدة يمكن أن يحمل الجنين في بطن أمه قبل أن يولد.

التوافق العلمي ، والروحي للتكون الجنيني :

يسير العلم متوازيا مع النصوص الإلهية في تأصيلها، وتأكيدها لحقائق التكون الجنيني المادية منها ، أي الزمنية ، والروحية.

فالعلم الحديث يؤكد أن تكامل التكون الجنيني إنما يتم بعد الشهر الرابع من الإخصاب ، ومؤشراته حركة الجنين في بطن أمه ، وسماع نبضات قلبه. وهذا يتوافق تماما مع الحكمة التي جاء بها النص القرآني بمنعه الزوجة الأرملة من الزواج إلا بعد انقضاء عدتها ، والتي حددها بأربعة اشهر وعشرا ؛ حتى يحصل التأكيد من الحمل من الزوج المتوفى من عدمه.

من أجل ذلك قال تعالى :"والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة اشهر وعشراً" البقرة آية ٢٣٤ .

وتتوافق حقيقة مراحل التكون الجنيني مع حقيقة البعد الزمني ،والروحي للتشخيص النبوي لمراحل تكون الجنين . ففي الحديث الشريف عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود "رضي الله عنه" قال :"حدثنا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وهو الصادق المصدوق :"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي، أو سعيد" رواه البخاري.

ويؤصل الحديث النبوي هذا حقيقتين اثنتين : مادية زمنية ، وروحية قدرية .

الحقيقة المادية الزمنية : وهي أن تكامل الجنين في خلقة يستغرق ١٢٠ يوما، أي أربعة اشهر . وهذه الحقيقة الزمنية والتي أوردتها السنة النبوية منذ أربعة عشر قرنا يؤكدها العلم الحديث ، ولم يستطع تجاهلها ولو انه فعل ذلك قديماً .

الحقيقة الروحية القدرية – وهي أن بعث الملك له جاء بعد التكوون الجنيني الكامل أي بعد تكامل خلقه . وهو أربعة اشهر. وقبل هذه المدة لم يكن هناك جنين مختلق، وكامل في تخلقه . يشرح شيخ الإسلام ابن تيميه حقيقة التكوون الجنيني بقوله: "إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من علق ، وهو جمع علقه ، وهي القطعة الصغيرة من الدم؛ لان ما قبل ذلك كان نطفة؛ والنطفة قد تسقط من الرحم قبل أن تصير علقه . أما العلقة فإنها تثبت في الرحم ، وتكون في مبدأ خلق الإنسان. وتأخذ هذه العلقة في النمو ، وتتنوع خلاياها ، وتتقص ، ويكون شكلها لا يختلف عن شكل قطعة من اللحم الموضوع ، وطولها لا يتعدى بضعة مليمترات. ثم ينشا طراز من اللحم اكثر شفافية ، واقل صلابة ، واشد رخاوة من العظم العادي ، وهو الغضروف الذي تترسب حوله مادة العظم فيما بعد . وتنشط الخلايا في كافة أجزاء المضغة مكونة الأجهزة ، والأنسجة التي تكسوا العظام لحماً"(١) .

٢- حقيقة الأطوار الولادية :

وقد نص عليها القرآن الكريم ، وفي قوله تعالى :"ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا" الحج آية ٥ . وفي قوله تعالى: "ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون" غافر آية ٦٧ .

وقد رتبت العناية الإلهية تكاليف ، وواجبات ، وحقوق شرعية تتناسب مع مراحل هذه الأطوار الولادية بدءا بالمولود ، ثم الطفل غير المميز ، والطفل المميز ، والبالغ ، والراشد ، وانتهاء بالشيخ الهرم.

---

(١) ابن تيمية – التفاسير . ص ٩٣ .

أ- **طور الطفل الوليد** : ويبدأ منذ ولادة الجنين حتى السنة الثانية ، وهي مدة الرضاعة، ويكون قد اكتمل نموه ، واكتملت أعضاؤه ، وأجهزته الجسمية ، وأصبحت مؤهلة للقيام بوظائفها . فعندما ينزل من بطن أمه يستهل حياته صارخا حتى ينفتح مجرى التنفس؛ لأنه بدونه يموت في الحال . وكذلك يحرك فمه لامتصاص السوائل ، ومنها الحليب ؛ وفي نهاية المرحلة تكتمل أسنانه ، وتبصر عيونه ، وتسمع أذناه . وفي هذه المرحلة لا يتناوله تكليف ، ولا يحسب له ثواب ، بل ويبقى لصيقاً بأمه ، ويسن عند ولادته أن يؤذن في أذنه اليمنى ، بآذان الصلاة ، في أذنه اليسرى بآذان إقامة الصلاة حتى يكون أول ما يسمعه من القول شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. قال "صلى الله عليه وسلم" :"من ولد له مولود ، فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام الصلاة في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان" رواه البيهقي .

وقد روى البيهقي أيضا أن النبي "صلى الله عليه وسلم" :"أذن في أذن الحسن بن علي يوم ولد، وأقام في أذنه اليسرى" وروى الحاكم عن أبي رافع قال :"رأيت النبي "صلى الله عليه وسلم" أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة" رواه أبو داوود، والترمذي.

ولذلك فمن السنة أن يستفتح على المولود حين ولادته بكلمة التوحيد :لا اله إلا الله حتى يصرف الله عنه الشياطين ، وحتى تكون له هداية ، ونورا إلى الصراط المستقيم. قال "صلى الله عليه وسلم" :"افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا اله إلا الله ، وكفنوهم عند الموت لا اله إلا الله" رواه الحاكم عن ابن عباس.

ويذكر الإمام ابن قيم الجوزية – رحمة الله– حكمة التأذين في أذن الوليد بقوله :"وسر التأذين –والله اعلم– أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب ، وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها . وغير مستنكر

وصول اثر التأذين إلى قلبه ، وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى ، وهي هـروب الشيطان من كلمات الآذان ، وهو كان يرصده حتى يولد ، فيقارنه للمحنه التي قدرها الله ، وشاءها ، فيسمع شيطانه ما يضعفه ، ويغيظه أول أوقات تعلقه به ، وفيه معنـــى آخــر : وهو أن تكون دعوته إلى الله ، والى دينه الإسلام، والى عبادته سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها"(١) . ومن حقــوق المولود على الوالدين تسميته باسم لائق، وحق التسمية من الحقوق اللصيقــة بالإنســان لا تنفك عنه طيلة حياته ، فلا يجوز عدم تسميته، كما لا يجوز التخلي عن اسمه ، وحتى بعد مماته . ومن حق الوليد أن يحسن اسمه ، فلا يختار له والداه اسما قبيحاً يسخر الناس منه. كما لا يجوز أن يقلد الكفار في أسمائهم ، وعندنا أن خير الأسماء ما حمد ، وتعبد ، وحيث إننا ينادى علينا يوم القيامة بأسمائنا . قال "صلى الله عليه وسلم" :"إنكم تدعون يوم القيامــة بأسمائكم ، وأسماء آبائكم ، فحسنوا أسماءكم" رواه أبو داوود في سننه.

وقال "صلى الله عليه وسلم" :"من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ، ويحســـن اسمه" رواه البيهقي، كما ثبت انه وكما يروي ابن عمر – "رضي الله عنهما"– أن النبـــي "صلى الله عليه وسلم" غير اسم ابنة عمر "عاصية" ، وسماها جميلة. وقـــال لـــها: "أنـــت جميلة" . رواه الترمذي ، وابن ماجه.

من السنة أن يذبح عن المولود عقيقة أي ذبيحة تعقه عن النار بإذن الله . وبكبشين عن الغلام، وبكبش واحد عن الأنثى. والعقيقة تعتبر حسنة ، وفداء للمولود تعقه ، وتحميـه من همزات الشياطين . عن عائشة أم المؤمنين "رضي الله عنها" قالت: "امرنا رســول الله "صلى الله عليه وسلم" أن نعق عن الغلام بشاتين ، وعن الجارية بشـــاة" رواه الــترمذي ، وقال حديث حسن. وعن سمره أن النبي "صلى الله عليه وسلم" قال :"كل غـــلام مرتــهن

(١) ابن قيم الجوزية – تحفة المودود بأحكام المولود. ص١٧٧ .

بعقيقة ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق ، ويُسمّى" رواه أصحاب السنن ، واحمد ، وصححه الترمذي.

ويؤصل ابن قيم الجوزية حكمة عقيقة المولود بقوله :"لأنها سنة ، ونسيكه مشروعة بسبب نعمة الله على الوالدين ، وفيها سر بديع موروث فداء إسماعيل بالكبش، فصار سُنه في أولاده ، ولا يستنكر أن يكون هذا حرز له من الشيطان بعد ولادته"(١) .

وحكم العقيقة الوجوب على القادرين ، وتسقط عن غير القادرين ، ويسن لهؤلاء إن قدروا بعد أن يكبر المولود أن يذبحو عنه ، والله اعلم .

ب- **طور الطفل غير المميز** : ويبدأ من بداية السنة الثانية حتى بداية السنة السابعة. وفي هذا الطور تكون أعضاء الطفل قد اكتملت تماماً إلا بالنسبة لبعض وظائف الأعضاء فتبقى قاصرة كالتمييز، والتفكير ، والحكم على الأمور ، والأشياء من حيث كونها حسنة ، أو قبيحة ، نافعة ، أو ضارة . والطفل غير المميز لا يتناوله تكليف شرعي ، ولا تكتب في صحيفته حسنة ، أو ثواب ؛ فهو غير مكلف ، وغير مثاب ، وغير معاقب. ولذلك لا يطالب منه أداء الصلاة مثلا ، وإن أداها لا يثاب عليها. ولكن يترتب لغير المميز حقوق على والديه كتربيته التربية الحسنة، وتنشأته النشأة الإسلامية. قال "صلى الله عليه وسلم" :"من كانت له بنت ، فأدبها ، واحسن تأديبها ، وعلمها فاحسن تعليمها ، واسبغ عليها من نعم الله ، كانت له سترا ، وحجابا من النار" رواه القرطبي عن ابن مسعود(٢).

وللطفل غير المميز حق المصاحبة، وحسن العشرة ، والعطف ، والحنان ، والإحسان ، قال "صلى الله عليه وسلم" "من كانت له ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات ، أو بنتان ، أو أختان ، فأحسن صحبتهن ، واتقى الله فيهن ، له الجنة" رواه الترمذي .

---

(١) ابن قيم الجوزية – نفس المرجع ص٥١.

(٢) القرطبي – تفسير – الجامع لأحكام القرآن جـ١٠ ص١١٨ .

وقال "صلى الله عليه وسلم" :"من ابتلى من البنات بشيء، فاحسن إليهن كن له سترا من النار" رواه مسلم.

وقال أيضا :"ما من مسلم له ابنتان ، فيحسن إليهما ما صحبتهاه ، أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة" رواه ابن ماجه ، وابن حبان.

وروى أبو قتادة :"أن النبي "صلى الله عليه وسلم" كان وهو يصلي يحمل أمامه بنت زينب ، فإذا سجد، وضعها، وإذا قام، حملها" رواه البخاري ، ومسلم.

جـ- طور الطفل المميز : ويبدأ من بداية السنة السابعة ، وينتهي بسن البلوغ ، وتعتبر هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة من حيث اكتمال الأعضاء الجسمية إلا أنها تكون انضج ، واكثر قدرة على القيام بوظائفها ؛ ولذلك فان الطفل المميز وإن لم يكن مكلفا بأداء التكاليف الشرعية إلا أنها تحسب له إن أداها ، وتكتب حسناتها في صحيفته ؛ ولذلك يسن في هذا الطور تدريب الأطفال على أداء الفرائض الدينية : كالصلاة ، والصيام ، وأداء الأعمال الخيرية : كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والصدقة، وحسن المعاملة ، وغيرها. من اجل ذلك قال "صلى الله عليه وسلم" :"مروا صبيانك بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع" رواه احمد، وأبو داوود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وكذلك يسن تلقينهم شواهد الإيمان، والإحسان كحب الله ، ورسوله ، وال بيته ، وتعليمهم القرآن ، والحلال ، والحرام . قال "صلى الله عليه وسلم": "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن" رواه الطبراني.

وقد حضت السنة النبوية ترغيبا ، وترهيبا على العناية بالطفل في هذا الطور لأهميته ، ولما للتربية فيه من أثر محمود على الطفل في الطور القادم ، وهو طور

البلوغ، ولذلك فمن أهم مظاهر العناية بالطفل المميز تأديبه ، وتعليمه ، والإنفاق عليه، وحسن معاشرته.

من اجل ذلك قال "صلى الله عليه وسلم" :"ما من رجل عال جاريتين حتى تبلغا دخلت أنا ، وهو الجنة كهاتين ، وأشار بإصبعيه" رواه مسلم ، وأبو داوود.

وقال أيضا :"ما من مسلم يكون له ثلاث بنات ، فينفق عليهن حتى يبلغن ، أو يمتن إلا كن له حجابا من النار؛ فقالت امرأة :أو بنتان ؟ قال : أو بنتان" رواه الطبراني عن عوف بن مالك. وقال "صلى الله عليه وسلم" :"أطعموهن مما تأكلون ، وأكسوهن مما تكتسون ، ولا تضربوهن ، ولا تقبحوهن" رواه الشوكاني.

وقد اجمع العلماء على وجوب الإنفاق على غير البالغين لأهميته ، وضرورته. فقد ذكر الإمام ابن حزم في مراتب الإجماع :"اتفاق العلماء على لزوم المرء نفقة ولده ، وابنته اللذين لم يبلغا ، ولا مال لهما حتى يبلغا" .

د- **طور البلوغ** : ويبدأ منذ ظهور علامات الرجولة بالنسبة للذكر : كخروج المني ، وتكوّن النطاف في الخصيتين ، والاحتلام ، وخشونة الصوت ، وظهور الشعر ، والشعور باللذة الجنسية . وبالنسبة للمرأة بظهور علامات الأنوثة : كنزول الحيض ، وتفريخ البويضات في المبيض ، ونتوء الصدر ، ونعومة الصوت ، والشعور باللذة الجنسية ، والحياء.

وتعتبر هذه المرحلة أهم أطوار نمو الإنسان ؛ نظرا لاكتمال قيام الأعضاء الجسمية بوظائفها. فالرجل يصبح قادرا على القيام بواجباته الدنيوية ، والدينية ، وكذلك ممارسة حياته الجنسية . وكذلك المرأة تصبح قادرة على القيام بنفس الواجبات ، وكذلك إنجاب الأطفال.

تتميز هذه المرحلة بأنها تعتبر مناط التكليف الديني ، والدنيوي معا ، اللهم باستثناء المعاملات المالية ، والتصرف بالأموال ، والتي مناطها مرحلة الرشد . ولكن يمكن تدريب البالغ عليها كما درب على أداء الصلاة في طور التمييز.

هـ- **طور الرشد** : وهو امتداد لسن البلوغ إلا انه يتسم باستقلالية الراشد في ممارسة التكاليف ، والقيام بالعاملات المالية، والقيام بجميع أعباء الحياة ، والتكاليف الدينية . والدنيوية قال تعالى :"وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم" النساء آية ٦ .

و- **طور الشيخوخة** : ويبدأ من سن الأربعين ، أو الخمس وأربعين ، وينتهي بالموت، وقد يعبر عنه أحيانا بأرذل العمر حيث يضعف العقل ، ويستشري النسيان ، ويذهب العلم. مصداق قوله تعالى: "ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً" الحج آية٥ .

وتتسم هذه المرحلة بالشيخوخة ، والهرم ، وبداية الضعف ، واضمحلال القوة كما قال تعالى: "ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون" غافر آية ٦٧.

وتبدأ في هذه المرحلة علامات الشيب ، والضعف من بعد قوة كما خلق الإنسان في بداية خلقة. كما قال تعالى :"الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبه" الروم آية ٥٠ .

لقد أكد العلم الحديث معاني هذه الآيات ، ومنها مظاهر الشيخوخة التي تعتري الإنسان في كبره ، وهرمه ، وتتمثل في ضعف أجهزته الجسمية ، وبداية نقصان مناعتها، وتقصيرها في وظائفها إلى أن يعتريها الموت . وقد أصل العلم متوسط التدهور ، والضعف في الجسم الإنساني ما بين ٠,٥-١,٣ في كل عام . وكمثال: فان القلب الذي

ينبض في الدقيقة الواحدة من ٧٠-٨٠ نبضة، وينبض في اليوم الواحد اكثر من مائة ألف نبضة ، وينبض في العام الواحد اكثر من ٣٦ مليون نبضة، فان كفاءة هذا القلب ستنخفض مع مرور السنين ، ويصبح قاصرا عن توريد نفس كمية الدم إلى أعضاء الجسم ، والتي كان يوردها ، والجسم شاباً .

وكذلك الكلية والتي تفرز مادة الرينين في محاولة منها لرفع كمية الدم التي كانت ترد إليها من القلب ، وبالنسبة للخلية الجسمية :فان عملية البناء لها تكون نشيطة في بداية عمرها ، ولكنها تضعف لحساب عملية الهدم حين الكبر ، والهرم ولهذا نرى أن عملية التئام الكسور ، والجروح عند الأطفال أسرع منها عند الشيوخ . وبالنسبة للخلايا العصبية، والعضلية ، تفقد قدرتها على تجديد خلاياها في مراحل الشيخوخة حتى أن بعضها يموت ، ويفقدها الجسم نهائيا ، ويشغل النسيج الليفي مكانها.

وبنظرة فاحصة ، وبواسطة المجهر إلى داخل الخلية الجسمانية الهرمة نلاحظ ترسبات فيها تسمى أصباغ الشيخوخة . وهي مواد كيماوية غريبة تتجمع في خلايا المخ ، والعضلات ، وتكسبها لونا خاص. وهي عبارة عن بروتينيات ، ودهون متأكسدة تؤدي بالخلية إلى الوهن ، والضعف ، والتنكيس(١).

وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى :"ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون" يس آية ٦٨. وقوله تعالى :"قال رب إني وهن العظم في واشتعل الرأس شيباً" مريم آية ٤.

٣- حقيقة الأطوار التكوينية - وتتأصل ضمن ثلاث مراحل هي :

الأولى - المرحلة الحوصلية - ومدة التكون الجنيني فيها حوالي ثلاثة أسابيع. ففي الأسبوع الأول من الإخصاب تتكون النطفة من دم متجمد كثافته تزيد قليلا عن كثافة

---

(١) د. عبد الحميد ذياب ، ود. احمد قرقوز . كتاب : مع الطب في القرآن الكريم - المرجع السابق ص١١٠ .

الدم العادي .وفي الأسبوع الثاني تتحول النطفة إلى هيئة صفيحة ملساء تتكون من طبقتين هما : طبقة الاندوديرم ، وهي الطبقة الداخلية ، وطبقة الاكتوديرم ، وهي الطبقة الخارجية. وفي الأسبوع الثالث تتكون الطبقة الثالثة ، وهي الوسطى ، والمسمى: الميزوديرم. وتمتد المرحلة الحوصلية من بدء إخصاب البويضة إلى ثلاثة أسابيع من تلقيحها بالحيوان المنوي الذكري ، أو انغماسها في الرحم . وتظهر في هذه المرحلة ثنيتا الرأس ، والدماغ من ناحية ، وثنية الذيل من الناحية الأخرى ، ثم تتوالى التحورات الخلقية المختلفة الأخرى في الجنين حتى يأخذ شكله الآدمي .

الثانية – المرحلة التكوينية المبكرة للجنين – وتبدأ من الأسبوع الرابع حتى الأسبوع الثامن. أي من اليوم الثامن والعشرين حتى اليوم السادس والخمسين. وهو طور العلقة.

وفي هذه المرحلة تتكون الأجهزة الجسمية على انفراد ، وبشكل متمايز ، ومن ثم يتشكل الطفل في صورته التكوينية الأولى.

الثالثة – المرحلة التكوينية الطفيلية – وتبدأ من الشهر الثامن حتى الولادة وفي هذه المرحلة تتكامل الأجهزة التكوينية للجنين تماما ، وبشكل متمايز ، وكل على انفراد.

٤- **حقيقة الأطوار النموية** – ويمكن تأصيلها ضمن حركة النمو الشهرية للجنين منذ الإخصاب حتى الولادة.

الشهر الأول القمري – وهو طور العلقة حيث تتكون أجهزتها التكوينية بشكل متمايز ، ويتكون الجنين في صورته الأولى.

الشهر الثاني القمري – وهو الطور الجنيني المبكر حيث تظهر الأجهزة المختلفة على هيئة نتوءات تبرز شيئا فشيئا ثم تظهر اليدان ، والرجلان كبراعم ، وفيه يتحور

الوجه شيئا ، فشيئا ؛ وينثني الرأس في شكل زاوية حادة على الجذع. وفيه تتحور الأعضاء التناسلية حيث يميز الجنس في الأسبوع الثاني عشر كذكر ، أو أنثى.

الشهر الثالث القمري – وهو الطور التكويني الطفيلي . وفيه يكتمل التكوين الآدمي. وتظل العينان مغلقتين حتى تتفتحان في الشهر السادس.

الشهر الرابع القمري – وهو الطور النموي للجنين حيث تنو الجبهة ، وينمو الحبل السري ، ويظهر شعر الرأس . ويصل طول الجنين في هذا الشهر حوالي ١٥ سنتمترا .

الشهر الخامس القمري – وهو الطور النموي الحركي للجنين. حيث يبدأ فيه الجنين بالحركة ، ويطول شعر الرأس ، ويصل طول الجنين فيه حوالي ٢٠ سم .

الشهر السادس القمري – وفي يظهر شعر الحاجبين، ويصل طول الجنين فيه إلى ٣٠ سم.

الشهر السابع القمري – وهو الطور النموي الكامل للجنين حيث تتفتح فيه العينان ، ولو أنها لا ترى شيئا ؛ ويحمر لون الجلد ، وتنزل الخصيتان إلى كيس الصفن، ويصل طول الجنين فيه حوالي ٣٥سم.

الشهران الثامن ، والتاسع القمريان – وهو الطور النموي الدهني للجنين حيث يغطى الجلد بطبقة دهنية ، زيتية رقيقة . ويتكون الدهن تحت البشرة الجلدية . وتنمو الأظافر إلى آخر الأنامل . ويبلغ طول الجنين ٤٥ سم . وعند الولادة يصل وزن الولود حوالي ٣ كغم ، وطوله ٥٠ سم.

الإعجاز الخلقي الرباني ، والحبل السري ، والمشيمة :

المشيمة هي موضع اتصال الحبل السري من ناحية الأم . أما الحبل السري فيبدأ تكوينه في اليوم الرابع عشر من إخصاب البويضة . وهو يحمل الأكسجين إلى البويضة ،

ويحمل الغذاء من دم الأم إلى الجنين . والغذاء هذا حار دافئ شتاءا ، وبارد صيفا . سبحان الله خالق كل شيء ، ومتقن كل خلق.

يقيم الجنين في بطن أمه إقامة هادئة ، معافى من الأخطار ، فقد فرشت العناية الإلهية تحته وسادة من السائل الأمينوسي يتحرك عليها ، وينقلب بين شاطئيها. والحبل السري يقوم بتوفير سبل الحياة للجنين ؛ وهو قابع على هذه الوسادة ، ويمده بالغذاء ، والأكسجين ، ويساعده على الدوران ، والإخراج ، وإنتاج الهرمونات ، وذلك ضمن غشاء يسمى: الغشاء الاختياري يسمح بمرور المواد الغذائية ، ويمنع مرور المواد الضارة إلى الجنين. يقول رسولنا "صلى الله عليه وسلم" في الحديث القدسي عن ربه: "يا ابن آدم ، جعلت لك قرارا في بطن أمك ، وغشيت وجهك بغشاء كي لا تنفر منك وجعلت وجهك إلى ظهر أمك كي لا تؤذيك رائحة الطعام ، وجعلت لك متكأ عن يمينك، ومتكأ عن شمالك. فأما الذي عن يمينك ، فهو الكبد ، وأما الذي عن شمالك ، فهو الطحال . وأنبعت لك عرقين دقيقين يخرجان لك لبنا سائغا للشاربين حارا في الشتاء ، وباردا في الصيف".

خامسا :حقيقة القرار المكين :

مصداق قوله تعالى :"ثم جعلناه نطفة في قرار مكين" المؤمنون آية ١٣ . وقوله تعالى: "فجعلناه في قرار مكين" المرسلات آية ٢١ .

انه وصف قرآني متين للرحم بأنه قرار مكين أمدته العناية الإلهية بأسباب المتانة، والقوة، والصيانة ليحفظ فيه الجنين ، ويتخلق ، وهو ضعيف ، هزيل ، خلق من نطفة من ماء ، وبحاجة إلى مثل هذا القرار المكين ؛ ليحميه من جميع الأخطار ، ويمده بأسباب الحياة من ماء ، وغذاء ، وهواء.

وتتضافر الأسباب المكينة للرحم ، فتجعله قرارا مكينا ، متينـــا ، هيأتـــه العنايـــة الإلهية ليكون كذلك ، وضمن ثلاثة جوانب متينة من الأسباب المكينة هي :

أ. الجانب التشريحي .

ب. الجانب الهرموني.

جـ. الجانب الميكانيكي .

أ- **الجانب التشريحي** – وتمثل أسباب متانته ، وحفظه للرحم من حيث الأمور التالية:

١-**وقوع الرحم.** أي القرار المكين بين المتانة من الأمام ، والمستقيم من الخلف.

٢-**إحاطة الحوض للرحم** . والحوض عبارة عن جدار سميك ، قوي يتكون من مجموعـة عظام سميكة هي : العجز ، والعصعص من الخلـــف ، والعظميـــن الحرقفييـــن مـــن الجانبين، ويمتدان ليلتحما في الأمام على شكل عظم العانة .

٣-**حماية الحوض للرحم مـــن التقلبـــات** ، والضغوطـــات الخارجيـــة ، والضربـــات ، والرضوض ، ومن جميع الجوانب .

٤-**تشكل الحوض بتشكل الجنين** ، فيكبر ، وينمو بنموه ، ويسهل له الخروج من فتحتـــه السفلية، فأي اضطراب في شكل الحوض ، أو عدم تلاؤمه مع حجم ، ونمو الجنين قـد يجعل الولادة عبر الفتحة السفلية صعبة ، مما يقتضي الحال إجراء العملية القيصرية.

٥-**ربط الرحم بالحوض بواسطة أربطة الرحم** التي تقوم بحمله ، وتحافظ على وضعيتـــه الخاصة الملائمة للحمل ، والوضع.

٦-**تمنع الأربطة الرحم من الانقلاب** حيث يكون كهرم مقلوب ، قاعدته فـــي الأعلـــى ، ورأسه في الأسفل ، وينثني جسمه على عنقه بزاوية خفيفة إلى الأمام. فـــان انقـــلاب الرحم إلى الخلف قبل الحمل يؤدي إلى العقم ، لعدم تمكن الحيوانـــــات المنويـــة مـــن

الوصول إلى الرحم ؛ وإن حصل انقلاب الرحم بعد الحمل، فانه قد يؤدي إلى إسقاط الجنين.

٧-**تمنع الأربطة الرحم من الهبوط إلى اسفل** بعد أن يكبر ، ويزيد حجمه ، ووزنهُ ، وهذه الأربطة هي : الرباطان المدوران ، والرباطان العريضان ، وأربطة العنق الأمامية، والخلفية ، وفي مقدور هذه الأربطة أن تحمل الرحم الذي يزداد وزنه بالحمل من ٥٠غم إلى ٥٣٢٥ غم(١) .

ب- الجانب الهرموني - يفرز المبيض نوعين من الهرمونات هما - هرمون الجريبين ، وهرمون البروجسترون يقومان بحفز الرحم - أي القرار المكين-لتأمين متطلبات الحمل ، ويخففان من تقلصات العضلات الرحمية ، فتلين تلك التقلصات وبالقدر الكافي لتعديل وضعية الجنين داخل الرحم ؛ ويستمر عمل الهرمونات حتى الشهر الثالث ، وبعده تتولى المشيمة تزويد الحمل بالهرمونات اللازمة.

جـ- الجانب الميكانيكي - يفرز الغشاء الأمنيوسي سائلا يسمى السائل الأمنيوسي يحيط بالجنين من جميع الجوانب ، وتزداد كميته حتى تصل حوالي ١٠٠٠ سم٣ في الشهر السادس ، ثم تنقص تدريجيا مع نهاية الحمل .ويقوم السائل الأمنيوسي بحماية الجنين من الضغوط ، والصدمات الخارجية حيث يمتص قوتها بتوزيعها على سطح أوسع. وهو يتعاون في حماية الجنين مع جداريْ البطن ، والرحم معاً .

ونقول بكل ثقة ، ويقين: إن القرار المكين تبقى حقيقته يقينية ، ولا تنقض ، والى قيام الساعة، ويبقى هو المكان الصالح لا غيره لتخلق الجنين ، وبأطواره كلها . لقد حاول كفر العلم الحديث نقض هذه الحقيقة ، وإجراء عمليات الإخصاب ، وتنشئة الجنين خارج

---

(١) د. عبد الحميد ذياب ، و د. احمد قرقوز - مع الطب في القرآن الكريم - المرجع السابق ص٨٩ .

الرحم القرار المكين، وفيما يعرف الآن بأطفال الأنابيب . ولكن علماء الكفر ، وإن نجحوا في إجراء عملية الإخصاب ، وتلقيح البويضة بالحيوان المنوي الذكري في أنبوب التجارب، إلا أن الجنين مات فيه ، رغم أنهم وفروا له كل أسباب الحياة ، والظروف الحياتية المعهودة في الرحم : كالحرارة ، والرطوبة، والغذاء ، وقد اجروا مئات عمليات الإخصاب في أنابيب التجارب . ولأنها ليست قراراً مكينا ، ولا تصلح أن يعوض بها عن الرحم، فان الجنين تخلق فيها بدائيا ، واخذ يكبر ، ويتضخم، وفي كل مرة ينقلونه إلى أنبوب اكبر ، وهو لا يتوقف عن النمو ، والتضخم حتى رأوا انه سيحتاج إلى أنبوب بضخامة ملعب كرة القدم ، وفي النهاية سيموت .ولذلك فان ما نسمع عنه اليوم بوجود أطفال أنابيب لا يعني انهم تخلقوا ، وعاشوا أطوار حياتهم الجنينية في الأنبوب ، وكل ما هنالك أن العلماء استطاعوا فقط إجراء عملية التلقيح في أنبوب الاختبار ثم وفي كل مرة يعيدونه إلى رحم المرأة ، فيحيا ، ويعيش . ولذلك يبقى القرار المكين مكينا ، ولا يصلح غيره لتخلق الجنين ، وتبقى حقيقة القرار المكين يقينية ولا يمكن نقضها ، أو إبطالها ، ومهما ادعى المدعون ، ومهما حاول المشركون.

إن وجود بعض العوائق كالسوائل في رحم المرأة قد تمنع أحيانا من نجاح عملية التلقيح ، فيضطر الأطباء إلى إجراء عمليات التنظيف ، وإخراج العوائق ، والسوائل . وقد لجأوا حديثا إلى إجراء عملية التلقيح بين الحيوان المنوي للزوج ، والبويضة الأنثوية لزوجته خارج الرحم ، وفي ما يسمى بأنبوب التجارب ؛ ليضمنوا نجاح عملية التلقيح، ثم يعيدون الجنين مباشرة إلى رحم الزوجة ليتخلق ، ويحيا أطواره الجنينية فيه : كعلقة ، ومضغة ، وهيكل عظمي، ولحمي ،وجنين متكامل. وهذا جائز شرعا والله اعلم . أما الذي لا يجوز ، ويحرم شرعا أن يجري ، وأن تتم عملية التلقيح في الأنبوب بين حيوان منوي لرجل ، وبويضة أنثوية لمرأة أجنبية ، غير زوجته .

سادساً : حقيقة القدر المعلوم : مصداق قوله تعالى :"فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون" المرسلات آية ٢١-٢٣ .

قدرت المشيئة الإلهية القدر المعلوم لحمل الجنين في الرحم بمدة ٢٨٠ يوما ، أو أربعين أسبوعاً ، أي ما يعادل تسعة اشهر شمسية ، أو عشرة اشهر قمرية.

وقدرت العناية الإلهية اقل مدة للقدر المعلوم بسته اشهر. وتسمى الولادة قبلها الإسقاط. والولادة قبل مدة تسعة اشهر تسمى خداجاً. والإسقاط ليس له حظ بالحياة، بينما الخداج قد يحيا ، ولو لستة اشهر ، أو سبعة ، أو ثمانية ، ولكنه يحتاج إلى رعاية خاصة ليحيا ، ويعيش. قال تعالى: "وحمله وفصاله ثلاثون شهراً" الأحقاف آية ١٥ . أي حمل الجنين ، ورضاعه بعد فصاله من أمه ثلاثون شهراً أي سنتان وستة اشهر . وقال تعالى :"والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" البقرة آية ٢٣٣ .

أي مدة رضاعة الجنين بعد ولادته ، وفصاله عن أمه سنتان. أي أربع وعشرين شهراً. فإذا كان مدة الرضاعة أي فصاله أربعا وعشرين شهرا ، فإنه يبقى مدة ستة اشهر، وهي اقل مدة للحمل . ولذلك يمكن أن تكون مدة القدر المعلوم ، وهو الحمل ستة أشهر. لقد أراد الخليفة ذو النورين عثمان بن عفان أن يطبق حد الزنى على امرأة حملت ، وولدت لستة اشهر من زواجها ، فتصدى له عبد الله بن عباس ، وقال: "أما وإنها لو خاصمتكم بكتاب الله ، لخصمتكم فالله تعالى يقول :"وحمله وفصاله ثلاثون شهرا . وقال : "وفصاله في عامين" فلم يبق للحمل إلا ستة اشهر ، فبرئت المرأة من تهمة الزنى.

سابعاً : حقيقة الظلمات الثلاث: مصداق قوله تعالى :"يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله إلا هو فأنى تصرفون" الزمر آية ٦ . يؤكد علم الأجنة الحديث حقيقة الظلمات الثلاث ، والواردة في قرآننا الكريم منذ أربعة عشر قرنا. في هذه الظلمات الثلاث يغيب الجنين في بطن أمه من الرحم إلى

المشيمة إلى البطن ، ويلتف بثلاثة أغشية هي الظلمات الثلاث ، ويحددها البعض بأنها : ظلمة البطن ، وظلمه الرحم ، وظلمه الغشاء الامنيوسي[1] . ويحددها دكتور محمد وصفي بأنها : ظلمة الخصية ، وظلمة المبيض ، وظلمة الرحم. [2] على أن التفسير الأكثر قبولا والله اعلم – هو ما ورد في كتاب : "مع الطب في القرآن الكريم" والذي حددها بأنها :

أ- **ظلمة الغشاء الأمنيوسي** – وهو يحيط بالجوف الامنيوسي المملوء بالسائل الأمينوسي الذي يسبح فيه الجنين بشكل حر.

ب- **ظلمة الغشاء الكوريوني** – وهو الذي تصدر عنه الزغابات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم.

جـ- ظلمة الغشاء الساقط – وهو مخاطية الرحم السطحية بعد عملية نمو محصول الحمل. وسمي بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة . ويسمى عند العوام الخلاصة[3]. ويحدد دكتور عبد العزيز إسماعيل الظلمات الثلاث بأنها :

أ- ظلمة الغشاء المنباري .

ب- ظلمة غشاء الخوريون.

جـ- ظلمة الغشاء اللفائفي . وهي أغشية رقيقة جداً وترى بالعين المجردة كأنها غشاء واحد[4].

---

(١) د. مصطفى محمود . كتاب – القرآن محاولة لفهم عصري.

(٢) د. مصطفى محمود . كتاب – القرآن محاولة لفهم عصري.

(٣) د. عبد الحميد ذياب ، ود. احمد قرقوز . مع الطب في القرآن الكريم ، المرجع السابق ص٨٧ .

(٤) د. عبد العزيز إسماعيل – الإسلام والطب الحديث ، ص١١٩ .

وبغض النظر عن حقيقة هذه المسميات للظلمات الثلاث ، فإنها تبقى حقيقية يقينية ضرورية لتخلق الجنين ، ونموه في بطن أمه.

ثامناً – حقيقة التكون المسبق للهيكل العظمي : مصداق قوله تعـالى :"فكسـونا العظام لحماً" المؤمنون آية ١٤ .حقيقة إعجاز الهي بتكون الهيكل العظمي مسبقا عن اللحم؛ تتهاوى أمام هذه الحقيقة ادعاءات المدعين ، وتحذلقات المتحذلقين من علماء كفر الغرب ، والشرق، والذين يدعون أن اللحم يتكون قبل العظم . ولكن العلـم الحديـث اثبـت خطـأ أقوالهم، ونظريتهم . وهكذا يتفق التأكيد العلمي الحديث مع النص القرآني العتيد على حقيقة التكون المسبق للهيكل العظمي قبل اللحم حيث قال تعالى :"فكسونا العظام لحماً" ولم يقـل العكس ، ولم يقدم اللحم على العظم . إن اكتساء العظم باللحم لهو دليـل علـى التكـون الهيكلي العظمي للجنين قبل اللحم ، وضمن مرحلة التخلق الكامل للمضغة حيـث يقـول تعالى :"ثم من نطفة مخلقة" ذلك التخلق للمضغة المخلقة الذي يتم بعد الشهر الثالث ، وفـي الشهر الرابع من الإخصاب حيث تتسم هذه المرحلة بالتكون ، والتمايز بين أعضاء الجسـم الجنيني .

تاسعاً – حقيقة خلق الإنسان في احسن تقويم مصداق قوله تعالى :"ثم أنشـأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" المؤمنون آية ١٤ .

وقوله تعالى :"لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم" التين آية ٤ .

هكذا تتوج حلقات الأطوار النموية ، والتكوينية للجنين في إنشائه خلقا أخر سويا ، متكاملاً في شكله ، وأعضائه ، وأجهزته ، فخرج من بطن أمه متناسـقا فـي خلقـة ، وأعضائه ، وفي احسن صوره ، واجمل هيئة ، واجمل خلقة ، بل وفي احسن تقويم.

يقول سيد قطب في هذا المقام :"إن هذا الإنسان الكائن ، المعقد كلـه ملخـص ، وكامن بجميع خصائصه ، وسماته في تلك النقطة الصغيرة التي لا تراها العين المجـودة .

وإن تلك الخصائص ، والسمات كلها تنمو ، وتتفتح ، وتتحرك في مراحل التطور الجنيني حتى تبرز واضحة عندما ينشا خلقا أخر ، فإذا هي بارزة ناطقة في الطفل مرة أخرى وإذا كل طفل يحمل وراثاته الخاصة فوق الوراثات البشرية العامة"[(١)] .

ويقول الإمام الطبري عن مجاهد : "أحسن تقويم . أحسن صوره ، وأبدع خلق"[(٢)] إن حقيقة احسن تقويم لتملأ العقول اندهاشاً ، والقلوب إيمانا ، والجوارح عرفانــا بقــدرة الخالق ، وتزيينه للإنسان، وجعله في احسن شكل ، واجمل صوره ، وتناسق أعضـــاء ، عاقلا ، مميزا ، ناطقا ، مفكرا، عالما ، عاملا ، عابداً .

لقد تعالى الله في قدرته ، وحسن حبكه ، ودقة صنعه حيث انشأ الإنسان خلقاً آخر من بعد نطفة ، وعلقه ، ومضغة ، وعظام ، ولحم ستر العظام به . سبحانه عندما يقــول وهو اعز من قائل :"ثم أنشأناه خلقا أخر" أي من بعد تلك الأطوار ، وأثنائها نفخنا فيه مــن روحنا ، فجعلناه خلقا آخر سويا يدب على الأرض ، ويسعى ، ومن بعد ذلك فإما أن يكون مؤمنا ، وإما أن يكون شاكراً .

يقول الإمام الفخر الرازي :"أي جعلناه خلقا مباينا للخلق الأول حيث صار إنسانا، وكان جمادا ؛ وناطقا ، وكان ابكما ؛ وسميعا ، وكان أصماً ؛ وبصــيراً، وكــان أكمــهاً. وأودع كل عضو من أعضائه عجائب فطره ، وغرائب حكمــه لا يحيــط بــها وصــف الواصفين"[(٣)].

عاشراً : حقيقة بصمة البنان – مصداق قوله تعالى :"بلى قادرين على أن نسوي بنانه" القيامة آية ٤ . إن معجزه تسوية البنان تظل تفحم الإنسان ، وبني البشر إلــى قيــام

(١) سيد قطب – تفسير في ظلال القرآن . جـ٢٠ ص١٨-١٩ .

(٢) الإمام الطبري – تفسير جامع البيان جـ ٣٠ ص١٥٦ .

(٣) الإمام الرازي – تفسير مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير . جـ٢٣ ص٨٥ .

الساعة، باعتبارها دلالة على القدرة الربانية في التسوية ، والخلــق لمخلوقاتــه ، ومنــها الإنسان. لقد قال تعالى في محكم آياته :"ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكــم الســمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون" السجدة آية ٩ .

وأمام التسوية الإلهية لآدم، وبنيه ، واجتماعها مع نفخ الروح الإلهية ، وإذا بــها تسمع ، وتبصر ، وتعقل ؛ ولكن النفس البشرية معاندة في كثير من الأحيان ، وبدلا من أن تشكر العناية الإلهية ، وقد خلقها الله ، وقد سواها من عدم ، إذا بها تكفر ، وتتكــر علــى العناية الإلهية قدرتها، وتأخذ تسأل، وتتساءل عن قدرة الله في إحياء النفس البشرية من بعد مماتها ؛ وهي تعترف أنها لم تك من قبل شيئا. والأنكى من ذلك أن نتساءل هــذه النفــس البشرية عن القدرة الإلهية ، وهل تستطيع أن تحي العظام، وهي رميم؟!! .

روى الواحدي قال :"إن عدي بن ربيعة أتى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقــال : حدثني عن يوم القيامة متى يكون ، وكيف أمرها ، وحالها ؟!! فاخبره النبــي "صلــى الله عليه وسلم" بذلك ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم ، لم أصدقك يا محمد ، ولم أومن بــه ، أو يجمع الله هذه العظام ؟!! فانزل الله تعالى :"أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامــه ، بلــى قادرين على أن نسوي بنانه" القيامة آيه ٣-٤ (١).

وإزاء مثل هذه التساؤلات عن مدى قدرة الإله في إحياء الموتى، وإزاء تسـاؤلات المشرك عدي بن ربيعه عن قدرة الإله على إحياء العظــام، اقسـم الله تعـالى بـإحدى مخلوقاته، وهي يوم القيامة، يوم الحساب على انه قادر على ذلك، وانه قادر ليس فقط علـى جمع العظام ، وإحيائها، وإنما قادر أيضا على خلق إصبع الإنسان ليكون فــي خطوطــه، وأقواسه، وعراويه، ودواماته ، وخلاياه آية أخرى على قدرته، وعزته ، فقال عــز مــن

---

(١) د. غازي عنايه – كتاب : أسباب النزول القرآني . ص٤٠٠ .

قائل: "لا اقسم بيوم القيامة، ولا اقسم بالنفس اللوامة، أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامـــه، بلى قادرين على أن نسوي بنانه" سوره القيامة الآيات ١-٤.

لقد اقسم الله في معرض بيان قدرته في الخلق بيوم القيامة ، يوم الحساب ، يـــوم البعث ، واقسم أيضا بالنفس اللوامة ، وهي المؤمنة التي تلوم صاحبها على تقصيره بحـق الله تعالى من ترك العبادات ، واقتراف السيئات . قال المفسرون : "لا" لتـــأكيد القســم ، وليس للنفي . وقد اشتهر في كلام العرب زيادة "لا" قبل القسم لتأكيد الكلام ؛ وكأنه مـــن الوضوح بحيث لا يحتاج إلى قسم؛ وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن، ولتحاسبن ، وقـد دل عليه قوله :"أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه" لقد اقسم الله بالنفس اللوامة المؤمنة التي تلوم نفسها دوما ؛ وذلك تكريما لها على مثل ظواهرها الإيمانية، ومنها اللوم ، والعتـاب . قال الحسن البصري هي نفس المؤمن ، إن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفســه ، مـــاذا أردت بكلامي ؟! وماذا أردت بعملي ؟! وإن الكافر يمضي، ولا يحاسب نفسه ، ولا يعاتبها"[1] .

لقد أعقب الله قسمه الإخبار عن قدرته في الخلق ، والإبـــداع فقـــال : "أيحســب الإنسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه" وقد أجاب بقوله :"بلى" وليس بنعم؛ لان بلى هي اللائق بيانيا أن تكون جوابا لكل سؤال، أو تساؤل ورد بالنفي كقولــــه تعالى في سوره الملك :"تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يـــأتكم نذير ، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن انتم إلا فـــي ضـــلال كبير" آية ٨-٩ .

---

(١) انظر : ابن جزي : تفسير التسهيل لعلوم التنزيل جـ٤ ص١٦٣ والالوســي : تفســير روح المعاني جـ٢٩ ص١٣٥ .

والخازن : تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل جـ٤ ص١٨٢ والصاوي : الحاشــية على تفسير الجلالين جـ٤ ص٢٧٠ والرازي :التفسير الكبير جـ٣٠ ص٢١٧ .

أي بلى نحن قادرون على جمع هذه العظام ، بل وقادرون على أن نعيد ، ونسوي أطراف أصابعه ، وهي اصغر عظامه ، وأعضائه ، وأدقها خلقا ، وألطفها التئاما ، فكيف أذن بما هو اكبر منها ؟! وقد حرصت العناية الإلهية أن تذكر البنان - وهي رؤوس الأصابع - لما فيها من دقه خلق ، وغرابة وضع ، وجمال صنعه ؛ لان ما فيها من خيوط، وتجاويف ، وأقواس، وعراوي، ودوامات ، والموجودة في أطراف أصابع إنسان معين لا توجد نظائرها تماما ، ولا تماثلها خطوط ، وتجاويف موجودة في أطراف أصابع إنسان أخر على وجه الأرض. ولقد اكتشف العلم الحديث سر قوله تعالى :"بلى قادرين على أن نسوي بنانه". ولذلك يعتمد العلماء هذه الأيام على بصمات الأصابع للتعرف على أصحابها ، وكذلك يعتمد على بصمة الإبهام في تمييز الإنسان وتأصيل شخصيته ؛ حيث أن كل بنان يستقل بخطوطه ، وتجاويفه ، ودواماته. وبعد أن اكتشفت هذه الحقيقة في القرن التاسع عشر ، والعلماء، والخبراء يعتمدون عليها في حل كثير من الألغاز ، واثبات كثير من الوقائع ، وخاصة في ميدان الجنايات ، والاعتداءات حيث يعتمد على بصمة الأصابع ، وخاصة بصمة الإبهام في التعرف على المجرم ، أو صاحب الواقعة الجنائية ، والتي غالبا ما يتركها على أدوات الجريمة التي يستعملها أو يتركها في مكان الجريمة ، "سبحان الله عما يشكرون".

أحد عشر - حقيقة القلب - مصداق قوله تعالى :"إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" سورة ق آية ٣٧ .

آية أخرى من آيات الأعجاز الإلهي في الخلق ، والإبداع ، جعل الله القلب روح الحياة في الجسد الإنساني، وجميع الدواب ، وجعله ميكنة الغذاء ، والتوزيع ، والتصفية ، والتنقية لشريان الحياة، وهو الدم . والقلب عبارة عن عضلة لحمية ، تنبض بالحياة ، وتضخ الدم إلى خلايا الجسم الإنساني طيلة حياته دون ملل ، أو كلل حتى وفي حالة

التخدير الكلي لجسم الإنسان ، كما انه العضو الوحيد فيه والذي لا يصاب بالسرطان . يبقى القلب دوما موفور الحركة الدائبة دون أن يستجدي الإنسان صاحبه وقودا ، أو قطع غيار . وبحركته تدب الحياة في الإنسان ، وبتوقف هذه الحركة يموت الإنسان . عاش سيدنا نوح – عليه السلام – ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو قومه ، وقيل : عاش ألفاً وخمسماية سنة ، وقيل : ألف وثلاثماية عاما ، وقلبه يمده بروح الحركة ، والحياة ، والنشاط.

قال تعالى :"فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً" العنكبوت آية ١٤. ويعيش الإنسان نصف قرن ، واكثر ، بل وقد يعيش قرنا كاملا أو اقل من ذلك قليلا وقلبه يعود إليه الفضل بعد الله في سر حياته . وكما ورد في الحديث الشريف :"أعمار أمتي ما بين الستين ، والسبعين ، واقلهم من يجوز ذلك" رواه الترمذي ، وأبو يعلى في مسنده.

يخفق القلب من ٧٠-٨٠ خفقه في الدقيقة الواحدة في الأحوال العادية ، ويخفق ١١٢٥٠٠ خفقه في اليوم الواحد ، و ٣,٤٥٦,٠٠٠ خفقه في الشهر الواحد.

ويضخ القلب ما يقرب من ثمانية آلاف لتر من الدم في اليوم الواحد ، والى مسافة تقدر بحوالي عشرة آلاف ميل . ويضخ حوالي ٥٦ مليون جالون من الدم طيلة حياة الإنسان.

لقد أشارت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية إلى القلب بمعنييه المادي ، والمعنوي ، وجعلت منه موطن الصحة ، والسلامة ، وسبب الحياة المادية للجسد ، وجعلت منه موطن الصلاح ، والهداية ، أو الضلال ، والغواية ، وسبب الحياة المعنوية للإنسان.

وبالمعنى المادي للقلب : فقد جعله الله معيار ، وسبب حياة الجسم الإنساني ، أو مماته . فالقلب ما دام ينبض بالحركة ، ويزود الجسم بالدم ، والغذاء ، والهواء ، يبقى هذا الجسم حياً ، وإن توقف القلب عن الحركة ، مات الجسم . فبالقلب يحيا الجسم الإنساني ،

وبموته يموت. لقد جعله الله عنوان حياة الإنسان ، وفي نفس الوقت مؤشر موته ، وفنائه . وهو بهذا يختلف عن سائر أعضاء الجسم الأخرى . فقد يعيش الإنسان بدون عينيه ، وبدون أذنيه ، أي قد يعيش ولو فقد سمعه ، أو بصره ، أو الاثنين معاً ؛ وقد يحيا بدون كلية ، أو بدون مرارة ، أو بدون أيدي ، أو بدون أرجل ، أو بدون جهاز تناسل ، أو أجزاء أخرى من جسده ، ولكنه يستحيل أن يحيا الجسد بدون قلب.

وبالمعنى المعنوي للقلب: فقد جعله الله معيار ، وسبب صلاح الإنسان ، أو طلاحه . وجعله الله موطن إيمانه ، أو كفره ، ومؤشر فضائله ، أو رذائله ، ومحك هديه أو ضلاله. وكما قال "صلى الله عليه وسلم" :"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله ، وإذا فسدت ، فسد الجسد كله" رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داوود ، والنسائي، والترمذي ، وابن ماجه.

ومن أجل ذلك عندما عبر عن العمى الحقيقي ، وهو الكفر قال تعالى :"فإنها لا تعمى الإبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" الحج آية ٤٦ .

إن عمى القلب اشد من عمى البصر ؛ لان عمى القلب عمى بصيرة ، وعمى البصر عمى نظر ، ورؤية ؛ فكان عمى القلب عن الإيمان ، والهدى ، والاستقامة اشد فداحة ، وخسارة ، وهلاكاً . وعندما عبر عن الزيغ ، والضلال ، فقد جعل موطنه القلب، فقال تعالى :"فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله" آل عمران آية ٧ .

وعندما تكلم عن مرض النفاق ، والغواية عن الإيمان ، ودين الإسلام، فقد جعل وكره القلب ، فقال تعالى :"إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم" الأنفال آية ٤٩ .

قال الراغب :"مرض القلب هو الرذائل الخلقية : كالجهل ، والجبن ، والنفـاق ، والبخل ، وهي تمنع من إدراك الفضائل كما يمنع المرض البدن من العمل ، وهذا المرض يمنع من سعادة الدنيا ، والآخرة" .

وبالمعنى المعنوي للقلب فقد عبرت عنه العناية الإلهية بالعقل أحيانا؛ لأنه موضعه، ومقارنه. ولذلك عندما كان يتكلم عن قصص الأقوام السابقين ، وما حل بهم من هلاك ، وعذاب ، يعقب هذا الكلام قوله :"إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" سورة ق آية ٣٧ . أي لمن كان له عقل يتدبر به . قال سفيان : لا يكون حاضرا ، وقلبه غائب"[١] .

وقال الضحاك : "العرب تقول : ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه ، وهو شاهد بقلب غير غائب" [٢].

إن مرض القلب المعنوي اشد خطرا على صاحبه من مرض القلب المادي ، كانسداد الشرايين ، أو تجلط الدم ، واشد خطرا من مرض النظر ، مرض العين ، وهو العمى ، وعدم البصر؛ لان مرض القلب المعنوي يعني الكفر ، والنفاق ، وهذه تقود صاحبها إلى جهنم ، بينما مرض القلب المادي لا يمنع صاحبه من دخول الجنة إن كان مؤمنا. ولذلك كان مرض القلب المعنوي عنوانا للنفاق دوما . هذا إن كان وحيدا ، فما بالك لو صاحبه مرض البصر ، فيكون عمى البصيرة معه شر مرض ينتاب إنسانا في حياته. تخبرنا كتب أسباب النزول القرآني أن مربع بن قيظي ، وكان مصابا بمرض البصر ، والبصيرة معاً ، وكان من اشد المنافقين ، والعداوة للرسول "صلى الله عليه وسلم" وقد اخذ هذا المنافق حفنة من تراب ، وأراد أن يرمي بها النبي "صلى الله عليه وسلم" وهو

---

(١) محمد علي الصابوني – تفسير مختصر ابن كثير جـ٣ ص٣٧٨ .

(٢) محمد علي الصابوني – تفسير مختصر ابن كثير جـ٣ ص٣٧٨ .

ذاهب إلى غزوة أحد ، وهمّ الصحابة بقتله ، فقال لهم النبي "صلى الله عليه وسلم" :"دعوه، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر؛ وضربه سعد بن زيد بالقوس فشجه"(١) .

اثنتا عشره – حقيقة العقل – مصداق قوله تعالى :"لعلكم تعقلون" الزخرف آية ٣ والأنعام آية ١٥١ من اعظم نعم الله على الإنسان ، به عرف ربه فهدى ، وبه فضله الله على سائر مخلوقاته من دواب الأرض. إن العقل سر من أسرار الإعجاز الإلهي في الخلق. لم يستطع العلم أن يكتشف جميع ألغازه ، وكل ما توصل إليه العلماء من مكونات العقل أدهش عقولهم ، وحير لبابهم.

يتكون الدماغ من ١٣ مليار خلية عصبية و ١٠٠ مليار خلية دبقية استنادية ، وظيفتها حراسة الخلايا العصبية ، وحمايتها من الإصابة بالسرطان . ويحتاج الدماغ يوميا إلى ١٠٠٠ لتر من الدم، ويبلغ طول الخلايا العصبية في جسم الإنسان أضعاف المسافة بين الأرض ، والقمر ، والتي تبلغ ٢٤٠ ألف ميل. ويطلق المخ على الجزء المادي من العقل ، والذي يبقى سرا غامضا لم تعرف حقيقته ، ولم يراه أحد كالكهرباء، والمغناطيس، والذرة ، والنواه ، وغيرها.

وينقسم المخ إلى قسمين ، أو نصفين كرويين متماثلين : النصف الأيمن ، ويمثل النصف الأيسر من الجسم ؛ والنصف الأيسر ، ويمثل النصف الأيمن من الجسم.

ويتكون المخ من خلايا ، ومساحات تتحكم في التفكير ، والذكاء ، وأخرى تتحكم في الحركة، وأخرى في الإحساس، وأخرى في الإبصار ، وأخرى في السمع ، وأخرى في الشم ، وهكذا .

ويحتوي كل سم٣ من المخ على آلاف مؤلفة من المراكز ، والقنوات ، والخلايا العصبية المتوازنة حينا ، والمتقاطعة حينا أخر ، ولكل منها مجرى خاص ، وسلوك

---

(١) د. غازي عنايه – أسباب النزول القرآني . ص٥٢ .

معين. ويتمثل جسم الإنسان مقلوبا في المخ. فالمساحات العليا السطحية من القشرة المخية تتحكم في حركة القدمين ، والمساحات المتوسطة تتحكم في وسط الجسم، والمساحات السفلية من القشرة المخية تتحكم في الوجه، والجهة ، والعينين . ويحتوي المخ على ألف مليون خلية عصبية ، وتسري الشرارة الكهربائية العصبية في العصب بسرعة تعادل ثمانين ميلا في الساعة .

ويتكون الجهاز العصبي من جهازين : السمبتاوي ، والباراسمبتاوي .

وأما الجهاز السمبتاوي: فانه يعمل أثناء النهار ، وهو المسئول عن الحركة ، والنشاط ، ويهدم الطاقة ، ويرفع ضغط الدم ، ويزيد من التوتر ، والخفقان ، وهو المسئول عن القلق.

أما الجهاز الباراسمبتاوي: فهو يعمل أثناء الليل ، وهو المسئول عن الهدوء ، ويختزن الطاقة، ويهدئ ضغط الدم ، ويقلل من خفقان القلب ، والتوتر ، والقلق.

ويتبادل الجهازان العمل ، فحينما ينشط الأول ، يهدأ الثاني ، ولا يجتمعان في عمل واحد إلا في حالة الجماع الجنسي ؛ حيث يقوم الجهاز السمبتاوي بتوتير العضلات حتى تنتج قوة دافقة يتدفق معها السائل المنوي في مهبل الأنثى . أما الجهاز الباراسمبتاوي فانه يقوم بتنشيط إفراز الغدد التناسلية الجنسية ، ومن ثم فهما يتكاتفان معا في عملية الجماع الجنسي .

ويشكل العقل غرفة عمليات يريد منها الجسم ، فيصدر أوامره ، ونواهيه ، وتحذيراته إلى جميع أجهزته ، ويوافق ، ويثيب على تصرفاتها ، ويعاقب ، ولا يقرّ أخرى.

ولعظم مسئوليه العقل فقد جعل الله مؤشر الهداية ، والإيمان ، ومناط التكليف بالفرائض الشرعية . فبالعقل عرف الإنسان ربه حتى أن بعض الأحناف فسروا كلمة

رسولا الواردة في الآية :"وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً" الإسراء آية ١٥ بأنه العقل. فالعقل مؤشر الهداية ، والإيمان قبل بعث الرسل، وكما يقول العوام : الناس عرفوا ربهم بالعقل . ويتكاتف العقل مع الرسل ، والأنبياء في هداية الناس إلى الإيمان بربهم ، والسير على الصراط المستقيم . ولذلك كثير ما يختم الله بعض آياته بقوله: "لعلكم تعقلون". إن العقل نعمة إلهية لا تعدلها نعمة ، ميز الله بها الإنسان عن الحيوان، وإن لم يستعمل الإنسان عقله ، أو عطله ، فانه يكون قد اقترف جريمة ما بعدها جريمة سواء بحق ربه ، أو بحق نفسه ، أو الناس جميعاً . وبذلك نعى الله على الكافرين كفرهم؛ لأنهم لم يستعملوا عقولهم في التفكير بآيات ربهم ، ومن ثم الإيمان به ، فوصفهم بالأنعام بل أضل منها ، فقال تعالى :"أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً" الفرقان آية ٤٤.

انهم بإغلاق عقولهم عن الإيمان بربهم ، وعن إتباع الهدى كالأنعام بل أسوا حالا، واقبح مآلاً، وابشع مصيراً؛ لان البهائم آمنت بربها بغريزتها ، وعرفت مصالحها، واهتدت لمراعيها ، واتبعت ما ينفعها ، ويحفظ لها سلامتها . ولذلك لم نجد حيوانا واحدا ثوراً كان أو حمارا ، أو أسدا اقدم على الانتحار ، أو سلك سبيل الهلاك ، أو اقترف الضرر . إن الحيوان لا يتمتع إلا بإرادة واحدة هي إرادة الخير ، والسلامة ؛ لأنه لا عقل له ، ولذلك لا يسلك غيرها.

أما الإنسان فيمتتع بإيرادات عديدة في الخير ، والشر ، والصحة ، والمرض ، والسلامة ، والهلاك، من اجل ذلك خلق الله له عقلا ليحكمها ، ويضبط اراداته كلها فيقدم على الخير ، ويبتعد عن الشر. إن شارب الخمر يقترف جريمتين لا جريمة واحدة، أما الأولى انه عصى ربه، وأما الثانية انه عطل عقله . ومن ثم اصبح كالحيوان سواء بسواء، بل أضل من الحيوان ؛ لأنه بفقدانه لعقله لا يستطيع أن يتحكم بإرادته ، وأن يضبط

تصرفاته، وأن يميز سلوكاته ، فيخلط بين الخير ، والشر ، والسلامة والهلاك ؛ فتراه في تعطيله لعقله ، أو بعدم استعماله له الاستعمال الأحسن يقترف جميع الجرائم ، ويرتكب جميع المنكرات.

تروي الروايات أن امرأة ذات مال، وجمال دعت عبدا صالحا إلى منزلها ، وكان عندها طفل صغير، فعرضت على العبد الصالح أن يقتل الطفل ، فرفض ، وقال : معاذ الله ، أن اقتل نفسا زكية، فعرضت عليه أن يزني بها ، فرفض ، وقال : معاذ الله أن ازني، وأنا العبد الصالح ؛ فرأت أن تحتال عليه ، وتضيع عقله ، فيفعل ما تشاء ، فعرضت عليه أن يشرب الخمر ، فقبل ، وقال : أما هذه ، فلا بأس ، واعتقد أن أمر شربها هو عليه هيّن . وعندما شرب الخمر ، ودارت برأسه ، وسكر ، فقد عقله ، فقتل الصبي ، وزنى بها.

ثلاث عشره – أمثلة أخرى على بعض حقائق : "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"

١ – **العين** – قال تعالى :"ولهم أعين لا يبصرون بها" الأعراف آية ١٧٩. أنها سر من الأسرار الأعجاز الإلهي الخلقي ، جعلها الله وسيلة إبصار ، وملاحظة ، وتأمل ، وتفكر في نفسها ، وفي مخلوقات الله خالقها.

لقد اكتشف العلم حديثا آيات الله في دقة صنعه للعين ، والتي تتكون من ماء ، فأبدع تركيبها ، وخلقها ، وتكوينها من عضلات ، وشرايين ، وأعصاب، وعدسات ، وسوائل ، وبؤر ، وألوان ، وأسرار : كالرموش ، والأهداب ، والأجفان ، والحواجب، والجلود ، والشعر ، والعظام.

تتكون العين من ١٤٠ مليون مستقبل حساس للضوء تسمى المخاريط والعصي ؛ وتشكل إحدى الطبقات العشرة التي تتكون منها شبكة العين ، والتي تبلغ في سمكها ٠,٤

مم، ويخرج من العين نصف مليون من الألياف العصبية ينقل الصورة بطبيعتها الملونة معكوسة إلى العقل ، فيصححها ، ويوعز إلى العين لأن تراها طبيعية، وغير معكوسة.

وتحتوي العين على نوعين من العضلات :

أ- نوع إرادي يتحرك بإرادة الإنسان.

ب- ونوع غير إرادي يتحرك بدون إرادة الإنسان ، وإنما بالعضلات التي تتحكم في ضيق حدقة العين ، أو اتساعها. وكل هذه الحركات تخضع لمؤثرات عصبية. إن العضلات القابضة لخدمة العين تحميها ، وما بداخلها من الأنوار الساطعة المبهرة وتلك العضلات الموسعة للعين تزيد من مجالات الرؤية عند النظر ليلاً. ويوجد في عين الإنسان الواحدة قرابة المائة وثلاثين مليونا من الخلايا الضوئية الحساسة. ويوجد في كل شبكية عين عشر طبقات من العقد ، والخلايا العصبية الحساسة للضوء متصلة ببعضها البعض. ويتكون العصب البصري من مليون ليفه عصبية، والذي لا يزيد سمكه عن بضعة ملليمترات. وتساعد العين الأطباء في تشخيص كثير من الأمراض ، ومنها الباطنية المستعصية مثل : مرض اليرقان ، والالتهابات الكبدية ، والتهابات المرارة ، والنزيف الدموي ، والتهاب العضلة القلبية البكتيرية تحت الحادة ، والأورام ، وارتفاع ضغط الدم ، والصداع ..... وغيرها.

٢- **الأذن** - قال تعالى :"ولهم آذان لا يسمعون بها" الأعراف آية ١٧٩ . ويوجد في العضو الكورتي الذي يمثل شبكية الأذن ٣٠,٠٠٠ خلية سمعية لنقل الاهتزازات الصوتية . ويوجد في الأذن الباطنية قسم يسمى التيه لكثرة دهاليزه ، وممراته ، غرفه ، وحفره ، وفوهاته.

٣- **الكلية** - تحوي مليون وحده وظيفية لتصفية الدم تسمى النفرونات. ويرد إلى الكلية ١٨٠٠ ليتر من الدم كل يوم، وليله . ويتم رشح ١٨٠ ليتر من الدم كل يوم وليله ،

ويعاد امتصاصه في الأنابيب الكلوية ، ويطرد لتر ونصف من دم الكلية في شكل بول يومياً ويبلغ طول النّفرونات حوالي ٥٠ كم.

٤- **الفم** - يتوسف في مخاطية الفم ٥٠٠ ألف خلية تعوض فورا كل خمس دقائق.

٥- **التنفس** - يتنفس الإنسان كل يوم ٢٥ ألف مره يسحب فيها ١٨٠ متر مكعب من الهواء ، فيها ٦,٥ متر مكعب من الأوكسجين يمتصه الدم.

٦- **الدم** - في الدم الكامل ٢٥ مليون كرية دموية حمراء لنقل الأوكسجين. وفي الدم ٥ ملايين كرية دموية حمراء في كل ملمتر مكعب من الدم. ويبلغ طول الكريات الدموية الحمراء في الجسم الواحد صفا يمكن أن يحيط بالكرة الأرضية. وتبلغ سرعة كل كرية دموية حمراء ١٥٠٠ دورة دموية بشكل وسطي كل يوم تقطع خلالها ١١٥٠ كيلو متر في عروق البدن. وفي الدم ٢٥ مليار كرية دموية بيضاء لمقاومة الجراثيم. وفي الدم مليون مليون صفيحة دموية بيضاء تمنع النزيف بالتخثر. وينصب من المخ في الدم مليونان، ونصف كرية حمراء ، وخمسة ملايين صفيحة ، ومائة وعشرين ألف كرية بيضاء في الثانية.

٧- **اللسان** - فيه ٩٠٠٠ حليمة ذوقية لتمييز الطعام الحلو عن المر ، والحامض، والمالح.

٨- **المعدة** - فيها ٣٥ مليون غده معقدة التركيب لأجل الإفراز . ويوجد فيها مليار خلية من الخلايا الجدارية لفرز حامض كلور الماء.

٩- **الأمعاء** - يبلغ طولها ثمانية أمتار . وفيها ٣٦٠٠ زغابة معوية في كل واحد سنتمتر مربع .

١٠- **الجلد** – يوجد تحته من ٥-١٥ مليون مكيف لحرارة الجسم . والمكيف هو الغدة الدرقية التي تخلص البدن من حرارته الزائدة بواسطة العرق ، والتبخر.

١١- **الاسناخ الرئوية** – عددها في الجسم ٧٥٠ مليون، وكل سنخ يتصل بجدار دموي . وتغطي الاسناخ مساحة ٢٠٠ متر مربع لتصفية الدم.

١٢- **خلايا الجسم** – يفقد الجسم من خلاياه حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة . أي بمعدل ٥ آلاف وخمسماية مليون خلية في الدقيقة الواحدة . وتتشكل خلايا جديدة بعددها في نفس الوقت قال تعالى: "هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه" لقمان آية ١١.

الثانية : حقائق :"سنريهم آياتنا في الآفاق" أي حقيقة المشاهد الكونية.

ونوصلها ضمن الحقائق العلمية التالية :

أولاً : حقيقة :"وكل في فلك يسبحون" :

مصداق قوله تعالى :"لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" سورة يس أية ٤٠ .

إن فلسفة العلم الكونية تتهاوى أمام هذه الحقيقة الكونية اليقينية اعترافاً بها ، وتأكيداً لمعنى الحركة ، والدوران لهذه النجوم ، والكواكب ، وضمن مدارات خاصة بها لا تتعداها ، وضمن نظام كوني الهي عجيب محكم ، ومنضبط بقدرة الله تعالى .

إن الشمس لا يصلح لها أن تدرك القمر، فيذهب ضوءها نوره ، ولا يصح أن تجتمع به في الليل فتذهب نوره ؛ لان ذلك يخل بنظام الحياة ، ومنها انه جعل لنا الليل لباساً ، والنوم سباتاً .

قال الإمام الطبري :"أي لا الشمس يصلح لها إدراك القمر ، فيذهب ضوءها نوره، فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها ؛ ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بنوره ، فتكون الأوقات كلها ليلاً"[1] . "وكل في فلك يسبحون" ، أي كل من الشمس ، والقمر ، والنجوم، والكواكب جميعها كل له مداره ، وفلكه الذي يدور ضمنه، ومن خلاله، لا يتعداه ، ولا يخرج عنه . قال الحسن البصري :"الشمس ، والقمر والنجوم في فلك بين السماء ، والأرض ، غير ملصقة بشيء ، ولو كان ملصقة ، ما جرت"[2] .

والغرض من الآية بيان قدرة الله في ضبط ، وتسيير هذا الكون العجيب . وإن حقيقة :"**وكل في فلك يسبحون**" ليست خاصة فقط بالشمس ، والقمر ، وإنما عامة تشمل جميع النجوم ، والكواكب . وكل منها له مداره ، وفلكه لا يتعداه ، وإلا لخرب الكون لتصادمها ببعضها.

قال قتادة :"لكل حد ، وعلم لا يعدوه ، ولا يقصر عنه"[3] .

وتبقى حقيقة :"**وكل في فلك يسبحون**" قائمة ما دامت الحياة حتى إذا جاء يوم القيامة ، واقترب الأجل المحتوم لنهاية الحياة ، وقع اختلال في هذه الحقيقة ، فيختل نظام الكون ، ويجمع الشمس ، والقمر ، وتنتهي الحياة على كوكبنا الأرضي .

يقول شهيد الإسلام سيد قطب :"المسافات بين النجوم، والكواكب مسافات هائلة، وقد قدر الله خالق هذا الكون أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم ، ليحفظه بمعرفته من التصادم ، والتصدع . وحركة هذه الإجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة

---

(١) الإمام الطبري – تفسير جامع البيان – جـ٢٣ ص٦ .

(٢) محمد على الصابوني – تفسير مختصر ابن كثير جـ٣ ص١٦٢ .

(٣) الإمام القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن – جـ١٥ ص٣٣ .

السفين في الخضم الفسيح ؛ فهي على ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطا سابحة في ذلك الفضاء الموهوب" .

حقيقة :"**وكل في فلك يسبحون**" أنكرها العلم قديماً أكدها العلم حديثا تجربة ، وعياناً. لقد كرم الله الشيوعي الملحد "يوري غاغارين "الروسي الجنسية ، وحمله في مركبته الفضائية، ولأول مرة في التاريخ إلى خارج الغلاف الجوي للكرة الأرضية في عام ١٩٥٩م ، ودار حول الكرة الأرضية من جميع الجهات ، فكانت أول حقيقة شاهدها بأم عينية هي حقيقة :"**وكل في فلك يسبحون**" .

لقد رأى "يوري جاجارين" الأرض سابحة في الفضاء لا يحملها حامل ، ولا تستند إلى ركاز ؛ ورآها تسبح كغيرها من الكواكب ، والنجوم، وفي فلك محددة أبعاده ، وبالدقيقة، والثانية الواحدة ، وبسرعة محددة ، وضمن ارتفاعات ، وانخفاضات لا تتعداها، ويشملها فلكها ؛ وكل ذلك ضمن نظام فلكي رياضي مدهش في دقته ، وعجيب في صنعته. وأمام هذه الحقيقة :"وكل في فلك يسبحون" وأمام غيرها من الحقائق الكونية المذهلة صرخ قائلاً : من علقها؟! وإن لم يقلها صراحة ، فقد قالها ضمنا ، قالها متعجبا : من الذي علقها في الفضاء تسبح فيه ؟! وفي فلكها لا تتعداه ، ولا تخرج عنه ؟! قالها ، ولكن ليس إيماناً ، واحتساباً ، وإنما عناداً ، وإصراراً على كفره ، وإلحاده بخالقها ، وصانعها ، ومعلقها . لقد بقي على إلحاده ، وهو يعلم بفطرته أن خالقه ، وخالقها ، وخالق السموات، والأرض ، ومن ، وما فيهن هو الذي علقها ، ونظم لها فلكها ، ومدارها ، وجعلها تدور فيه ، كما تدور سائر النجوم ، والكواكب ، والأفلاك في مداراتها.

إن "يوري جاجارين" لم يؤمن بالله ، ولم يسجد له ، وكل ما هنالك انه عندما هبط بمركبته الفضائية إلى الأرض ، وعندما سأله الصحافيون : ماذا رأيت ، وماذا كنت تفعل في الفضاء؟!! فأجاب سخرية : كنت أفتش عن الله ؟!! وقد أوعز له رؤساؤه زعماء

الحزب الشيوعي في روسيا أن يقول فيما بعد: ولكنني لم أجده . أي إنني لم أجد الله؛ وحجتهم في ذلك : انهم لم يروا الله جهرة. ويشاء القدر أن يرتفع بعدها بطائرة تدريب صغيرة ، وإلى ارتفاع بسيط ، فتنزل ، وتتحطم به ، فيموت . فانه إن لم ير الله جهرة في السماء كما يزعم ، وقد رأى آياته الكبرى فيها ، فانه يكون قد رأى عذابه في قبره، ورأى آيات ربه تحت تراب أرضه.

إن حقيقة :"وكل في فلك يسبحون" تقودنا إلى كافر آخر ، ولكنه صليبي هذه المرة ، وهو نيل ارمسترونغ وهو أمريكي الجنسية ، رفعه الله بمركبته الفضائية عام ١٩٦٩م، واهبطه بها على سطح القمر ، ولأول مرة في التاريخ البشري . ورأى من آيات ربه الكونية ما رأى ، ورأى القمر يدور في فلك لا يتعداه ، وفي مسار لا يزيغ عنه ، ورآه معلقا لا يستند إلى شيء، ولا يحمله حامل، وغاص في حقيقة :"وكل في فلك يسبحون" وغمرته هذه الحقيقة من رأسه حتى أخمص قدميه ، وتأكد من يقينيتها بأم عينية، وجميع حواسه ، ولكنه هل آمن؟!! هل حمد الله على توفيقه العلمي هذا ؟!! هل سجد لله شكرا على عرفانه؟!! أبدا لقد شكر الطاقم الأرضي المقيم في هيوستون ، والذي اشرف على إطلاق مركبته إلى القمر. لقد وفق الله علماء الكفر شرقا ، وغربا في غزوهم للفضاء ، ورأوا من آيات ربهم الكونية ما يدهش القلوب ، ويحير العقول ، وبدلا من أن يؤمنوا بربهم ازدادوا عنه بعداً ؛ وحجتهم في ذلك انهم لم يروا الله جهرة. انه قبح الكفر دوما يصر على رؤية الله جهرة ليؤمن به ، وكأنّ آياته الكونية ، ومنها أية :"وكل في فلك يسبحون" كأنها ، وغيرها لا تكفي لاقناعهم أن الله موجود ، وهو خالق الآيات كلها ، ومنها :آيات : وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، وآيات : سنريهم آياتنا في الآفاق ، وآيات : وفي الأرض آيات للموقنين .

إن آية :**"وكل في فلك يسبحون"** لأعظم حقيقة كونية على وجود الله ! وهـــم أي علماء الكفر قد تأكدوا منها في غزوهم للأرض ، والقمر ، وهما اصغر كواكب المجموعة الشمسية على الإطلاق . وإن تعلق الأمر بالنجوم ، والكواكب الأخرى ، والأكبر ، والتـي تعد بالملايين فبالأولى أن تكون حقيقة :**"وكل في فلك يسبحون"** اكثر وضوحـاً ، وحفـزا على التقرب من الله ، والإيمان به ، والسجود له. إن آية :**"وكل في فلك يسبحون"** لا تتعلق بالأرض ، والقمر فقط ، وإنما تشمل في كونيتها جميع النجوم، والكواكب الأخرى ، والتي هي اكبر من الأرض ، واكبر من القمر .

إن كوكب "بلوتو" هو فقط الأصغر مـــن الأرض ، والقمـر بالنسـبة لكواكـب المجموعة الشمسية. لقد رأى "يوري غاغارين" الأرض معلقة في الفضاء ، وكغيرها مـن النجوم والكواكب. لقد رآها بأم عينيه تسبح في فلك لها لا تتعداه ، وضمن نظام ريـاضي فلكي محكم عجيب ، وأمام مثل هذه الحقيقة ، وغيرها صرخ قائلاً : من علقـها؟!! وهـو يعلم بفطرته الإيمانية أن الله خالقها . وخالقه هو الذي علقها في الهواء سابحة في فلكـها كما يحمل الطير في الفضاء ، وكما يحمل الريشة الخفيفة ، والطائرة الثقيلـة، والمركبـة الفضائية الضخمة ، والتي حملته إلى خارج غلاف الكرة الأرضية ، ولكنه هل آمن؟!! هل سجد لله خالقه ، وخالق مركبته ، والأرض التي دار حولها ، وحقيقة :**"وكـل فـي فلـك يسبحون؟!!"** لم يؤمن بربه ، وقد أراه آياته الكونية ، ومنها آية: "وكل في فلك يسـبحون". وقد برر كفره ، لأنه لم ير الله جهرة ، وهذه شيمة العلم الحديث ، فإن قباحته تقتضـي ألا يؤمن إلا بالمحسوس، والذي يصلح أن يخضع للتجربة في المختبر ، وكأن علماء الكفر لا يؤمنون بالله إلا إذا ادخلوه مختـبرات التجـارب العلميـة، أو وضعـوه أمـام عدسـات الميكروسكوب ، أو رأوه جهرة !! **ونقولها جازمين واثقين** : انهم حتى ولـو يـروا الله جهرة لا يؤمنون به ؛ لأن الكفر عناد. **ولنا أن نساءل في هذا المقام** : إن مـا رأوه فـي

مكتشفاتهم الفضائية ، والكونية من آيات ربهم ألا تكفي ، وألا تصلح كــدلالات واضحــة يقينية على وجود خالقها ، صانعها ؟!! لقد حمل الله تعالى صليبياً كافراً آخر في مركبتــه الفضائية في عام ١٩٦٩م ولكن هذه المرة إلى القمر ، إلا وهو "نيل ارمسترونغ" الأمريكي الجنسية ، وبدلا من أن يسجد لله شكراً سجد على تراب القمر لمركبته الفضائية التي حملته من على الكرة الأرضية وأنزلته على سطح القمر . وبدلا من أن يحمد الله تعــالى علــى توفيقه له ، حمد ، وشكر الطاقم الأرضي في مدينة "هيوستون"، وبدلا من أن ينسب إنجازه هذا إلى قدرة الله ، وتوفيقه نسبه إلى الإنسانية ، وفضلها، وهم أي الصليبيون ، واليــهود اشد أعداء الإنسانية، ولو تباكوا على حقوق الإنسان أحياناً . "لا الشــمس ينبغــي لــها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" إن عظمة هذه الحقيقة الكونيــة تتجلى واضحة جلية إذا ما علمنا إنها تتناول جميــع النجــوم ، والكواكــب، والأفــلاك ، والنيازك ، والأجرام ، والشموس ، والتي خلقها الله في سمائه الدنيا ، والتي تعد بالملايين، والكل منها لا ينبغي له أن يدرك الآخر ، وكل منها في فلك يسبح فيه لا يتعداه. إنها وكما يقول علماء الكفر أنفسهم تعد بالملايين ، وبعدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل بحار الدنيا ، والتي لا حصر لها. وكل منها يجري إلى اجل مسمى محدود بحلول يوم القيامــة ، ويجري بمفرده ، أو مثنى مثنى ، وثلاث ، ورباع، واكثر. وفي كل مجموعة مــن هــذه المجرات يوجد مائة مليار من النجوم ، ويقدر هؤلاء العلماء أن الكون يتألف من خمسماية مليون من مجاميع النجوم مضروبا هــذا العــدد فــي ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مــن الملايين. وإن اقرب مجموعة من هذه النجوم يقدر بعدها عنا بحوالي ثلاثين ألــف ســنة ضوئية. وهذه المجموعة جزء من مجموعة كبيرة تتألف من سبع عشرة مجموعة . وقطر هذه المجموعة الكبيرة مليونان من السنين الضوئية ، وكل نجم من هذه الملايين لا ينبغــي له أن يدرك نجما آخر ، وكل في فلك يسبحون. **إن حقيقة :"وكل في فلك يسبحون"** تتجلى

عظمتها واضحة جلية أيضا لو علمنا أن اقرب كوكب لنا هو القمر ، ويبعد عـــن الأرض ٢٤٠,٠٠٠ ميل ، ويكمّل دورته حول الأرض في مدة تسعة وعشرين يومـــاً ، ونصـــف. وتبعد الشمس عن الأرض ٩٣,٠٠٠,٠٠٠ ميل ، وتدور حول محورها بسرعة ألف ميــل بالساعة في دائرة تبلغ ١٩٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل وتستكمل هذه الدائرة مرة واحدة كل ســـنة. ويبلغ قطر الشمس ٨٦٥,٠٠٠ميل ، وهو اكبر من الأرض بـــ ١,٢٠٠,٠٠٠ مرة ودرجـة حرارتها ١٥ مليون درجة، وتدور حول الشمس تســـعة كواكــب مـــع الأرض . وابعـــد الكواكب في نظامنا الشمسي عن الشمس هو الكوكب "بلوتو"، ويدور حولها في دائرة تبلـــغ ٧٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل ويدور حول هذا الكوكب واحد وثلاثون قمراً، وتبلغ السنة عليـــه ٢٥٠ سنة من سنوات الأرض ، والتي تبلغ ٣٦٥ يوم وربع.

وإن اقرب الكواكب الشمسية إلى الشمس هو عطارد ، ويبعد عنـــها مســـافة ٣٦ مليون ميل ، وعدد أيام سنته ٨٨ يوماً. ويليه في البعد "الزهرة" ومتوســـط بعدهـــا عـــن الشمس ٦٧ مليون ميل ، ثم الأرض وتبعد عن الشمس ٩٣ مليون ميل. ويليها "المريـــخ" ١٤٢ مليون ميل ، ثم المشتري ٤٨٤ مليون ميل ، ثم زحـــل ٨٨٧ مليـــون ميـــل ، ثـــم اورانوس ١٧٨٢ مليون ميل ، ثم نبتون ٢٧٩٢ مليون ميل . وتدور المجرة التي يقع فيـــها نظامنا الشمسي حول محورها ، وتكمل دورتها الواحدة في ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية.

وتكبر الأرض القمر فقط بحوالي ٤ مرات ، ولذلك فهي من اصغر الكواكب على ضخامتها التي نراها عليها. وإذا كانت الشمس تكبر عن الأرض بمليـــون مـــرة ، فـــان "الشّعرى" يكبر عن الشمس بسبعين مرة، أي يكبر عن الأرض بسبعين مليون مرة. وهـــو النجم الذي عبده العرب في الجاهلية ، والوارد في قوله تعالى :"وأنه هـــو رب الشـــعرى" النجم آية ٤٩ .

وهناك ملايين بين النجوم ، والكواكب اكبر من الأرض ، ومن الشمس ، ومـــن الشعرى بملايين المرات ، وكل في فلك يسبحون. وكل نجم وكل كوكب منها يــدور فـــي فلك له لا يخرج عنه ، ولا يفكر مرة أن يتركه، ويذهب ليزور نجما ، أو كوكبا آخــــر ، لأنه يعلم ، أو لا يعلم انه يترتب على مثل هذه الزيارة خراب للكون ، ودمار للحياة الدنيـا لم يحن وقته بعد. لقد تناسى علماء الكفر الرأسمالي ، والشيوعي أن عظمة هـــذا الكـــون كمخلوق هي من عظمة خالقه . فهو الذي خلقه ، وضبط الكون بملايين نجومه، وشموسه، وكواكبه سواء في حركتها ، أو أفلاكها . ولذلك فهو اعظم منها . ولعظمة خلق الكـــون ، اقسم الله بمواقع نجومه ، ووصفه بأنه قسم عظيم ناشئ من عظمة المقسم وهــو الله أولاً ، ومن عظمة المقسم عليه ، وهو النجوم ثانيا ، فقال تعالى سورة الواقعة: "فلا اقسم بمواقـــع النجوم، وانه لقسم لو تعلمون عظيم" آية ٧٥-٧٦ إن رؤيتنا لآيات ربنا توجــب علينـــا أن نحمد ربنا عليها . وإن اكتشاف علماء الكفر المادي لآية: "**وكل في فلك يسبحون**" توجــب عليهم أن يحمدوا الله تعالى عليها ، وأن وفقهم على معرفتها ، ورؤيتها . **ولكـــن لنـــا أن نتساءل** : هل فعلوا ذلك ، وهل حمدوا الله تعالى علـــى تحقيقـــهم لإنجازاتـــهم العلميـــة ، ومكتشفاتهم الكونية ؟! وهم ، ونحن مطالبون بذلك لان الله وعدنا بان يرينا جميـــع آياتـــه ؟!!ومن اجل ذلك امرنا أن نحمده عليها كما قال: "وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونـــها وما ربك بغافل عما تعملون" النمل آية ٩٣ .

إن آية :"**وكل في فلك يسبحون**" هي حقيقة عقدية ، وإن كانت قضية علمية ، فهي آية من آيات الله الدالة على وجوده ، وقد اخبرنا الله بها قبل اكتشافها علميا . وعلينـــا أن نؤمن بها كقضية ، وحقيقة عقدية ، تقودنا معرفتنا بها إلى الإيمان بالله خالقها ؛ وهي مـــن الحقائق العلمية اليقينية التي اخبرنا الله تعالى بها قبل اكثر مـــن أربعـــة عشـــر قرنـــا ، وحرصت العناية الإلهية أن تجعلها حقيقة خلقية كونية نصـــت عليـــها ، وعلـــى مثلـــها

النصوص القرآنية العديدة ، ومنها بل وعلى رأسها أول آية نزلت من القرآن على الإطلاق ، والرسول "صلى الله عليه وسلم" يتعبد في غار حراء تعبد تأمل، وتفكر في مخلوقات الله الكونية وهذه الآية هي قوله تعالى :"إقرأ باسم ربك الذي خلق" سورة العلق آية ١ .

إن هذه الحقيقة العقدية الكونية "**وكل في فلك يسبحون**" عرفها ، واكتشفها علماء الكفر المادي قبل غيرهم ، ولكن هل قادتهم معرفتها إلى الإيمان بالله خالقها ؟!! أبداً. وكل ما هنالك أن الذي آمن من علماء الفلك ، والطبيعة لم يتجاوز إيمانه المسيح عيسى عليه السلام، وأنه هو الرب ، أو ابن الرب. لقد آمنوا بل لقد آمن بعضهم بتوحيد الربوبية، ولكنهم لم يؤمنوا بتوحيد الألوهية . فكان علماء جاهلية القرن العشرين كسفهاء جاهلية العرب المشركين لم ينفعهم إيمانهم بتوحيد الربوبية فقط ، فكانوا من الخاسرين، ولو انهم غزوا السماء ، وهبطوا على سطح القمر .

إن علماء الكفر عندما لا يؤمنون بتوحيد الألوهية يكونون قد كذبوا على الله خالقهم ، ويكونون قد كذّبوا بآياته ، واستكبروا عنها في عدم جعلهم لها سببا يقودهم للإيمان بالله ، وتوحيده ، وقد صدق فيهم قول ربهم :"والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" سورة الأعراف آية ٣٦ .

ولذلك كان عقابهم شديداً ، ومن جنس تكذيبهم بآيات ربهم. لقد وضعوا أصابعهم في آذانهم ، وأغلقوا عيونهم ، وقفلوا عقولهم عن آيات ربهم، فقفلت أمامهم أبواب سماء ربهم ، فحرموا دخول الجنة، وخلدوا في النار مصداق قوله تعالى فيهم: "إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين" الأعراف آية ٤٠ .

قال **المفسرون** : لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء إذا قبضت أرواحهم ؛ ويؤيد هذا حديث : "إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا يجيئه ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول :"أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله، وغضب ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفه ، فلا يمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ؟! حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له" رواه احمد .

إن حقيقة **"وكل في فلك يسبحون"** تبقى شاهدا على من عرفها ، ولم يؤمن بربه، وربها . ومثل علماء الكفر مكتشفي هذه الآية كمثل الذي اغتر بعلمه ، وعمله ، فلم ينفعه علمه، ولا عمله ، مصداق قوله تعالى :"وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً" الفرقان آية ٢٣ .قال الإمام الطبري معلقا على هذه الآية :"أي جعلناه باطلا ؛ لأنهم لم يعملوه لله ، وإنما عملوه للشيطان" والهباء هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوه ، والمنثور هو المتفرق[(١)] .

وقال الإمام القرطبي : "إن الله احبط أعمالهم بسبب الكفر حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور"[(٢)]. وإن مثل علماء الكفر المادي الرأسمالي ، والشيوعي في عدم نسبتهم ما اكتشفوه من حقائق علمية كونية إلى ربهم ، ومن ثم كفروا به تكون إنجازاتهم العلمية، – وأن كانت خيرا – حجة عليهم ، وخسارة لهم لا تنفعهم في آخرتهم مصداق قوله تعالى: "مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد" إبراهيم آية ١٨ . قال الإمام القرطبي :"يمحقها

(١) الإمام الطبري – تفسير جامع البيان جـ ١٩ ص٣ .
(٢) الإمام القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ١٣ ص٢١ .

الله كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف ؛ لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى"[1].

ما منع علماء الكفر أن يؤمنوا بالله تعالى خالقهم حديثا هو نفسه الذي منعهم أن يؤمنوا به قديما، وهو عدم رؤيتهم الله . إن مصيبة العلم الحديث تتجسد في عدم الإيمان بغير المحسوس ، وغير الخاضع للتجربة في المعامل . إن علماء الكفر برروا عدم إيمانهم بالله، لأنهم لم يحسوه بحواسهم ، فلم يروه ، ولم يسمعوه ، ولم يتمكنوا من إجراء التجارب العلمية عليه ، ومن إجراء الفحوصات له. وهكذا تعاملوا مع الخالق كما يتعاملون مع المخلوق المادي. لقد قالوا كلمة الكفر قديما ، وقالوها حديثا قالوها لأنبيائهم قديماً :"فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة" سورة النساء آية ١٥٣ وقالوها حديثاً : لقد غزونا الفضاء ، فلم نر الله ، أين هو ؟!!

إن حقيقة :"**وكل في فلك يسبحون**" وهم قد اكتشفوها ، وأكدوا يقينيتا – فان علماء الكفر يصرون دوما على أن يخضعوا القدرة الربانية لتقديراتهم المادية ، وأهوائهم الحسابية ، وتقديراتهم الظنية ، فهم ، وحتى يؤمنوا بالله خالق مثل هذه الآيات الكونية ، فانهم يشترطون دوما أن يروا الله جهرة أو ينزل عليهم الملائكة اعترافا منه بجميل ما حققوه من إنجازاتهم العلمية . وإن لم يتحقق لهم ذلك فانهم يشترطون أن يخضع الله خالق الآيات الكونية للفحوصات العلمية ، والتجارب المعملية. وكانت هذه أمنيات صناديد الكفر، وعلمائه قديما ، وحديثا ، وكما اخبرنا الله تعالى بقوله :"وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا" الفرقان آية٢١ .

---

(١) الإمام القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ٩ ص٣٥٣ .

قال المفسر أبو حيان صاحب تفسير البحر المحيط :"وهذا كله على سبيل التعنت وإلا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا"[1] ، **ولنا القول**: بأنهم تجاوزوا الحد في العتو، والظلم ، والكفر ، والجحود ، والإلحاد ، وبلغوا أقصى درجات الاستكبار ، والتكبر، والتجبر ، وهذا ما نشاهده في هذا العصر ، عصر المعجزات العلمية ، والمكتشفات الكونية.

لقد زارتنا بعثة تلفزيونية صليبية كندية سنة ١٩٨٧م في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر ، ومنذ لحظة التقائهم بنا – وكان بين أظهرنا الداعية الشيخ محمد الغزالي – ظهرت على وجوههم علامات الاستنكار ، والاستهزاء ، واخذوا يحملقون فينا بعطف ، وإشفاق ؛ لأننا ما زلنا نعبد الله تعالى ، وبالتالي أخذنا نحن ننظر إليهم بعطف ، وإشفاق ، لأنهم ما زالوا لا يعبدون الله تعالى، ولسان حالهم يقول : إننا غزونا الفضاء ، وهبطنا على سطح القمر ، وغزونا النجوم ، والكواكب ، ورأينا حقائق علمية كونية عديدة ، ومنها : "وكل في فلك يسبحون" ولكننا لم نرَ الله الذي تدعون انه خالقها.

ولسان حالهم، ويقول : لو كان الله موجودا كما تزعمون ، لماذا لا يظهر لنا؟! ولماذا لا يكلمنا ، وقد اقتربنا بمركباتنا الفضائية إليه ، وإلى سماواته؟

ولسان حالهم يستطرد، ويقول : لو كان الله موجودا لكنا نحن الأولى أن نؤمن به ونعبده ؛ لأننا نحن الذين اكتشفنا آياته الكونية في الآفاق؟!!

وتقدم رئيس البعثة يسألنا عن الله تعالى ، وقد أراد أن يحرجنا : إذا كنتم تؤمنون بحاجة اسمها الله ، فأين هو ، أين الله ؟!! وهو يريد منا أن نحدد مكانه ، وزمانه كما يحدد ذلك للمخلوق . فأجابه فضيلة الشيخ الغزالي على الفور : إنكم ستظلون دائما أغبياء ، ولو

---

(١) أبو حيان– تفسير البحر المحيط . جـ٦ ص٤٩١ .

ادعيتم العلم ؛ لان سؤالكم : أين الله خاطئ ؛ لان هذا السؤال لا يسال به عن الله ، لأنه لا يحده زمان ، ولا مكان . ولكن مثل هذا السؤال يمكن أن يوجه إلى المخلوق لا إلى الخالق. فالله الخالق هو اله في السموات ، وهو اله في الأرض، ويستحيل علينا أن نشبهه بالمخلوق ، ونحدد مكانه كما يحدد مكان المخلوق. لقد أرادوا منا أن نحدد مكان الله، وكأنه مخلوق لا خالق ، وهل يقيم مثلا في أوروبا ، أو في الشرق الأوسط ، أو في أمريكا أو في مدينة الجزائر ، أو بيروت ، أو لندن ، أو باريس ، أو قلقيلية. هكذا يتعامل مكتشفو حقيقة :"**وكل في فلك يسبحون**" مع خالق هذه الحقيقة ، مع رب هذه الآية انهم ساء ما يصنعون ، وخبث ما يعملون ، وقبح ما يدعون ، وتنزه الله عما يصفون. لقد أساء علماء الكفر الرأسمالي، والشيوعي التعامل مع الله خالقهم ، وخالق الآيات الكونية، والكون ، والناس ، والملائكة ، والجن أجمعين، هو الخالق ، وما عداه مخلوق ليس كمثله شيء .

إن حقيقة: "**وكل في فلك يسبحون**" تبقى حقيقية عقدية، ولو أنها حقيقة علمية، وتبقى حجة على مكتشفيها الذين كفروا بها، وتبقى شاهداً على تخلفهم العقدي، والحضاري، ولو وصلوا عنان السماء بمكتشفاتهم، ولو حققوا المعجزات في علومهم. لقد كرّس علماء الكفر مقولة: أن ليس كل صاحب علم بصاحب إيمان. إنهم بدلاً من أن يقتربوا من الله بمكتشفاتهم، وإنجازاتهم العلمية ازدادوا عن الله بعداً. إنهم بكفرهم بالله تعالى يظلون متخلفين عقديا، وحضاريا، وإن تقدموا علميا، ومدنيا.

إنّ العقل الأمريكي الرأسمالي، والذي اخترع القنبلة النووية متقدم علميا، ومدنيا، ولكنه متخلف عقديا، وحضاريا؛ لأنه كفر بالله تعالى، وفصل الدين عن الدولة.

إنّ العقل الأوروبي المسيحي، والذي اخترع الآلة البخارية، والغازية، والراديو متقدم علميا، ومدنيا، ولكنه متخلف عقدياً، وحضاريا؛ لأنه أشرك بالله تعالى، وعبد المسيح -عليه السلام-. إنّ العقل الشيوعي، والذي اخترع الصاروخ، والمركبة الفضائية، والقمر

الصناعي متقدم علميا، ومدنيا، ولكنه متخلف عقديا، وحضاريا؛ لأنه أنكر الإلـــه، ورفـــع شعار: لا إله ، والحياة مادة.

إن العقل الياباني البوذي، والذي اخترع الترانسستور، والكمبيوتر متقدم علميـــا، ومدنيا، ولكنه متخلف عقديا، وحضاريا؛ لأنه كفر بالإله خالقه، وعبد بوذا المخلوق، وقدّس الميكادور- إمبراطور اليابان.

إنّ العقل الهندي الهندوسي، والذي شيّد معبد "رام" متقدم علميا، ومدنيـــا، ولكنـــه متخلف عقديا، وحضاريا؛ لأنه أشرك بالله خالقه، وعبد البقر، والقرود، والأفاعي.

أنّ العقل الصيني الاشتراكي، الذي بني سور الصين العظيم متقدم علميا، ومدنيـــا، ولكنه متخلف عقديا، وحضاريا؛ لأنه جحد إلهه، وقدّس ماوتسي تونـغ.

إن العقل الربانيّ المسلم، والذي غمر المعمورة علما، وازدهاراً، ولسنوات طوال، ولو انتابته حاليا فترات ضعف علمي، ومدني فإنه يبقى متقدماً عقديا، وحضاريا؛ لأنه آمن بالله تعالى خالقه، وخالق حقائقه، وآياته الكونيّة.

إن حقيقة : "**وكل في فلك يسبحون**" تظل خير شاهد على إيمان المؤمـــن، وكفـــر الكافر ، وإلى قيام الساعة، وبعدها.

ثانياً: حقيقة "كأنما يصّعّد في السماء":

مصداق قوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يـــرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء" الأنعام آية ١٢٥.

أثبت العلم الحديث بغزوه للفضاء أن الضغط الجوي خارج غلاف الكرة الأرضية يقلّ، وتقلّ معه نسبة الأكسجين، مما يؤدي إلى ضيق الصدر، والاختناق. وتـــأكدت هـــذه الحقيقة عملياً، وذلك باستخدام رواد الفضاء كمامات يستنشقون من أوعيـــه خاصـــة فيـــها الأوكسجين اللازم لعملية التنفس، وهم في الفضاء، وكذلك يلبسون ملابس فضائية خاصـــة، والضغط الجوي فيها يساوي الضغط الجوي، وهم على الأرض. إنّ حقيقة "**كأنما يصّعـــد**

في السماء" كرستها النصوص الإلهية منذ أربعة عشر قرناً؛ حيث تشير هذه النصوص إلى أن الإنسان يختنق، يضيق صدره عند بلوغه علواً معيناً في السماء، ويتعرض للحرج، فالموت؛ وذلك في معرض سردها لعقوبة الكافر الضال من البشر؛ والذي يجعل الله صدره ضيقاً، حرجاً لا يتسع لشيء من الهدى، والإيمان، ومثله كمن يصّعّد في السماء، فيضيق صدره، فلا يتسع لشيء من الهواء، والأوكسجين لانعدامه.

قال الحافظ ابن الأثير عن عطاء: "ليس للخير فيه منفذ" (١) .

وقال الطبري: "وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه، مثلُ امتناعه من الصعود إلى السماء، وعجزه عنه؛ لأنه ليس في وسعه" (٢) .

ويعني : ليس في وسعه أي لا يملك وسيلة يصعد بها إلى السماء، وإن وجدها ليس في وسعه أن يصّعّد فيها لانعدام الهواء، والأكسجين فيها.

ويؤصل العلم الحديث ضيق الصدر، والحرج الوارد في الآية ضمن سببين وهما:

الأول: نقصان كمية الأكسجين في الفضاء الخارجي للأرض، فهي تعادل فقط ٢١% تقريبا من الهواء على الأرض، وتنعدم نهائيا في علو ٦٧ ميلا.

ويبلغ توتر الأوكسجين في الاسناخ الرئوية عند سطح البحر ١٠٠ مم. ولا يزيد عن ٢٥ مم في إرتفاع ٨٠٠٠ متر حيث يفقد الإنسان وعيه بعد ٢-٣ دقائق ثم يموت.

الثاني: انخفاض الضغط الجوي حيث ينخفض الضغط الجوي كلما ارتفعنا عن سطح الكرة الأرضية، مما يؤدي إلى نقص معدل مرور الهواء عبر الأسناخ الرئوية إلى الدم. وكما يؤدي انخفاض الضغط إلى تمدد غازات المعدة، والأمعاء، فتدفع الحجاب الحاجز إلى الأعلى، فيضغط على الرئتين: ويعيق حركتهما، مما يؤدي إلى صعوبة التنفس، وازدياد ضيق الصدر، والحرج، وبالتالي إلى نزيف الدم من الأنف، والفم، ثم الوفاة.

---

(١) ابن كثير- تفسير القرآن الكريم ، جـ١ ، ص٦١٧.

(٢) الطبري- تفسير جامع البيان ، جـ١٢ ، ص١٠٩.

ولقد قدّر العالم " تورشيلي" الضغط الجوي على الأرض بما يعادل ضغط عمـــود من الهواء المحيط بالكرة الأرضية على سطح واحد سنتمتر مكعب منها. وهـــو يســاوي ضغط عمود من الزئبق طوله ٧٦ سم.

ويقر علماء الفلك أن الغلاف الجوي للأرض يضغط عليها بنسبه ١٥ رطلا علــى البوصة الواحدة المربعة، وكلما ارتفعنا قلت نسبية الجاذبية لها، فيضطرب التنفس.

ثالثاً: حقيقة: " تعدد السموات ، والأرضين"

مصداق قوله تعالى: "الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن" الطـــلاق آية١٢.

إن حقيقة تعدد السموات، والأرضين ذكرت منذ أربعه عشر قرنا، أكدهـــا العلــم حديثاً، ولكن هذا العلم لم يصل إلاّ إلى القليل من كنه هذه الحقيقة. ولا يزال المقصود مــن السموات، والأرض يحيرّ عقولهم؛ وكل الذي توصل إليه بعضهم أن السموات السبع هـــي الكواكب السبع التي تدور حول الشمس، وهي: عطارد، والمريخ، وزحـــل، والمشـــتري، والزهرة، ونبتون، وبلوتو. ولكن التساؤل يبقى وارداً حول حقيقة هذه السموات، الـــواردة في القرآن، والسنة؟!!

<u>وبالنسبة لنا</u> : إن حقيقة عدد السموات ، وبأنهما سبع، ومن الأرض مثلهن هـــي حقيقة يقينية غير قابلة للنقض؛ وسواء عرفنا هذه السموات، وهذه الأرضين أم لم نعرفـــها، وسواء توصلنا بعلومنا، ومكتشفاتنا إلى معرفة طبيعتها، أم لم نتوصل؛ وسواء أكانت هـــي السيارات السبع أم لا؛ والله أعلم أنها ليست هي. إننا يجب ألاّ نخضع طبيعة هذه الحقيقـــة إلى تفسيرات المفسرين، وعلم العلماء. تبقى هذه الحقيقة ثابتة بثبات جبل أُحد، وتبقى حقيقة أنّ الله خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن يقينيّة وغير قابلة للنقض.

وإشارة إلى دقة صنع الله لخلقه، وبديع إحكامه لسمواته قال تعالى: "الـــذي خلـــق سبع سماوات طباقا" الملك آية ٣ . أي متطابقة، بعضها فوق بعض، كـــل ســـماء كالقبـــة

للأخرى. ثم قال : "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" الملك آية ٣. أي من نقص، أو خلل أو اختلاف، بل إن خلق الرحمن كله، ومنه سماواته كلها محكمة الصنع.

ثم قال: "فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير" الملك أية ٣-٤.

أي كرر النظر في السموات، فهل ترى من شقوق، أو صدوع. ثم يطلب أن نكرر النظر في السموات حتى نتأكد من عظمة خلق الله لها؛ وبكل دقه متناهية. ويخبرنا تعالى أننا لو كررنا النظر في السموات، لرجع إلينا بصرنا خاشعا، ذليلا أمام عظمة، وتناهي إحكام الله لها.

قال الفخر الرازي: "إنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجود الخلل، والعيب، بل رجع خاسئا مبعدا لم ير ما يهوي من الكلال، والإعياء" [1] .

وقال القرطبي: "أي اردد طرفك، وقلّب البصر في السماء كرّتين، أي مرة، بعد مرة، يرجع إليك البصر خاشعا، صاغرا، متباعداً عن أن يرى شيئا من ذلك العيب، والخلل؛ إنما أمر بالنظر كرتين؛ لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة، لا يرى عيبه ما لم ينظر إليه مرة أخرى. والمراد بالكرتين التكثير بدليل قوله تعالى : "ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير" وهو دليل على كثرة النظر"[2] .

إنه إخبار إلهي يُدحض كل قول، أو ادعاء ينفي تعدد السموات، والأراضين؛ لقد أكدّ العالم "جليليو" هذه الحقيقة بمنظار ١٦٤٢م . وبالنسبة للأراضين: فقد أصل المفسوون حقيقتها إلى حد ما.

قال أبو السعود في تفسيره-وهو من مفسري القرن التاسع للهجرة- : " إنّ الجمهور على أنها سبع أراضي. وذكر النيسابوري : أنها سبع اراضين ما بين كل واحدة منها إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وفي كل أرض منها خلق.

---

(١) الفخر الرازي-التفسير الكبير ، جـ٣٠ ، ص٥٨.

(٢) القرطبي- تفسير الجامع لأحكام القرآن ، جـ١٨ ، ص٢٠٩.

ويفسر الشهرستاني المسافة هذه بسيْر الدّابة فرسخا إسلاميا كل ساعة. فيكون ما مجموعه ١٦ مليون ميل تقريباً. وهذا قريب جداً من تقديرات المتأخرين للمسافة بين السيارات .[١]

ولعل من المفيد القول : بأنّ السنة النبوية أصّلت حقيقة السموات، والأرضين عدداً، ومسافة، وزمنا. فعن أبي هريرة – "رضي الله عنه" – قال: "بينما رسول الله "صلى الله عليه وسلم" جالس، وأصحابه، إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبي الله "صلى الله عليه وسلم": "أتدرون ما هذه؟ قالوا: الله، ورسوله أعلم. قال: هذه العنان، هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه، ولا يدعونه. ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟! قالوا : الله، ورسوله اعلم. قال : "إنها الرقيع؛ سقف محفوظ، وموج مكفوف". ثم قال : هل تدرون ما بينكم، وبينها؟ قالوا: الله، ورسوله أعلم. قال: "بينكم، وبينها خمسماية عام". ثم قال : "هل تدرون ما فوق ذلك"؟ قالوا : "الله، ورسوله اعلم". قال : "فإنّ فوق ذلك سماءين بُعد ما بينهما خمسماية سنه". ثم قال : "كذلك حتى عدّ سبع سماوات ما بين كل سماءين ما بين السماء، والأرض. ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله، ورسوله أعلم. قال: إن فوق ذلك العرش؛ وبينه، وبين السماء بُعد ما بين السماءين. ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم؟ قالوا: الله، ورسوله أعلم. قال: إنها الأرض، ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك؟ قالوا: الله، ورسوله اعلم. قال : إنّ تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسماية سنه حتى عدّ سبع أرضين بين كل أرضيْن مسيرة خمسماية سنة" رواه الترمذي في سننه؛ وابن الأثير الجزري في جامع الأصول. جـ٤ ص٢١-٢٢.

وفي هذا المجال أصّلت الأحاديث النبوية عظمة العرش، والتي تفوق عظمة السموات، والأراضين، وأن هذه الأخيرة بالنسبة للكرسي إن هي إلا كحلقة ملقاة في فلاه.

---

(١) الشهرستاني– كتاب : الهيئة والإسلام. جـ١ ، ص٩٠.

وإن السموات، والأراضين، والكرسي بالنسبة للعرش إن هي كحلقة ملقاة في فلاه؛ وصدق ربنا عندما وصف كرسيه، فقال "وسع كرسيه السموات والأرض" البقرة آية ٢٥٥.

قال الحسن البصري : "الكرسي هو العرش" . وقال ابن كثير: "والصحيح أن الكرسي غير العرش، وأن العرش أكبر منه كما دلت على ذلك الأخبار، والآثار" [١] .

وأما ابن عباس فقد قال: "وسع كرسيه": أي علمه؛ بدلالة قوله تعالى :"ربّنا وسعت كل شيء رحمة وعلما". وأخبر أن علمه وسع كل شيء" [٢] .

وعلق ابن جرير الطبري قائلا:" وقول ابن عباس هذا يدل على صحته ظاهر القرآن؛ ولأن أصل الكرسي العلم. ومنه يقال للعلماء كراسي؛ لأنهم المعتمد عليهم" [٣].

وقد اثبت العلم ما أورده القرآن منذ أربعة عشر قرنا أن السموات، والأراضين على تعدادها، وعظمتها، وكبر حجمها إن هي إلا ككرة القدم عندما يضربها اللاعب، وتطير في الفضاء. أي معلقة لا ترتكز على عمد، وذلك مصداق قوله تعالى: "خلق السموات بغير عمد ترونها" لقمان آية ١٠.

وكذلك اثبت العلم أيضا كروية كل أرض، وهو ما أشار إليه القرآن منذ أربع عشرة قرنا؛ وقد أكدوا هذه الكروية في رحلاتهم الفضائية العديدة. وصدق ربّنا عندما قال: "والأرض بعد ذلك دحاها" النازعات آية ٣٠. والدحية في اللغة العربية هي البيضة. ومعنى الآية : أن الله تعالى بعد خلق السماء، دحى الأرض، وبسطها، ومهدها لسكن الناس، وهذا لا يتنافى مع القول : بكروية الأرض حتى إن الفخر الرازي قال:" كانت الأرض أولاً كالكرة المجتمعة ثم مدها الله، وبسطها، وليست معنى "دحاها" مجرد البسط،

---

(١) محمد على الصابوني-تفسير صفوة التفاسير. جـ١ ، ص١٦٣.

(٢) محمد على الصابوني-تفسير صفوة التفاسير. جـ١ ، ص١٦٣.

(٣) محمد على الصابوني-تفسير صفوة التفاسير. جـ١ ، ص١٦٣.

بل المراد أنه بسطها بسطا مهيئاً لنبات الأقوات؛ يدل عليه قوله: "أخرج منها ماءها ومرعاها" ؛ والجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي" (١) .

رابعا: أمثلة أخرى لحقائق سنريهم آياتنا في الآفاق.

قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق" سورة فصلت آية ٥٣.

إن في كل خلق آية، ولمن ألقى السمع وهو شهيد-آيات الله في الآفاق، وفي الأنفس، تملأ الآفاق، وتبهر الأبصار، وتقرع الأسماع تتجلى شواهدها في كل لحظة، وطرفه عين . فهل من متذكر، أو متعظ.

لقد هال العلم الحديث -وهو لا يؤمن إلا بما شاهد-ما اكتشفه، وتوصل إليه من مكتشفات هي آيات الله تنبئ عن الله، ورد ذكر بعضها في القرآن ، والسنة. أكد العلم مصداقيتها حديثا، ولم يرد بعضها في القرآن، والسنة أكد العلم حقيقتها حديثا- وللعلم قديمه، وحديثه شواهد ربانية تظل للعلم إعجازاً، وللعلماء تحديا، والى قيام الساعة.

بعض حقائق الآفاق:

١- حقيقة السموات، والأرض: أكد علم غزو الفضاء كثيرا من حقائقها، وأسرارها، وهي قليل من كثير سيظل العلم يكشف حقائقه، وإلى قيام الساعة. ونتأصل في عظمتها، وتعقيدها، وتركيبها، ومحتوياتها، والتي هي في حد ذاتها شواهد على من خلقها.

٢- حقيقة تعدد السموات، والارضين: ذكرتها النصوص القرآنية، والنبوية منذ أربعة عشر قرنا، ونيفا؛ اثبت العلم الحديث بعضا من مصداقيتها، وقف حائرا، ولا يزال أمام حقيقة مصداقيتها الكلية فلا يزال يبحث، ولم يعرف إلا

---

(١) الفخر الرازي- التفسير الكبير . جـ ٣١ ، ص٤٨.

القليل مما ذكرته النصوص الإلهية. قال تعالى: "الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن...." سورة الطلاق آية ١٢.

٣- حقيقة المسافة بين السموات، وحقيقة المسافة بين الاراضين: ذكرتها الأحاديث النبوية، وبأن المسافة بين كل سماء، وسماء هي مسيرة ٥٠٠ عام. وبأن المسافة بين كل ارض، وارض مسيرة ٥٠٠ عام . عجز العلم عن تقدير هذه المسافة عجزا كليا.

٤- حقيقة المسافة بين الأرض ، والشمس: أثبتها العلم الحديث بأنها ٩٣ مليون ميل تقريباً.

٥- حقيقة المسافة بين الأرض، والقمر: أثبتها العلم الحديث بأنها ٢٤٠ ألف ميل.

٦- حقيقة حجم الأرض بالنسبة للشمس: أثبت العلم الحديث بأن الشمس تكبر الأرض بمليون مرة.

٧- حقيقة حجم الأرض بالنسبة للقمر: اثبت العلم الحديث بأن الأرض تكبر القمر أربع مرات.

٨- حقيقة نجم الشّعرى: قال تعالى: "وأنه هو رب الشعرى" سورة النجم آية ٤٩. اثبت العلم الحديث أن نجم الشّعرى أكبر من الشمس بسبعين مرة. ولذلك فنجم الشعرى يكبر عن الأرض بسبعين مليون مرة.

٩- حقيقة حجم الأرض بالنسبة للمشتري: اظهر العلم حديثا أن كوكب المشتري اكبر من كوكب الأرض بـ ٣٠٠ مرة.

١٠- حقيقة كروية الأرض: أثبتها العلم حديثا، وبآلاف الصور التي صورتها الأقمار الصناعية، نوه عنها القرآن الكريم قديما حيث قال: "والأرض بعد ذلك دحاها" . سورة النازعات آية ٣٠. والدحية في اللغة العربية هي البيضة. فقد أستخدم القرآن الكريم اللفظ الذي يدل على مسماهُ.

ولقد رأى رواد الفضاء حقيقة كروية الأرض عيانا ، وبأم أعينهم، ولا يزالـــون، ومن خلال دورانهم حولها.

١١- حقيقة درجة حرارة الشمس: بينها العلم الحديث بأنها ١٥ مليون درجـــة في جوفها. و١٠ مليون درجة على سطحها.

١٢- حقيقة الجاذبية على القمر: بين العلم الحديث بأنها سدس ٦/١ من جاذبيـــة الأرض.

١٣- حقيقة وجه القمر: بين العلم الحديث بأن القمر يطل علـــى الأرض مـــن خلال وجه واحد فقط، ودورانه حول الأرض لا يظهر الوجـــه الآخـــر للقمـــر ، والذي يظل مظلما، وغامضا بالنسبة لنا.

١٤- حقيقة لون السماء: اظهر العلم الحديث أن لون السماء من علـــى القمـــر اسود، أما لون السماء من على الأرض أزرق، بسبب وجود غازات تمتص اللون الأزرق الموجود في أشعة الشمس وتعكسه على الأرض فتظهر السماء ازرقا في حين تمتص الألوان الأخرى، ولا تسمح لها بالمرور.

١٥- حقيقة الليل، والنهار عند قطبيْ الأرض: اظهر العلم الحديث أن الشـــمس تغيب عن القطب الشمالي، وعن القطب الجنوبي ستة أشهر كل سنه، وتظهر ستة اشهر. فيكون الليل في القطبينْ ستة اشهر، والنهار ستة أشهر.

١٦- حقيقة تزامن البرق، والرعد: فقد تأكد أن البرق ، والرعد يحصلان فـــي وقت، ولكن العين ترى البرق قبل أن تسمع الرعـــد؛ لأن الضـــوء أســـرع مـــن الصوت.

١٧- حقيقة تعلق السماء، والأرض بغير عمد: لقد تبين العلم أخـــيرا حقيقـــة ذكرها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، وهي تعلق الأرض في الفضـــاء دون أن تستند إلى شيء كأعمدة، وغيرها. وكذلك- رفع الســـماء دون عمـــد ترتكـــز

عليها. وهذا مصداق قوله تعالى: "خلق السموات بغير عمد ترونها" . سورة لقمان آية ١٠.

ولقد ذهل "غاغارين" الروسي أول رائد فضاء حلّق حـــول الأرض مـــن تعلـــق الأرض في الفضاء حتى أنه صرخ، وهو الكافر صرخته المشهودة : من علقها؟؟

١٨- حقيقة دوران النجوم ، والكواكب: أثبتها العلم حديثا، ذكرها القرآن قديما. قال تعالى" لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فـــي فلك يسبحون" سورة يس آية رقم ٤٠.

١٩- حقيقة سرعة صوت الراديو: اثبت العلم أن صوت الراديـــو، والمســـمى الصوت الكهرومغناطيسي يدور حول الكرة الأرضية دورة واحدة في ربـــع ٤/١ ثانية ، ويقطع المسافة ما بين الأرض، والقمر ، والبالغة ٢٤٠ ألف ميل في ثانيـــة ونصف.

٢٠- حقيقة سرعة ضوء الشمس: اثبت العلم أن ضوء الشمس يقطع المســـافة ما بين الأرض، والشمس ، والبالغة ٩٢ مليون ميل في ثماني دقائق.

٢١- حقيقة ملوحة ماء البحر: اثبت العلم أن ملوحة البحـــر تلطـــف الـــهواء، وتزوده بالمعادن، والأملاح، ومنها اليود؛ ولولا هذه الملوحة، ولو كان البحر عذبا لأفسد هواء اليابسة ، وما عليها، وجعلها منتنة، وجعل الحياة عليها غير نقية.

٢٢- حقيقة كرسي العرش: ذكرت الأحاديث النبوية أن السموات والأرض مـــا هي إلا كحلقة ملقاة في فلاة، وذلك بالنسبة لكرسي العرش. وهذا مصداق قولـــه تعـــالى :"وســـع كرســـيه الســـموات والأرض" ســـورة البقـــرة -آيـــة الكرسي ٢٥٥.

٢٣- حقيقة تعدد المجرّات: اثبت العلم حديثا أن هناك ملايين المجـــرّات، وان كل مجرّة تحوي ملايين النجوم، والكواكب. وأن هناك نجوما اكبر من الشـــمس

بملايين المرات ، وإن عدد المجرات مائة مليار ، وفي كل مجرة مائة مليار نجم، وكوكب .

٢٤- حقيقة انعدام الأكسجين في الجو: اثبت العلم أن الأكسجين ينعدم على علو ٦٧ كم.

٢٥- حقيقة التفجيرات الشمسية: اثبت العلم أن الشمس يحصل فيها تفجيرات نووية هائلة، ويمتد لهيبها إلى مسافة أطول من المسافة ما بين الأرض، والقمر ، والبالغة ٢٤٠ ألف ميل.

٢٦- حقيقة درجة حرارة البحر: اثبت العلم أن ماء البحر السفلي يظل دافئا في الشتاء، ولا يبرد أو يتجمد إلا سطح الماء، وهذا هو السبب في بقاء الحيوانات البحر حية.

٢٧- حقيقة حركة المد، والجزر: اثبت العلم أن القمر هو الذي يتحكم في حركة المد، والجزر لمياه البحار؛ وذلك بتأثير جاذبيته على البحار.

٢٨- حقيقة دقة علو الشمس عن الأرض: والبالغة ٩٢,٥ مليون ميل؛ فلو ارتفعت الشمس قليلا لتجمدت الأرض، وما عليها. ولو انخفضت الشمس قليلا لاحترقت الأرض، وما عليها.

الثالثة حقائق-:" وفي الأرض آيات للموقنين"

أولاً-حقيقة :" فتصبح الأرض مخضرة".

مصداق قوله تعالى" ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير" الحج آية ٦٣.

إن هذه الحقيقة توصل حكم الله في تكريس المنافع، والخير لخلقه، ومنها المتعلقة بالنظر، ورؤية العين من الألوان، وافضلها اللون الأخضر جعله الله نعيما، ومتاعاً، ومتعه لنعمة النظر، وراحة العين في الدنيا، والآخرة. إن اللون الأخضر يفضل على سائر

الألوان حيث يريح العين في عملها، ورؤاها، وبصرها، ويهدئ أعصاب الجسم، لأنه اقل الألوان إثارة، * ولأن ساحته البصرية أصغر من الساحات البصرية للألوان الأخرى؛ وتبعا للألوان يكبر ، ويصغر تحدّب العين. فعندما ترى العين لوناً اخضراً يقل تحدبها، ويقل تحدب بؤرتها؛ فتكون أعصابها اقل تعبا، واكثر راحة. وبالنسبة للون الأسود، أو الأصفر الفاقع مثلا يتسع تحدب العين مما يجهدها؛ لان ساحة مثل هذه الألوان البصرية تكون أوسع، فتحتاج لتحدب أكبر، فتجهد العين، وتتعب أعصابها. ومن هنا تجلت حكمته تعالى أن جعل لون الطبيعة، وعلى رأسها النباتات، والعشب، والأشجار، والغابات اخضراً. ومن فضائله علينا أن امتدت حكمته فجعل لون الجنة اخضر راحة للعين، وزيادة في متعة النظر، فقال تعالى يصف الجنة، وفي أقصر أية في القرآن الكريم :" مدهامتان" الرحمن آية ٦٤. وتعني كلمة مدهامتان شديدتا الخضرة، سوداوتان قال الالوسي في تفسير "روح المعاني": "والمراد أنهما شديدتا الخضرة إذا اشتدت، ضربت إلى السواد؛ وذلك من كثرة الري بالماء" (١) .

وقد سمى العرب قديما، والصحابة المسلمون أرض العراق، والشام بأرض السواد لخضرة أراضيها، ونباتاتها، ومزروعاتها.

وقد اثبت العلم الآثار الإيجابية للون الأخضر على الشخصية الإنسانية، والجسمية؛ وقد ذكر "أرد تشام" أن اللون الأخضر يؤثر في الإنسان، ويشعره بالسرور، والمتعة، والبهجة في حين أن اللون الأسود مثلا يثير في النفس الكآبة، والحزن، والقتامة.

ولهذا فإن الأثر الإيجابي للون الأخضر على النفس حفز الأطباء، والممرضين على ارتداء الملابس الخضراء، واستعمال الأقمشة ، والقطع الصحية الخضراء، ودهن الجدران، والأسرة باللون الأخضر. وعلى عكس اللون الأخضر، فقد ثبت علميا أن اللون الأسود يثير الحزن، واللون الكحلي يثير الغضب، واللون الأزرق يشعر بالبرودة، واللون

---

(١) الالوسي- تفسير روح المعاني، جـ٢٧ ، ص١٢١.

الأصفر يثير الأعصاب، واللون البني يوحي بالكسل، والخمول، واللون الأرجواني يبعث على الاستقرار ، واللون الأحمر يشعر بالدفء.

وهكذا يثبت العلم حقيقة اللون الأخضر كحقيقة كونية، وآية ربانية أكرم الله بها عباده المؤمنين، والكافرين؛ والطائعين، والعاصين، والمهتدين، والضالين في الدنيا يتمتعون بنعيمها الزائل، ومنه نعمة تمتع الأبصار، والعيون بالألوان الخضراء الجذابة، والمهدئة للأعصاب. ولكن، وبالنسبة لنعيم الآخرة، فقد اقتصرت المكرمة الربانية والتمتع باللون الأخضر في الجنة، ولأهلها فقط أي للمؤمنين الموحدين أصحاب الجنة من العباد لوحدهم دون غيرهم يتمتعون بخضرة أشجارها. وزادهم الله بنعمة لباس الحرير الأخضر، والاتكاء على الفرش الخضراء رفاهية على رفاهية.

فقال تعالى: "يلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق" الكهف آية ٣١.

وقال تعالى: "متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان" الرحمن آية ٧٦.

ثانياً: حقيقة :"وأرسلنا الرياح لواقح".

مصداق قوله تعالى: "وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين" سورة الحجر آية ٢٢.

إن هذه الحقيقة الكونية علمية تكرس الرياح كوسيلة تلقيح تلقح السحاب بالشحنات الكهربائية، فيحصل البرق، والرعد، ومن ثم ينزل المطر. أو تلقح النبات بغبار اللقاح، فينتج الثمر. إن هذه الحقيقة الكونية تجعل من الرياح عامل تلقيح للسحاب، فينقل الشحنات الكهربائية الموجبة من سحابة موجبة إلى سحابة أخرى سالبة، وعند التقاء السحابتين يحصل بين الشحنات الكهربائية الموجبة، وبين الشحنات السالبة شرارة كهربائية هي البرق الذي يسخن الهواء ، فيتمدد ويحصل فراغ كوني، فتهب الرياح بشدة من كل جانب لملئ هذا الفراغ، فتصطدم ببعضها، فيحدث الرعد، ويتبخر البخار فينزل المطر، وإن هذه

الحقيقة الكونية تجعل من الرياح عامل تلقيح للنبات أيضاً، فينقل غبار اللقاح الذكري إلى النبات الأنثوي، فيلقح غباره، وأزهاره، فيثمر الشجر ثمرا.

إن في تلقيح الرياح للسحاب، والشجر يكمن الخير، والإنتاج النافع من مطر، وزرع، وثمر، فتكون حقيقة :"وأرسلنا الرياح لواقح" آية خير، وثمر، ونفع، وإنتاج للبشرية قاطبة مؤمنيها، وكافريها.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره :"أي تلقح السحاب، فتدر ماء، وتلقح الشجر، فتفتح عن أوراقها، وأكمامها. وذكر الرياح بصيغة الجمع؛ ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها، ووصفها بالعقم، وهو عدم الإنتاج؛ لأنه لا يكون إلا بين شيئين فصاعداً " (١) .

تحمل هذه الحقيقة القرآنية بين طياتها إعجازاً بيانياً إلى جانب إعجازها العلمي. فقد استخدم لفظة الرياح في الخير، بينما استخدم الريح في الهلاك، والدمار.

فعندما تكلم عن الخير، والنفع، والمطر، والثمر قال:" وأرسلنا الرياح لواقح " الحجر آية ٢٢.

وعندما تكلم عن الهلاك، والدمار قال:" وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم" الذاريات آية ٤١ ، والريح العقيم لا خير فيها ، ولا يرجى ثمر منها ، وتسمى هذه الرياح بالدبور، وهو مؤشر للهلاك. وكما ورد في الحديث الشريف:" نُصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور" رواه البخاري ، ومسلم.

قال المفسرون:" سميت الريح العقيم تشبيها لها بعقم المرأة التي لا تحمل، ولا تلد. ولما كانت هذه الريح لا تلقح سحابا، ولا شجراً، ولا خير فيها، ولا بركة، شبهت بالمرأة العقيم".

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم، جـ٢ ، ص٥٤٩.

ولذلك جعلت العناية الإلهية الرياح مؤشر خير، وبركة، بينما جعلت الريح مؤشر شرّ، وهلاك. ولذلك عندما أرسلت الريح العقيم على قوم عاد، وهم قوم هود، دمرت كل شيء أتت عليه حتى جعلته كالرميم. مصداق قوله تعالى:" ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم" الذاريات آية ٤٢. أي جعلته كالهشيم المتفتت.

قال ابن عباس:" الرميم: الشيء الهالك البالي" . وقال السدي:" هو التراب، والرماد المدقوق" [(١)] كقوله تعالى :" تدمّر كل شيء بأمر ربها".

قال المفسرون: "كانت الريح التي أرسلها الله عليهم ريحاً صرصرا عاتيه استمرت ثمانية أيام حسوما أي متتابعة" وهذه مصداق قوله تعالى:" وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم إعجاز نخل خاوية" سورة الحاقة آية ٦-٧. وتعني عاتية: أي متجاوزه الحد في الهبوب، والبرودة، فكأنها عتت، واستعصت على خزانها، فلم يتمكنوا من ضبطها. قال ابن عباس:" ما أرسل الله من ريح قط إلا بمكيال، ولا أنزل قطرة إلا بمكيال إلا يوم نوح، وعاد؛ فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان، فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ:" إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية" الحاقة آية ١١. وإن الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ:" بريح صرصر عاتية" الحاقة آية ٦" [(٢)] .

إننا نستبشر خيراً بآية :" وأرسلنا الرياح لواقح" وعندما نتلوها، ونتدبرها تغمر قلوبنا بدفء الإيمان، والشكر لله على نعمائه، ومنها أنه خلقنا مسلمين. نستأنس بكلمة الرياح، ونتعوذ من كلمة الريح؛ وشرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت إليه، كقوم النبي هود، وهم عاد، والذين سلّط الله عليهم الريح العقيم ثمانية أيام متتابعة كانت تحمل الواحد منهم في الهواء كالطير، ثم تلقى به جثة هامدة على الأرض، أو في وادٍ سحيق، وكانت تقطع رؤوسهم كما تقطع رؤوس النخل، وتدخل من أفواههم، وتخرج من أدبارهم حتى

---

(١) الطبري- تفسير جامع البيان . جـ٢٩ ، ص٣٢.

(٢) الطبري- تفسير جامع البيان . جـ٢٩ ، ص٣٢.

جعلتهم جثثاً هامدة كالنخلة الخاوية الهاوية الهامدة، فلم ينج أحد منهم، ولم يبق أحد منهم بعد هلاكهم.

إن مؤشرات الهلاك، والدمار للريح العقيم، تجعلنا أكثر إيمانا، وأشد تمسكاً، وأكثر عرفاناً لله تعالى على نعمائه، وأكثر اغتباطا، واستئناساً بحقيقة :" وأرسلنا الرياح لواقح" .

ثالثاً: حقيقة :" وجعلنا من الماء كل شيء حي".

مصداق قوله تعلى :" وجعلنا من الماء كل شيء حي" الأنبياء آية ٣٠.

تنبئ هذه الآية الربانية أن أصل خلق كل حي في الوجود هو من الماء؛ فهو سبب الحياة للإنسان، والحيوان، والنبات. ولما كان الإنسان أشرف، وارفع هذه الأحياء أشار إلى خلقه من الماء بالفعل "جعل" بمعنى: أبدع، وأنشأ، وسوى، وقدّر، وكل هذا مختص بالإنشاء الإلهي للخلق التكويني. وهكذا فالفعل "جعل" أحسن تعبيرا من اللفظ خلق. ومن هنا قال تعالى عن خلق الإنسان من ماء:" ثم جعل نسله من ماءٍ مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه" السجدة آية ٨-٩.

قال أبو السعود:" وأضاف الروح إليه تعالى تشريفاً للإنسان، وإيذانا بأنه خلق عجيب، وصنع بديع، وأن له شأنا جليلة مناسبة إلى حضرة الربوبية" (١) .

إن الإنسان لظلوم كفار؛ فهو يحاول نكران أصل خلق الله له من ماء مهين، حقير، فيكفر، ويشرك به، أو يعصيه، من أجل ذلك يخاطبه الله تعلى مذكرا له بأصل خلقه، وأنه من هذا الماء المهين، وبأسلوب الاستفهام الإنكاري كقوله :" ألم نخلقكم من ماء مهين" المرسلات آية ٢٠.

وفي الحديث الشريف القدسي يقول الرسول "صلى الله عليه وسلم" فيما يرويه عن ربه :" ابن آدم، أنىّ تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟! حتى إذا سويتك، وعدلتك، مشيت

---

(١) أبو السعود- تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. جـ٤ ، ص١٩٦.

بين برديك، وللأرض منك وئيد، فجمعت، ومنعت؛ حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقه" أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ورواه ابن ماجه في سننه.

والماء المهين الوارد في الآية هو المني، وهو ماء الحياة.

قال الشاعر: احفظ منيك ما استطعت فإنه ماء الحياة يصب في الأرحام

وتتناول حقيقة :" وجعلنا من الماء كل شيء حي " أصل الحي، وتكوينه بالنسبة للإنسان، والحيوان، والنبات. فقد ثبت علميا أيضاً أن ثلثي أجسامنا يتكون من ماء أيضاً، والمكون من ذرة من الأوكسجين، وذرتين من الهيدروجين.

فبالنسبة للحيوان: فأصل خلقها، وتكوينها من ماء. قال تعالى:" والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون" النحل آية ٥. وقال تعالى :" أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون" يس آية ٧١. وبتشريحها ثبتت هذه الحقيقة الخلقية لها.

وبالنسبة للنبات: فقد أشار تعالى إلى أصل خلقه من ماء، فقال :" هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون" النحل آية ١٠-١١.

أي بالماء يخرج هذه النباتات، والأشجار، والثمار باختلاف أصنافها، وأنواعها، وألوانها.

فقال أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) : "ختم الآية بقوله :" يتفكرون"؛ لأن النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل، واستعمال فكر. ألا ترى أن الحبة الواحدة إذا وضعت في الأرض، ومر عليها زمن معين لحقها من نداوة الأرض ما تنتفخ به، فيشق أعلاها، فتصعد منه شجرة إلى الهواء، وأسفلها يغوص منه في عمق الأرض شجرة أخرى، وهي العروق، ثم ينمو الأعلى، ويقوى، وتخرج الأوراق، والأزهار، والأكمام،

والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطبائع، والألوان، والأشكال، والمنافع، وذلك بتقدير قادر مختار، وهو الله تعالى" (١) .

تؤصل حقيقة :" وجعلنا من الماء كل شيء حي" ضرورة الماء في أصل خلق الإنسان، والحيوان، والنبات، وكذلك ضرورته في تكوينها، وبناء أعضائها، وكذلك ضرورته لحياه هذه الأحياء. فبدون الماء لا يحيا حي، ولا يعيش مخلوق. وفي هذا المعنى أشار القرآن الكريم في آيات عديدة إلى الماء كونه القاسم الأعظم ، والمشترك لحياة هذه الأحياء، وباعتمادها على بعضها لديمومة حياتها، واستمرار وجودها.

فقال تعالى مشيرا إلى القاسم الأعظم في حياة الأحياء، وهو الماء: "وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى، كلوا وارعوا انعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى" طه آية ٥٣-٥٤. وقال أيضاً: "أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون" السجدة آية ٢٧.

إن الآية :"**وجعلنا من الماء كل شيء حي**" حقيقة علمية يقينية، لا يزال العلم، والعلماء يثبتون يقينيتها كل يوم، وكل علم يتوافق مع هذه الحقيقة العلمية يظل يقينيا إلى قيام الساعة. لان كل ما ثبتت يقينيته من النظريات العلمية هو يقيني في القرآن إن وجد نصاً دالا عليه أولا يخالفه. وكذلك فإن حقيقة "**خلق كل شيء حي من ماء**" تبقى خاضعة تماماً إلى حقيقة غيبية الإعجاز الإلهي في الخلق للإنسان، والحيوان، والنبات، وخاصة فيما يتعلق بكيفية خلقها من ماء، وحقيقة الروح التي تنفخ فيها، وحقيقة حياتها، ونسب عناصر الماء المشتركة في تكوين الحي، ونسب العناصر الخلقية الأخرى، كالذرات، والخلايا، والمعادن، والأصباغ، والجينات الوراثية، والهواء، وغيرها، وكيفية اشتراكها مع الماء في خلق المخلوق الحي، والذي يبقى سره عند الله تعالى خالق هذا الحي.

---

(١) أبو حيان - تفسير البحر المحيط ، جـ٥ ، ص٤٧٩.

لقد كذب الفيلسوف الألماني (هيجل) عندما قال: "ايتوني بالهواء، والماء، والأجزاء الكيماوية، والوقت، وسأخلق الإنسان" [1] .إن احتياجه لمثل هذه المكونات أكبر رد على قوله، وأكبر نقض لادعائه. إن قضية خلق الحي من ماء ليست على مثل هذه السهولة حتى تهضم، وتفهم. فالماء بحاجة إلى العناصر الأخرى، وهذه بحاجة إلى روح الحياة حتى يتخلق الحي، وهذه مرجعها إلى الله تعالى خالقها. إن حقيقة :" وجعلنا من الماء كل شيء حي" تبقى معجزة إلى قيام الساعة.

لقد فنّد رئيس أكاديمية العلوم الأمريكية بنيويورك (كريس موريسون) ادعاء (هيجل) هذا، فقال بالحرف الواحد:" إن هيجل يتجاهل في دعواه تلك الجينات الوراثية، ومسالة الحياة نفسها. إن أول شيء يحتاجه عند خلق الإنسان هو الذرات، والخلايا التي لا سبيل إلى مشاهدتها، ثم عليه أن يخلق الجينات، أو حملة الاستعدادات الوراثية بعد ترتيب هذه الذرات حتى يعطيها ثوب الحياة، ومع ذلك فإن إمكانية الخلق بهذه المحاولة لا يعدو أن يكون واحداً على عدة بلايين من نسب النجاح. ولو افترض أن هيجل نجح في محاولته، فإنه سوف ينسبها إلى نفسه، وليس إلى شيء آخر كالصدفة" [2] .

رابعاً : حقيقة :"وأنبتنا عليه شجرة من يقطين" :

مصداق قوله تعالى :"وأنبتنا عليه شجرة من يقطين" الصافات آية ١٤٦ .

حقيقة شجرة اليقطين ، أنبتها الله تعالى ، وظلل بها رسوله النبي يونس بعد أن ابتلعه الحوت، ولفظه من جوفه على البر حماه الله بها من حرارة الشمس ، وأذى الحشرات ، فكانت آية ربانية كونية، وكانت حقيقة علمية نباتية، وكانت معجزة علاجية شفائية سخرها الله كسبب دوائي تحقق به مسبب ، وهو شفاء النبي يونس من أعراضه

---

(١) سعيد حوّى- الله. ص٥٠ .

(٢) وحيد الدين خان- الإسلام يتحدّى . ص٧٠ .

المرضية التي سببها ابتلاع الحوت له. وتأتي هذه الآية من خلال شواهد روحية نصيـــة، وشواهد علمية نفعية :

أ- **الشواهد الروحية النصيّه** : وتتكرس ضمن ما نصت عليه النصوص القرآنية ، وهـــي تحكي قصة النبي يونس مع ربه ، وقومه ، وكيف انه ضاق صدرا بقومه الذين كذبـــوه ، فغادرهم ، وخرج عنهم ، مغاضبا لهم ، وقادهُ الغضب إلى شاطئ البحر ، فركب ســـفينة مشحونة بركابها وأمتعتهم ، وأخذت تتلاطمها الأمواج ، والرياح لثقل حمولتها حتى كـادت أن تغرق ، وبفراسة فطرية علم قبطان السفينة أن بين ركابها إنسان ابق عن ســـيده ، أي غاضبه ، وانه لابد من إلقائه في البحر حتى تنجو السفينة وركابـــها ، فعملـــوا قرعـــة ، فوقعت على يونس ، فألقوه في البحر فالتقمة الحوت في الحال ، ثم لفظه إلـــى الســـاحل . وقد وصف الله يونس بذي النون أي صاحب الحوت فقال : "وذا النون إذ ذهب مغاضبـــا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت ســـبحانك إنـــي كنـــت مـــن الظالمين" الأنبياء آية ٨٧ .

إن النبي يونس غضب من قومه ، لأنهم كذبوه ، وغادرهم من مدينته نينوى فـــي شمال العراق إلى البحر الأبيض المتوسط، أو إلى الخليج العربي ليبتعد عنهم ، وكان هـــذا غير جائز من نبي مرسل، والذي عليه أن يتصف بسعة الصدر ، وطول البال، ويصـــبر على أذاهم ، وتكذيبهم إذ ذهب مغاضبا لقومه ، وليس لربه ، وكما يقول أبو حيان :"وقـول من قال مغاضبا لربه يجب طرحه ، إذ لا يناسب منصب النبوة"[1] . وكما يقـــول الفخـــر الرازي :"لا يجوز صرف المغاضبة إلى الله تعالى ، لان ذلك صفة من يجـــهل كـــون الله

---

(١) أبو حيان –تفسير البحر المحيط جـ٦ ص٣٣٥ .

مالكا للأمر ، والنهي ، والجاهل بالله لا يكون مؤمنا فضلا عن أن يكون نبيا، ومغاضبته لقومه كانت غضبا لله ، وآنفة لدينه ، وبغضا للكفر ، وأهله"[1] .

"فظن أن لن نقدر عليه" أي ظن أن لن نضيق عليه بالعقوبة ، وليس نفي قدرة الله عليه، فاللفظ نقدر من القدر لا من القدرة ، والقدر هو الضيق كقوله تعالى :"ومن قدر عليه رزقه" الطلاق آية ٧ "فقدر عليه رزقه" الفجر آية ١٦ قال الفخر الرازي: "من ظن عجز الله، فهو كافر ، ولا خلاف انه لا يجوز نسبة ذلك إلى أحاد المؤمنين فكيف إلى الأنبياء عليهم السلام !! روي انه دخل ابن عباس على معاوية ، فقال له معاوية : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة ، فغرقت فيها فلم أجد لي خلاصا إلا بك ، فقال : وما هي ؟ قال : يظن نبي الله يونس أن لن يقدر الله عليه !! فقال ابن عباس : هذا من القدر لا من القدرة"[2] حاشا لله أن يظن أحد من أنبيائه ، ويونس منهم أن الله غير قادر على أحد من عبيده ، فكلهم آتي الرحمن عبدا ، "وإن يونس لمن المرسلين ، إذ ابق إلى الفلك المشحون، فساهم فكان من المدحضين" الصافات آية ١٣٩-١٤٢ أي كان من المغلوبين المدحوضين بالقرعة.

"فالتقمه الحوت وهو مليم" الصافات آية ١٤٢ أي أبتلعه الحوت ، وهو مرتكب، وات بما يلام عليه من تخليه عن مهمة هداية قومه ، وتركه لهم مغاضبا وبدون إذن ربه . إن ابتلاع الحوت وهو اكبر حيوان بحري ، وبري على الإطلاق - تدبير رباني ليربي نبيه يونس بسبب غضبه ، وتسرعه وليعلمه ، ويعلم المؤمنين أن يسبحوا الله ، ويذكروه عند معصيتهم له ، وارتكاب الأخطاء ، والمنكرات "فلولا انه كان من المسبحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون" الصافات آية ١٤٣ -١٤٤ أي فلولا كان يونس من الذاكرين لله ،

---

(١) الفخر الرازي - تفسير مفاتيح الغيب جـ٢٢ ص٢١٤-٢١٥ .

(٢) الفخر الرازي - تفسير مفاتيح الغيب جـ٢٢ ص٢١٤-٢١٥ .

والمسبحين له عندما كان في بطن الحوت ، لأبقاه الله فيه ، ولما أنجاه من شـدته ، ولمـا خلصه من محنته ، ولما فرج عنه كربته ، ولبقي في بطن الحوت ، وهلك فيه ، واصبـح قبراً له يمشي في قيعان البحار إلى يوم القيامة.

إن بطن الحوت لا يصلح أن يكون متنزهاً أو حديقة ، أو بستانا ، أو مكانا للراحة بالنسبة ليونس . ولذلك كان بحاجة إلى من يخلصه من هذا القبر ؛ لأنه سيهلك إن بقي فيه، إن يونس في شدة في كربه ، والمؤمن أيضا قد تنتابه شدة ، وقد ينزل فيه وعليه البـلاء ، ويحتاج إلى من يفرج عنه كربته ، وهنا تتجلى الرحمة الربانية بعباده ، فيخلق لـهم مـن الأسباب ، والأقوال، والأفعال ، ويهديهم منها ما يتقربـون بـه إلـى الله ، فيرحمـهم ، وينجيهم، ويفرج عنهم ، ويرفع عنهم ، وينقلهم من ظلمات الشدائد ، والنوازل إلى سكينة ، ورحمة الفرج ، والراحة ، والشفاء ، والسعادة ، ومن هنا ألهم الله نبيه يونس أن يسـبحه ، ويذكره ، وهو في بطن الحوت مصداق قوله تعالى على لسانه :"فنادى في الظلمـات أن لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" الأنبياء آية ٨٧ .قال ابـن عبـاس :"جمعـت الظلمات ، لأنها ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت" .

تسمع الملائكة تسبيح يونس ، وهو في بطن الحوت ، قبره الذي يمشي بـه فـي ظلمات البحر ، وتشفق الملائكة عليه ، وتلجا إلى الله قائلة : يا ربنا ، إننا نسـمع صوتـا يتضرع إليك من قيعان البحار، إننا نعرف هذا الصوت ، سمعناه من قبل ، ولكن معرفتنـا به غابت عنا ، من هو صاحب هذا الصوت؟!! فيجيبهم ربهم انه صوت نبيـي يونـس ، يسبحني ، ويستغفرني ، ويذكرني ، فتنادي الملائكة ربها : يا الله يا ربنا ، اغفر ليونـس خطيئته ، وتجاوز عن مغاضبته لقومه ، إنها كانت من أجلك ، وانفـة لدينـك ، وبغضـاً للكفر، وأهله . فاستجاب له ، ولهم ربهم ، ونجاه من الكرب ، وهو بطن الحوت:"فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين" سورة الأنبياء آية ٨٨ . "سبحانك إني كنت مـن

الظالمين" استغفار ، ودعاء حق نطق به نبي الله يونس ، ويجب أن ينطق به كل مؤمن عصى ربه ، وقصر في حقه ، وجنبه ، ويقول دوما : تنزهت يا رب ، عن كل نقص ، وظلم ، وإني نادم ، تائب عن كل ما بدر مني ، فاكشف عني محنتي . وفي الحديث الشريف :"ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء "لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" إلا استجيب له". رواه أبو داوود في سننه.

"وكذلك ننجي المؤمنين" أي كما نجينا يونس من تلك الكربة ، فإننا ننجي المؤمنين من الشدائد، والمحن ، والكرب ، والأهوال ، والنوازل إذا استغاثوا بنا ، وسبحوا بحمدنا ، وذكرونا، واستغفرونا "فنبذناه بالعراء وهو سقيم" الصافات آية ١٤٥. أي فألقيناه على الساحل ، وأوحينا إلى الحوت أن لا تأكله ، والفظه ، والق به على البر، على الأرض الجرداء ، والفضاء التي لا شجر فيها ، ولا ظل، وهو سقيم مريض مما ناله من الكروب ، وهو في بطن الحوت قال عطاء :"أوحى الله تعالى إلى الحوت إني قد جعلت بطنك له سجناً ، ولم اجعله لك طعاما ، فلذلك بقي سالما لم يتغير منه شيء"[1].

وبالوحي الرباني ، وهو الإلهام إلى الحوت لفظه من بطنه ، وأخرجه من فمه، وألقاه على اليابسة جثة مريضة سهلة الافتراس من قبل الحشرات ، وسريعة التأثر من حرارة الشمس ، واصبح يونس في كربة أخرى قمينة أن تهلكه ، أو يهلك فيها ، ولكن رحمة الله ممتدة ، ولما كان بحاجة إلى ما يحميه من الحشرات ، ومن لهيب الشمس ، أدركته الرحمة الربانية ثانية ، وفرت له غرفة إنعاش مستعجلة لتقيه من الهلاك ثانية ، وكانت غرفة الإنعاش هذه هي شجرة اليقطين من اجل ذلك قال تعالى : "وأنبتنا عليه شجرة من يقطين" الصافات آية ١٤٦ .

(١) أبو السعود – تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم جـ٤ ص٢٧٧ .

أي أنبتنا فوقه شجرة من شجر اليقطين تظله ، وتقية حرارة الشمس ، وتمنع عنه أذى الحشرات ، والذباب. واليقطين هو القرع ، أو الكبويا ، وهو من الشجر المداد الذي يتسلق إلى أعلى ، ويعمل ظلا قويا تحته قال ابن جزي :"وإنما خص القرع بالذكر، لأنه يجمع كبر الورق ، وبرد الظل ، والذباب لا يقربه ، فان لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يتحمل الذباب"(1) .

وكان هذا من لطف الله ، وتدبيره ، وبأن خلق ، ويسر لنبيه يونس ما يحميه ، ويقيه من عوامل الطبيعة القاتلة كأشعة الشمس ، ومن أذى الحشرات الآكلة كالذباب ، ولذلك انبت الله عليه شجرة اليقطين ، ووفر فيها أسباب حماية يونس من ظل ، وندى، واخضرار أوراقها ، يتفيؤ يونس بظلها ، وتقيه من أذى الذباب مادة خلقها الله في ورق شجرة اليقطين منفره للذباب ، والحشرات. لقد خلق الله ليونس شجرة ظلال ، وليس شجرة طعام ؛ لأنه بحاجة إلى الظل ، وليس بحاجة إلى الطعام ، بينما خلق لمريم العذراء شجرة طعام هي النخلة، وليس شجرة ظلال ؛ لأنها كانت بحاجة إلى الطعام لا إلى الظلال ، ولله في خلقة شئون يخلق من أسباب الحياة ما هو صالح لكل حال ، ونوعية كل حاجة.

ب. **الشواهد العلمية النفعية** : وتتكرس ضمن ما أثبته العلم الحديث من فوائد ، ومنافع صحية ، وبيئية لشجر اليقطين ومنها :

١- تخفيفه للظمأ حيث أن ماءه رطب يلطف حرارة ظله ، وهو الذي احتاجه يونس(2).

٢- تكوينه للظل ، ولمساحة اكبر ؛ لان أوراقه عريضة ، وسميكة ، ومليئة بالماء ، والمادة الخضراء ، وتغطي أوراق اليقطين أشواك صغيرة هي الوبر تخفف من وطأة الشمس ، وتمنع من النتح ، أي خروج الماء من الأوراق ، ومن ثم من جفافها، فتبقى

---

(١) ابن جزي – تفسير التسهيل لعلوم التنزيل جـ٣ ص١٧٦ .

(٢) دكتور صبري قباني – كتاب : الغذاء لا الدواء.

خضراء رطبه لمدة طويلة ، فتكون كغرفة إنعاش للمريض . وهكذا كانت ليونس – عليه السلام – حيث أن جسمه المتآكل كان بحاجة إلى مثل هذه الشجرة ، وأوراقها ليتفيأ الظل من تحتها لمدة أطول.

٣– تقويته للعقل ، والدماغ ، مصداق قوله "صلى الله عليه وسلم" :"عليكم بالقرع ، فانه يزيد في العقل، ويكثر الدماغ" رواه البيهقي في شعب الإيمان.

٤– تقويته للجنس عن عائشة أم المؤمنين قالت :"من أكل القرع بالعدس ، رق قلبه ، وزيد في جماعه، وإن اخذ بالرمان الحامض ، والسمّاك نفع الصفراء" .

٥– تقويته للجلد حيث أن به موادا تعالج الجلد، وتجدد خلاياه ، وتنظفه من الفيروسات، والبكتيريا .

٦– طرده للدودة الشريطية من جسم المصاب بها حيث يطعم لب القرع ثم جرعة من زيت الخروع.

٧– تنفيره، وطرده للحشرات ، وخاصة الذباب ، لاحتوائه على مادة منفرة لها؛ وهذا ما كان يونس بحاجة إليه حيث أن جسمه الرطب كان فريسة سهلة للذباب(1).

خامساً : حقيقة :"تساقط عليك رطباً جنيا" :

مصداق قوله تعالى :"وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا" مريم آية ٢٥. إنها حقيقة علمية نباتية ، وهي حقيقة غذائية ، ودوائية وردت في معرض سرد قصة ابتلاء مريم العذراء في حملها ، وولادتها لابنها المسيح عيسى من غير زوج ، أو من غير أب. لم تحمل مريم كما تحمل النساء ، إنها حملت ، ولا زوج لها ، ولكنها ولدت كما تلد النساء ، وعانت مما تعاني منه النساء الوالدات من أوجاع الطلق، وآلامه ، ونزول الدم، وحصول الطمث، وتليف الأمعاء ، ونقص الغذاء . فكانت في ولادتها بحاجة إلى

ثلاثة أشياء رئيسية هي: الماء ، والغذاء ، والدواء . فوفرتها لها العناية الإلهية رحمة بها، وبابنها المولود عيسى. لقد ألجأها طلق الولادة إلى جذع النخلة لتلد عنده ، وأصبحت معجزة ولادتها لابنها عيسى حقيقة واقعة ، وأصبحت مريم بين نارين : نار تكذيب أهلها لها ، ونار الولادة . وفي كلتا الحالتين تدخلت العناية الإلهية ، فأنقذتها من تلك النارين.

لقد تمنت مريم الموت ، وتمنت لو كانت نسيا منسيا . عرفت أنها ستبتلى ، وأن أهلها سيتهمونها، وهي المرأة الناسكة العابدة ، الورعة، التقية . لقد كانت متعبة صحيا ، ونفسيا . وحزنها على وليدها الذي لا ذنب له اكثر من حزنها على نفسها ، ولكن الله ارحم منها على نفسها ، وارحم منها على وليدها . فاخذ يخفف عنها ، وأرسل إليها جبريل - "عليه السلام" - يناديها لا تحزني يا مريم قد جعل ربك تحتك سريا ، جدول ماء لتغتسلي ، وابنك ، ولتشربي منه ، "فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربك تحتك سريا" مريم آية٢٤ .

وأما الغذاء ، والدواء ، فقد وفرتهما العناية الإلهية لها في :**"تساقط عليك رطباً جنيا"** أي في حبة التمر ، فكان الرطب محتويا على عناصر الغذاء ، والدواء معاً .

إن حقيقة :"تساقط عليك رطبا جنيا" فضلا عن إنها حقيقة علمية غذائية ودوائية فإنها تكرس قانون السببية ، وفيما يعرف بنظرية الأسباب ، والمسببات ، وبأتم معانيها ، وأجلى صورها . وتقضي هذه النظرية أن يأخذ الإنسان بالأسباب حتى تتحقق له المسببات . أن يأخذ بأسباب السعي حتى يتحقق له مسبب الرزق . وأن يأخذ بأسباب الغذاء حتى يتحقق له مسبب النماء . وأن يأخذ بأسباب الدواء حتى يتحقق له الشفاء ، وأن يتاجر حتى يربح ، وأن يسافر حتى يصل ، وأن يأخذ بأسباب الأمان حتى ينجو ، وأن يأكل ، ويشرب حتى يعيش ، وأن يقرا حتى يتعلم ، وأن يتزوج حتى ينجب، وأن يعبد الله حتى

---

(١) سيد قطب - تفسير في ظلال القرآن.

يرضى عنه ، وأن يدعوه حتى يستجيب له ، وأن يستغفره حتى يغفر له ، وأن يتوب حتى يتاب عليه ، وأن ، وأن ، وأن ..... الخ إن مريم العذراء والدة فهي مريضة ، ومتعبة صحيا ، وقد ولدت من غير زوج ، فهي منهكة ومتعبة نفسيا ؛ ومع ذلك أمرها ربها أن تأخذ بأسباب السعي حتى يرزقها الغذاء والدواء، فقال لها :"وهزي إليك بجذع النخلة" أي خذي بالسبب "تساقط عليك رطباً جنياً" أي حتى يتحقق لك المسبب ، وهو الرطب الذي هو غذاؤك، ودواؤك. إن الله تعالى لم يعذرها ، وهي المريضة صحيا ، ونفسيا ، وطلب منها أن تهز جذع النخلة حتى يرزقها . إن في هذا تعليم للبشرية قاطبة ، والى قيام الساعة بضرورة تعاطي الأسباب التي خلقها الله لنا لتتحقق المسببات ، أي مسبباته ، وسواء أكانت دنيوية أم أخروية.

إن قوله :"وهزي" تعني خذي بالأسباب ، وبعد التوكل على الله ، وما عدا ذلك يعني التواكل فقوله تعالى : "وفي السماء رزقكم وما توعدون" الذاريات آية ٢٢ لا يعني ترك أسباب الحصول عليه كما يذهب إليه جهال المتزهده.

صحيح أن مريم لم تحمل كما تحمل النساء من زوج ، ولكنها ولدت كما تلد النساء من بطن ، وفرج . وهي كوالدة تحتاج إلى غذاء ، ودواء ، ولا تحتاج إلى غرفة إنعاش كشجرة اليقطين التي أنبتها الله على نبيه يونس ، والذي كان بحاجة إليها، ولم يكن بحاجة إلى غذاء ، ودواء كمريم العذراء . إن مريم بحاجة إلى صيدلية تمدها بالدواء ، والى شجرة تمدها بالغذاء ، فجمع الله لها الغذاء ، والدواء في الرطب الجني، وأطعمها إياه.

وقديما ، وحديثا اثبت العلماء القيمة الغذائية ، والدوائية للرطب ، وكيف يحتوي على معظم العناصر الغذائية ، وبنسب عالية ، والتي يحتاجها الجسم الآدمي من فيتامينات، وبروتينات ، ومعادن ، وأملاح ، وسكريات ، وغيرها. ولقد اثبت العلماء أيضا غناه

بالعناصر الدوائية العلاجية للرطب ، ومنها السكريات التي تساعد على انقطاع الطمـــث ، أي النزيف ، وعلى الشفاء من تليف الأمعاء وبالتالي مساعدة المريضة الوالدة على الشفاء، والقيام بسرعة.

وقد جرت العادة أن يطعم الناس المرأة الوالدة الحلويات : كالحلاوة الطحينية فـــي بلاد الشام ، والأمغات في مصر ، والطمينة في المغرب العربي ، على اعتقاد منهم أن في هذا السكريات فوائد علاجية ،..... وغذائية للوالدة .

يروي الإمام القرطبي عن الربيع بن خيثم قال :"فللنفساء عندي خير من الرطـــب لهذه الآية ولو علم الله شيئا هو افضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم" .

وروى عنه أيضاً : "ولذلك قالوا : التمر عادة للنفساء من ذلك الوقـــت ، وكذلـــك التحنيك" وقيل: "إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ، ولا للمريـــض خـــير مـــن العسل" حكاه القرطبي عن الزمخشري.

والتحنيك هو هضم الأم للطعام في فمها ثم إطعامه لوليدها ، والله اعلم .

ولغنى الرطب بقيمه ، وعناصره الغذائية ، والدوائيـــة جعلـــه الله غـــذاء أهـــل الصحراء ، فانبت فيها شجر النخيل . وبأكل الرطب ، وشرب اللبن مع أكل اللحم حـــافظ سكان الصحراء على نسلهم ، وسلامة أبدانهم ، وأجسامهم، ولله في خلقه شئون.

"تساقط عليك رطبا جنيا" إنها حقيقة علمية نباتية ، وفي نفـــس الوقـــت غذائيـــة دوائية، ذكرها القرآن منذ اكثر من أربعة عشر قرنا، أثبتها ، وأكدها العلم قديما ، وحديثاً. ولكن الملفت للنظر حقا أن يأتي النص على الحقيقة النباتية هذه بعد قوله: "وهـــزي إليـــك بجذع النخلة" فقد ربط بين تساقط الرطب ، وبين الهز ، وعلق تساقط الرطب على هزهـــا، وتحريكها لجذع النخلة ، ولذلك قال :"وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيـــا". إن باب التساؤل في هذا المقام يبقى مفتوحا : ما الحكمة ، ولماذا أمر الله مريـــم بـــهز ،

وتحريك النخلة حتى يرزقها الرطب ؟!! ألا يستطيع الرب أن يسقط عليها الرطب من أعلى النخلة من غير أن تقوم بالهز ؟!! وهل الهز ضروري جدا ليرزقها؟!! وكذلك إن مريم والده ، فهي إذن مريضة منهوكة القوى؛ زد على ذلك إنها لم تلد كما تلد النساء من زوج ؛ فهي إذن متعبة نفسيا ، وبحاجة إلى الراحة ، وليس إلى التكليف بالعمل ، وخاصة إذا كان هزا، وتحريكا لجذع نخلة قوي ، وجامد ، ويابس ، والذي قد يعجز عن هزه رجل الصحراء القوي ، إذن لماذا وهزي؟!!

ثم حتى لو هزت ، أو حاولت هز الجذع ، فانه سيكون خفيفاً جدا لا يتعدى مس الجذع بيديها الناعمتين . إن صحتها البدنية ، وحالتها النفسية لا تمكنها من الهز الفعال ، والقوي ، والذي يمكن أن يسقط الرطب به ، أو بسببه.

ثم ألم يرزقها الله من قبل من غير أن تبذل جهدا، أو عملاً ؟!! ألم يكن يأتيها رزقها من غير تكسب، أو طلب للرزق عندما كان يدخل عليها زكريا المحراب : وهي في ريعان شبابها تتعبد في الدير ؟!! لماذا إذن عندما ولدت ابنها المسيح أمرها أن تتعاطى أسباب الرزق ، وقال لها :"وهزي"؟ وهو قادر على أن يرزقها ، وهو يعلم إنها منهوكة القوى ، وما تزال تعاني من الآم ، وأعراض الولادة؟! وهو يعلم أن حالة نفاسها أسوأ صحياً ، ونفسيا من حالتها الأولى التي كان يرزقها فيها من غير سبب ، وهي حالة شبابها؟!!

لقد عذرها في ريعان شبابها ، فرزقها من غير سبب بينما لم يعذرها في حالة نفاسها فلم يرزقها من غير سبب ، وإنما قال لها :"وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا". انه لا يُسأل عما يفعل ، وجميع خلائقه يُسألون ؛ إن في ذلك لحكمه.

إن هذه الآية تؤصل ، وتكرس قانون السببية بأتم معانيه ، وشواهده .

فقوله لمريم :"وهزي" يعني : انه يجب عليك أن تأخذي بأسباب الرزق حتى ترزقين، وبمفهوم المخالفة يكون المعنى : إن لم تأخذي بأسباب الرزق لا ترزقين ؛ لان هذه سنة الله في خلقة ، وعباده ؛ فحتى يرزقهم يجب عليهم أن يطلبوا الرزق ، إن سنة الله تقتضي من عبيده أن يتعاطوا الأسباب حتى تتحقق لهم المسببات.

ولئن قيل : إن الله تعالى رزق مريم من قبل من غير سبب ، فكيف يطلب منها الآن أن تأخذ بالسبب ؟!! نقول : إن الله لا يسال عما يفعل إن شاء أن يرزق أحدا من عباده بسبب أو من غير سبب. ثم إن هذا نادر الوقوع ، ثم إن خرق العادة التي جبل الناس عليها في حياتهم المعيشية يعتبر خروجا على قاعدة السببية ، ويعتبر استثناء من قوانين الأسباب ، والمسببات التي تحكم الناس ، والتي تقتضي أن يتعاطى هؤلاء الناس الأسباب حتى تتحقق لهم المسببات. والاستثناء عادة لا يعول عليه ، ولا يغير من سنة الله شيئا في وجوب تعاطي الأسباب. ثم إذا كان الله قد رزق مريم من قبل من غير سبب ، فلا يعني أن هذا الاستثناء قد اصبح سنة لها ، ولغيرها ، ثم إن الرزق من غير سبب أمر يتعلق بإرادة الله ، ومشيئته . فقد أراد أن يرزقها من غير سبب؛ فهذه مشيئته، وهذه إرادته، وهذا أمره فلا يسال عنه. ولكن إذا شاءت مشيئته ، وإذا اقتضت سنته أن يؤخذ بالأسباب، فيجب أن يؤخذ بها. ومن هنا فان قوله :"وهزي" هو تذكير من بعد أمر ، وطلب أن تأخذ مريم ، والناس جميعا بالأسباب حتى تتحقق المسببات . بعبارة أخرى يجب على العباد جميعا أن يتعاطوا أسباب الحياة المادية ، والروحية حتى يحقق لهم الله مسبباتهم ، وحاجاتهم ، في الدنيا أو في الآخرة إن شاء .

إن قول الله لمريم :"وهزي" وهي مريضة ، والدة نفساء ، متعبة صحيا ، وجسديا، ونفسيا هو تذكير لها ، ولنا بقانون السببيه ، وضرورة العمل بالأسباب التي خلقها الله لنا لنعمل بها ، ولنتعاطاها في دنيانا. إنه تعليم لنا ، وفي هيئة تعريض للأمر التكليفي بوجوب

العمل بسنة الله في عباده بطلب الرزق وإن ذلك لا يقدح أبدا في التوكل كما تقوله جـــهال المتزهده. إن مريم مؤمنه ، ومتوكلة على الله في كل شيء؛ ومع ذلك أمرهـــا أن تطلـــب الرزق، وتسعى إليه . وإن مرضها ، وإيمانها، وتوكلها، وقنوتها لم تكن لها عذرا عنـد الله حتى يعفيها من طلب الرزق . ونفس الشيء بالنسبة للمؤمنين فـــان التوكـــل علـــى الله لا يتعارض البتة مع العمل بقوانين الأسباب ؛ ولذلك جاء في الحديث: "أعقلها، وتوكـــل" رواه الترمذي عن انس إن التوكل على الله في الرزق لا يتعارض البتة مع السعي إليه ؛ فليـس من الزهد التوكل على الله ، وفي نفس الوقت ترك السعي إلى الرزق ، ومن ثـــم العيـش عالة على الغير. وإن حدث الترك هذا فهو التواكل بعينه ، وليس التوكل.

تذكر الروايات أن الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" دخل المسجد مـــرة فرأى أناسا يتعبدون طول الوقت فأخرجهم من المسجد. وفي الأثر عن عمر بن الخطـــاب "رضي الله عنه" انه قال: إني لأرى الرجل فيعجبني ، فأسال : هل له حرفه ؟ فان قـــالوا : لا قال : سقط من عيني.

وقال : لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : اللهم ارزقني ؟ فقد علـــم أن السماء لا تمطر ذهب ، ولا فضة ، ولكن الله يرزق الناس بعضهم من بعض.

وقد ورد الحديث الشريف : أن رجلا زاهدا كان لا يسعى في طلـــب الـــرزق ، وعندما سال الرسول "صلى الله عليه وسلم" عمن يكفيه طعامه ، وشرابه ؟! فقالوا : كلنـــا؟ فقال :"كلكم خير منه" .

وقد جعلت السنة النبوية السعي إلى الرزق على النفس ، أو الوالدين ، أو الأولاد، والعيال في سبيل الله. فعن كعب بن عجره - "رضي الله عنه" - قال : مر علـــى النبـــي "صلى الله عليه وسلم" رجل ، فرأى أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" من جلـــده، ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال : "إن كان خرج يســـعى

على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وإن خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو في سبيل الله ! وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها ! فهو في سبيل الله ! وأن كان خرج يسعى رياء ، ومفاخره، فهو في سبيل الشيطان" رواه الطبراني. وقال المنذري : رجاله رجال الصحيح . إن قوله تعالى : "وهزي" لا يتعارض مع قوله :"وفي السماء رزقكم وما توعدون" الذاريات آية ٢٢ . إن كون الرزق مقدرا في السماء لا يعني البتة ترك السعي إليه ، وبعبارة أخرى ، إن كون الرزق أمرا مسببا ، ومقدرا لصاحبه لا يعني البتة ترك أسباب الحصول عليه.

إن التوكل على الله في الرزق إنما يقتضي تعاطي أسباب الحصول عليه . وبدون هذا التعاطي لا يكون هناك توكل ، وقد لا يكون هناك رزق، لأن التوكل ليس كلمة تقال على اللسان فقط ، وإنما يجب أن تترجم بتعاطي أسباب الحصول على الرزق أو الشيء الذي حصل فيه ، ومن اجله التوكل . وكذلك إن قوله تعالى :"وهزي" لا يتعارض مع قوله في الرزق : "فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما إنكم تنطقون" الذاريات آية ٢٣.

إن كون الرزق حقا لا يعني البتة ترك السعي إليه . وبعبارة أخرى : إن كون الرزق أمراً مسببا ، ومقسوما لصاحبة لا يعني البتة جواز ترك أسباب الحصول عليه وإن حصل هذا الترك ، لا يكون هناك توكل بل قد لا يكون هنا رزق.

وبعبارة أخرى متواضعة : إذا كان الرزق حقا مقسوماً ، فان طلبه حق مفروض.

فكون المسبب ، وهو الرزق حق ، يقتضي أن يكون السبب ، وهو الأخذ به كذلك حقاً لإن القسم الرباني :"فورب السماء والأرض" يؤكد حق كينونة الرزق ، ككينونه النطق تماما في وجوده ، وكونه مقدرا ، ومقسوما لا يفارق صاحبه ، وكون النطق حقا فانه يوجب تحريك اللسان لتحقيقه ، وكذلك فان كون الرزق حقا فانه يوجب بذلك السعي لتحقيقه.

يؤكد القسم الرباني حق الكينونه للرزق كالحق تماما ، وما نوعد به من بعث ، ونشور ، وجزاء ، وحساب ، وجنة ، ونار ، ونعيم ، وعذاب . إن رزقكم كائن مثل نطقكم. قال المفسرون : "هذا على سبيل التشبية ، والتمثيل ، أي رزقكم مقسوم في السماء كنطقكم ، فلا تشكوا في ذلك . وهذا كقول القائل :"وهذا حق كما انك ها هنا ، وهذا حق كما انك ترى ، وتسمع"(١) . وفي الحديث :"لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت" رواه القرطبي بإسناد إلى الثعلبي(٢) .

صحيح إن الرزق يتبع صاحبه كما يتبعه الموت ، ولكن بتعاطي أسبابه ، فالرزق لا ينزل على صاحبه كالمطر من السماء . ولكن الله يرزق الناس بعضهم من بعض. وإن قسم الله رزقا لأحد فانه يكون قد سبق في علمه تعالى انه سيأخذ بأسبابه ، ويسعى إليه ، ولذلك رزقه. فالرزق يتبع صاحبه إن سعى إليه ، وطلبه ، واخذ بأسبابه. وليس من التوكل في شيء أن يقبع الإنسان في بيته ، ويغلق عليه بابه ، ثم يتمنى أن يرزقه الله ، وينتظر هطوله عليه من السماء كالمطر بحجة أن رزقه حق ، ومقسوم له في المساء ، وإن فعل أحد ذلك فهذا هو التواكل ، وليس التوكل ؛ وقد يموت هذا المتواكل جوعاً.

وفي الحديث الشريف :"إن روح القدس نفث في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، واجلها ، فاتقوا الله ، واجملوا في الطلب" رواه البخاري ، ومسلم.

صحيح إن الرزق يستكمله صاحبه، وقبل وفاته . ولكن إن اخذ بأسبابه ، وطلب الحصول عليه. فيكون قد سبق في علم الله تعالى أن ما قسمه من رزق سيكتمله صاحبهُ بالسعي إليه قبل وفاته. فهذا هو المعنى السليم ، والصحيح للحديث . فكون النفس الآدمية

---

(١) أبو حيان – تفسير البحر المحيط – جـ٨ ص١٣٧ .

(٢) القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ١٧ ص٤٣ .

لا تموت قبل أن تستكمل رزقها لا يعني أن هذا سيتم ، وسيتحقق ، وإن لم تطلبه ، وإن لم تسعى إليه ، فان استكمال الرزق الوارد في الحديث إنما يعني ..... استكمال أسبابه أيضاً.

إن كون الرزق كالنطق تماما لا يفارق صاحبه إلا باستنفاذه، واستكماله يوجب استنفاذ، واستكمال أسبابه . وكون النفس الآدمية لا تموت قبل أن تستكمل اجلها لا يعني هذا أن يقبل الناس على الانتحار ، وإزهاق أنفسهم ، ولا يعني ألا يأخذوا بأسباب أمن ، وحفظ أرواحهم . فليس هكذا يفهم الحديث ؛ وإن فعل أحد ذلك ، وأقبل على الانتحار : فمات فانه يكون تقد سبق في علم الله تعالى أن هذا المنتحر سيخالف أوامره التي توجب عليه المحافظة على حياته ، ولم يأخذ بأسباب الأمن ، فحدد له اجله تبعا لذلك ، وسيسُأل عن انتحاره . ولا يعني أبدا أن الله تعالى حدد له أجلا ، ولم يعلم انه سينتحر، وعندما قام بالانتحار نقص له عمره.

ولذلك يجب أن يعلم أن قوله تعالى :"وفي السماء رزقكم وما توعدون" وقوله: "انه لحق مثل ما أنكم تنطقون" إنما يعني التقدير للرزق ، والتنبيه على الأخذ بسببه في آن واحد. وكذلك يجب أن يعلم أن قوله "صلى الله عليه وسلم" : "لتبعه كما يتبعه الموت" وقوله "حتى تستكمل رزقها ، واجلها" إنما يعني الاستكمال ، والاستنفاذ للرزق ، وفي نفس الوقت الأخذ بسببه . وإن النصوص القرآنية ، والنبوية الحاضة على تعاطي الأسباب كثيرة ومنها: "وآتيناه من كل شيء سبباً الكهف آية ٨٤ .

وقوله تعالى :فاتبع سبباً" الكهف آية ٨٥ .

ويعني السبب هنا: علما ، أو طريقا يوصله إليه. وقوله تعالى :"لعلي ابلغ الأسباب، أسباب السموات" غافر آية ٣٦-٣٧ . أي الطرق التي تؤدي إلى السموات ،

وكررها للتفخيم ، والبيان : قال الزمخشري :"إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه"، فلما أراد تفخيم أسباب السموات أبهما ثم أوضحهما"(١) .

وقوله تعالى :"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" التوبة آية ١٠٥. أي خذوا بأسباب الأعمال فان الله سيكتبها لكم خيرا كانت أم شرا ، وسيشهد عليكم رسوله ، والمؤمنون. وقوله تعالى :"يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون" الصف آية ٣ . أي تقولون شيئا، ولا تتعاطون أسبابه ، ولا تفعلونه ، وقد ورد سبب نزول هذه الآية في قوم من المؤمنين تساءلوا عن احب الأعمال إلى الله ، فلما اخبروا أن احبها إليه الإيمان ، والجهاد لم يأخذوا بأسبابه، وتقاعسوا عنه.

قال ابن عباس :"كان أناس من المؤمنين - قبل أن يفرض الجهاد - يقولون : لوددنا أن الله عز وجل دلنا على احب الأعمال إليه، فنعمل به ؛ فاخبر الله نبيه أن احب الأعمال : إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان، ولم يقروا به. فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره ، فنزلت الآية: "كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون"(٢) .

ومن النصوص القرآنية المنبئة بوجوب الأخذ بالأسباب قوله تعالى :"ولو انهم أقاموا التوراة والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمه مقتصدة وكثير منهم ساءَ ما يعملون" المائدة آية ٦٦ .

أي لو أن هؤلاء اليهود ، والنصارى اخذوا بأسباب الهداية التي جاءت بها كتبهم، والتي جاء بها هذا القرآن، لرزقهم الله من خيراته ، ولاغدق عليه بركاته.

---

(١) الزمخشري - تفسير الكشاف جـ٤ ص٦٦ .

(٢) محمد علي الصابوني - تفسير مختصر ابن كثير جـ٣ ص٤٩٢ .

وبمفهوم الموافقة : لم يأخذ هؤلاء بأسباب الهداية ، والإيمان ، فلم يحقق لـــهم الله مسببات الخير ، والرزق.

وقوله تعالى :"للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتســبن" النســاء آية٣٢.

قال الطبري :"كل له جزاؤه على عمله بحسبه ، إن خـــيرا فخــير ، وإن شــرا فشر"[١] . وتؤصل هذه الآية القرآنية مبدءاً اقتصاديا ، واجتماعياً ، وروحيا في آن واحــد؛ وهو مبدأ عودة ثمرة العمل على صاحبه. بمعنى أن الرجال والنســـاء يحصلــون علـــى نصيبهم من ثمرات الأسباب التي يتعاطونها؛ فان تعاطوا الأسباب في أعمال الخير، لـــهم نصيب منها ، وإن تعاطوها في الشر لهم نصيب من هذا الشر ، سواء أكانت أعمالا مادية دنيوية ، أم روحية أخروية.

ومن النصوص النبوية قوله "صلى الله عليه وسلم" :"لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا ، وتروح بطانا" أخرجه الترمذي ، وقـــال : حديث حسن. ويعني التوكل هنا الأخذ بأسباب الرزق، ومع الاعتقاد انه من الله فان ســعى إليه المؤمن ، وطلبه يعطيه إياه الله كما يرزق الطير التي بعد توكلها على الله أيضا ســعت إلى رزقها بدليل قوله : تغدوا ، وتروح.

إن النصوص القرآنية ، والنبوية الداعية بشكل صريح إلى تعاطي الأسباب كثيرة، ولكنها أحيانا تدعوا إلى الأخذ بالأسباب بالتعريض دون التصريح ، وبطريق غير مباشـــر كما يقولون، ومثالها : الآيات القرآنية التي تنسب الأموال إلى أصحابها كقوله تعالى :"مـــا أغنى عنه ماله وما كسب" المسد آية ٢ . وقوله : "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل" البقــرة آية ١٨٨ .وقوله : "ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم" النساء آية ٢.

وقوله : "شغلتنا أموالنا" الفتح آية ١١.

فقد نسب الأموال إلى أصحابها هؤلاء باعتبار انهم اخذوا بأسباب جمعها ، وتحصيلها ، وبذلوا جهودهم لنيلها.

ومنها قوله :"قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم" النمل آية ١٢.

فقد نسب المساكن إلى النمل على اعتبار إنها هي التي بنتها ، وتعاطت أسباب بنائها ، وتوفيرها لأنفسها . ونعود ثانية إلى حقيقة : وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا.

"وهزي" هذه اللفظة القرآنية ، وهي تؤصل قانون السببية في أتم معانية ، فهي تبنيه على أساس، ومفاهيم عقدية ، وإيمانية فحواها أن تعاطي الأسباب إنما يكون من قبل المخلوق ، بينما تحقق المسبب إنما يكون من الخالق . وبمعنى آخر متواضع : الأسباب من الإنسان ، والمسببات من الله. ويتضح هذا الفحوى الإيماني بصورة أكبر لو قلنا : إن تعاطي الأسباب هو من قبل الإلزام ، والوجوب، بينما تحقق المسببات هو من قبيل الاختيار ، والمشيئة .

فإذا وجب على الإنسان أن يتعاطى أسباب الرزق ، فانه ليس من الواجب على الله أن يهبه الرزق . إن تعاطي الأسباب مقيد بالإلزام ، والوجوب ، بينما بالنسبة للمسببات فلا قيد ، وإن كان هناك قيد فهو متعلق بالمشيئة إن شاء وهب ، وإن شاء منع.

وقد ورد هذا المعنى في مواضع عديدة من القرآن منها قوله تعالى :"يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير" الشورى آية ٤٩-٥٠ فقد ورد هذا في معرض تعاطي أسباب الإنجاب ، وقيد ذلك بمشيئة الله إن شاء وهب إناثا ، وإن شاء ذكورا ؛ وإن شاء لا يهب شيئا من الأطفال.

---

(١) الطبري – تفسير جامع البيان – جـ٢ ص٢٦٧ .

ومنها قوله تعالى :"بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء" الأنعام آية ٤١. وقد ورد هذا في معرض تعاطي أسباب الرحمة . فقد قيد استجابته للدعاء بمشيئته؛ فيكون إن شاء كشف الضر، وإن شاء لم يكشفه ، فليس إلزاماً على الله أن يستجيب الدعاء ، وقوله :"ويعذب المنافقين إن شاء" الأحزاب آية ٢٤ .

"أو يتوب عليهم" أي إن شاء عذبهم ، وإن شاء تاب عليهم.

ولذلك قال العلماء : على الإنسان أن يسعى ، وليس عليه إدراك المقاصد . ومعناه على الإنسان أن يأخذ بالأسباب ، ولكن تحقق المسببات ليس من اختصاصه، ولا يدخل ضمن مقدرته ، وإنما ضمن القدرة الربانية.

ومن هنا ترى كثيرا من الناس يكد ، ويشقى كثيرا ، ولكنه يرزق قليلا ، وعلى العكس يعمل قليلا، ويبذل جهدا يسيرا ، وفي نفس الوقت يرزق كثيرا؛ وقد لا يبذل جهدا، ويرزق كالذي يعثر على كنز أو لقطة ، أو يوصى له أو يرث ، أو يوهب مالا. ولمزيد من الوضوح نقول : إن "وهزي" تحيط قانون السببية بطرفيه بمعالم المشيئة الإلهية. فبالنسبة لتعاطي الأسباب ، ولو انه من قبل المخلوق إلا انه مقيّد بالمشيئة حتى الخطوة يخطوها ، حتى رمشة العين يرمشها ، حتى لقمة العيش يطلبها. كل ذلك ، وغيره من الأسباب لا يتم إلا بمشيئة الله . وبالنسبة للمسببات فهي أيضا مقيدة بالمشيئة الإلهية. وبعبارة أخرى وبالنسبة لتحقق المسببات ، ولو انه من قبل الخالق إلا انه ليس واجبا عليه، إن شاء وهب ، وإن شاء منع ، "لا يسال عما يفعل وهم يسألون" الأنبياء آية ٢٣.

وزبدة القول بالنسبة لقوله "وهزي ": إن تعاطي الأسباب هو من قبل المخلوق، وعلى سبيل الإلزام، ولكنه مقيد بالمشيئة الإلهية، ولا يتم إلا بمشيئة الله؛ وإن تحقق المسببات فهو من قبل الخالق، ولكن ليس على سبيل الإلزام، ولا يتم إلا بمشيئته.

ومحصلة كل ذلك فان قوله تعالى :"وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا" يوصل نظرية الأسباب ، والمسببات ، ويجعل الإنسان مرتبطا بها في حياته، يحكمه قانون السببية في تفسير أموره الدنيوية المادية، والأخروية الروحية؛ على اعتبار أن قانون السببية هو سنة الله في عباده يجب أن يلتزموا به ، ولا يخرجوا عنه.

فبالنسبة لسببية الأمور المادية الدنيوية – فان قانون الأسباب ، والمسببات يقتضي أن يأخذ الإنسان بسبب السعي حتى يتحقق له مسبب الرزق ، وأن يأخذ بسبب العمل حتى يتحقق له مسبب التوفيق ، وأن يأخذ بسبب النجاح حتى ينجح ، وأن يجد حتى يتفوق ، وأن يجتهد حتى ينال ، وأن يواظب حتى يصل ، وأن يتقن حتى يفوز ، وأن يزرع حتى يحصد ، وأن يصنع حتى ينهض ، وأن يتاجر حتى يربح ، وأن يلعب حتى يقوى ، وأن يأكل حتى يعيش ، وأن يتداوى حتى يشفى ، وأن يتقوى حتى يصح وأن يلبس حتى يستر ، وأن يبني حتى يسكن ، وأن يتنقل حتى يستفيد ، وأن يسافر حتى يصل ، وأن يقرا حتى يتعلم ، وأن يتزوج حتى ينجب.

وبالنسبة لسببية الأمور الروحية الأخروية – فان قانون السببية يلزم الإنسان أن يأخذ بسبب العبادة حتى يتحقق له مسبب الغفران ، وأن يأخذ بأسباب الدعاء حتى يحقق له مسبب الاستجابة ، وأن يستغفر حتى يغفر له ، وأن يطيع حتى يفوز ، وأن يتصدق حتى يفلح ، وأن يهاجر في سبيل الله حتى يكون من الصادقين ، وأن يتوب حتى يتاب عليه ، وأن يتقي الله حتى يجد له مخرجا ، وأن يزهد حتى يقنع ، وأن يقنع حتى يشبع، وأن يفعل الخير حتى يفلح ، وأن يصدق حتى يكون من الأبرار ، وأن يتطهر حتى تتحقق له أسباب القبول ، وأن يحب في الله حتى يرضى الله عليه، وأن يكثر من النوافل حتى يتحقق له سبب القرب إلى الله ، وأن يقنت لله حتى يصح قنوته، وعبادته، وأن يزكي حتى تتحقق له البركة ، وأن يقضي حوائج الناس حتى تقضى حوائجه ، وأن يتقي الفتنة حتى يتحقق له

مسبب النجاة ، وأن يسدي المعروف حتى يفوز ، وأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر حتى تتحقق له مسببات الإيمان.

نحمده تعالى أن ابتلانا بتعاطي اسبابنا التي خلقها الله لنا في دنيانا ، سواء أكانت مادية ، أم روحية ، ونحمده تعالى أن أحاط القيام بها بمظاهر التعب ، والنصب، والكد ، والمشقة ، والإعياء ؛ لنؤجر عليها ، وليختبر الآخرين بها في الخير ، أم في الشر.

إن خلق الأسباب هو من الله تعالى ، فهو الخالق ، ولا أحدا سواه ، وأما تعاطي الأسباب : فان كان في الخير ، فهو من الإنسان فاعلة ، وبتوفيق من الله ، وإن كان في الشر ، فهو من الإنسان فاعله ، وشيطانه ، مصداق قوله تعالى :"قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي" سبا آية ٥٠ .

وكذلك إن خلق المسببات من الله تعالى ، فهو الخالق ، ولا أحدا سواه . وأما تحققها فان كان خيرا أو حسنا فهو بتوفيق من الله ، وإن كان شرا ، أو سوءا فهو جزاء من الله ، وبسبب فاعله الإنسان ؛ لان الله لا يرضى لعباده السوء ، ولا يظلمهم.

مصداق قوله تعالى :"ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" النساء آية ٧٩.

ونحمده تعالى أننا نعيش حتى في الجنة بأسبابه التي خلقها لنا لا بأسبابنا ؛ حيث أن أسباب الله لا ترافقها مظاهر التعب ، والنصب ؛ لأنها أسباب جزاء ، وليس أسباب ابتلاء ؛ ولذلك يكون تعاطيها هينا ، وتكون مسبباتها اكثر سهولة ، واكثر متعة.

فأهل الجنة الآخذين بأسباب المتعة ، والرزق ، والحياة ، والتجوال فيها :"لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين" الحجر آية ٤٨ .

ولا يعذبون :"ووقاهم عذاب الجحيم" الدخان آية ٥٦ .

ولا يموتون :"لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى" الدخان آية ٥٦ .

ولا تنتاب أسباب الحياة فيها مظاهر الحقد ، والغـــل ، والحســد ، والبغضـــاء ، والتنازع ، والتنافر، والخصام :"ونزعنا ما في صدورهم من غــل أخوانـــا علـــى ســـرر متقابلين" الحجر آية ٤٧ .

ولا تحاط أسباب الأكل ، والتمتع بالرزق فيها بمظاهر السعي النكد ، أو العمـــل الشاق. فرزق الجنة ميسر ، ومذلل ، ودان لأهلها . يشتهي الواحد منهم لحم الطير وهـــو في سماء الجنة ، فينزل أمامه مشويا ، فيأكله ، ثم يحيا ، ويجمع عظامه ، وريشه، ويطير ثانية.

"ولحم طير مما يشتهون" الواقعة آية ٢١ .

وفي الحديث الشريف :"انك لتنظر إلى الطير في الجنة ، فتشتهيه ، فيخـــر بيـــن يديك مشوياً" أخرجه ابن أبي حاتم.

ويشتهي الواحد من أهل الجنة حبة الفاكهة، فتتدلى، وتدنو مـــن فمـــه، فيأكلـــها: "قطوفها دانية" الحاقة آية ٢٣. قال المفسر ابن جزي في التسهيل:"القطوف جمـــع قطـــف، وهو ما يجتنى من الثمار، ويقطف كالعنقود ، روي أن العبد يأخذها بفمه من شجرها وهـــو قائم ، أو قاعد ، أو مضطجع"(١) وقوله: "وذللت قطوفها تذليلا" الدهر آية ١٤ .

قال ابن عباس :"إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناولها ما يريـــد"(٢).

إن رزق الجنة من الأكل دائم لا ينقطع ، وغير ممنوع عن أحد من أهلـــها ، ولا يحتـــاج لسعي ، أو فلاحة، أو غرس ، أو زرع . "مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتـــها الأنهار أكلها دائم وظلها" الرعد آية ٣٥ "وفاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة" الواقعـــة آية ٣٢-٣٣ . ويشتهي أهل الجنة الشراب فلا يحتاجون إلى حفر الآبار ، وشق الأنـــهار ، وإنما يتيسر لهم بأسباب الله الهينة؛ فيؤتى، ويطاف به عليهم وهم مســـتريحون :"ويطـــاف

---

(١) ابن جزي - تفسير التسهيل لعلوم التنزيل - جـ٤ ص١٤٣ .

(٢) القرطبي - تفسير الجامع لأحكام الران جـ١٩ ص١٣٧ .

عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا" الإنسان آية ١٥.

"ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا" الإنسان ١٩

"يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكاس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون" الواقعة آية ١٦-١٩ .

أي يطوف على أهل الجنة غلمان مخلدون باقون على نضارتهم ، وشبابهم ، وطراوتهم ، وبهائهم ، وصباهم لا يهرمون ، ولا يموتون . قال القرطبي :"أي باقون على ماهم عليه من الشباب ، والنضارة ، والغضاضة ، والحسن لا يهرمون ، ولا يتغيرون ، ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة"(١) .

وقال أبو حيان :"وصفوا بالخلد – وإن كان كل من في الجنة مخلدا- ليدل على انهم يبقون دائماً في سن الولدان لا يتحولون ، ولا يكبرون كما وصفهم جل وعلا"(٢).

ويطوفون بشتى أنواع الشراب ، ومنه خمر الجنة ، على أهلها ، وفي أنواع من الأواني، ومنها الأكواب ، وهي الأقداح التي لا عرى لها . والأباريق وهي التي لها عرى، وسميت كذلك لبريق لونها . والكؤوس ، والكأس لخمر الجنة قال ابن عباس: "لم تعصر كخمر الدنيا بل هي من عيون سارحة" وقال القرطبي :"والعين الجاري من ماء أو خمر ، غير أن المراد في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون ، ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر ، وتكلف ، ومعالجة"(٣) .

---

(١) القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ١٩ ص ١٤١ .

(٢) أبو حيان – تفسير البحر المحيط – جـ٨ ص ٢٠٥ .

(٣) القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ١٧ ص٢٠٣ .

ولا يصدعون عنها أي لا تتصدع رؤوسهم من شربها، ولا ينزفون : أي لا يسكرون. قال ابن عباس :"في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول. وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة، ونزهها عن هذه الخصال الذميمة"(١) .

"مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير أسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم" محمد آية ١٥ .

إن ماء الجنة غير أسن ، أي غير متغير الرائحة كماء الدنيا ، ولذلك لا يحتاج لأسباب التطهير . قال ابن مسعود :"انهار الجنة تفجر من جبل من مسك"(٢) .

وإن لبن الجنة لا يتغير طعمه كلبن الدنيا ، ولا يحمض ، ولا يحتاج لحفظ خشية فساده ، وفي حديث مرفوع :"لم يخرج من ضروع الماشية"(٣) .

وخمرها جار يتلذذ بشربها أهل الجنة ، ولا تحتاج لأسباب عصر ، أو تخمير. وعسل الجنة مصفى لا يحتاج لتربية النحل ، أو أسباب التصفية من الشمع ، والشوائب قال أبو السعود :"عسل مصفى" أي لم يخالطه الشمع ، وفضلات النحل(٤) .

ولهم فيها من كل الثمرات. وفي حاشية زاده على تفسير البيضاوي :"وفي ذكر الثمرات بعد المشروب إشارة إلى أن مأكول أهل الجنة للذة لا للحاجة"(٥) .

---

(١) محمد علي الصابوني –تفسير مختصر ابن كثير حـ٣ ص٤٣٠ .

(٢) محمد علي الصابوني –تفسير مختصر ابن كثير حـ٣ ص٣٣٢ .

(٣) محمد علي الصابوني –تفسير مختصر ابن كثير حـ٣ ص٣٣٢ .

(٤) أبو السعود – تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم حـ٥ ص٧٤ .

(٥) البيضاوي – حاشية زاده على تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل جـ٣ ص٣٤٢ .

ومغفرة من ربهم : إشارة إلى مسبب الرضى الرباني ، وهو المغفرة ، وفي الحديث :"أهل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده أبدا" رواه احمد في مسنده.

قال الصاوي :"في الجنة ترفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ، ويشربونه ، بخلاف الدنيا ؛ فان ماكولها ، ومشروبها يترتب عليه الحساب ، والعقاب ، ونعيم الجنة الآخرة لها لا حساب عليه ، ولا عقاب فيه" وفي الحديث :"يلهمون التسبيح ، والتحميد كما تلهمون النفس" رواه مسلم .ويشتهي أهل الجنة الجلوس على الفرش المرفوعة فتتواضع لهم ، ويجلسون عليها ثم ترتفع بهم من غير حاجة للأخذ بأسباب الرفع ، والخفض لها. "وفرش مرفوعة" الواقعة آية ٣٤ وفي الحديث :"ارتفاعها كما بين السماء، والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسماية عام" أخرجه النسائي ، والترمذي. قال الالوسي :"ولا تستبعد هذا من حيث العروج ، والنزول ، فالعالم عالم آخر فوق طور عقلك"(١) .

ومن خير المسببات في الجنة نساؤها. تسهيل أسباب التمتع بها لا يحتاج إلى مهر، أو مال، أو سكن ، وغيرها. "وحور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون" الواقعة آية ٢٢-٢٣ أي الواسعات العيون السوداء كاللؤلؤ في الصفاء، والنقاء . قال ابن جزي : "شبههن باللؤلؤ في البياض ، ووصفه بالمكنون لأنه ابعد عن تغيير جنسه . وحين سألت أم سلمه رسول "صلى الله عليه وسلم" عن هذا التشبيه قال :"صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي"(٢) . "كأنهن الياقوت والمرجان" الرحمن آية ٥٢ . قال قتاده: "كأنهم في صفاء الياقوت ، وحمرة المرجان لو أدخلت في الياقوت سلكا ثم نظرت إليه لرأيته من ورائه"(٣) .

---

(١) الالوسي -تفسير روح المعاني - جـ ٢٧ ص١٤١ .
(٢) ابن جزي - تفسير التسهيل في لعلوم التنزيل جـ٤ ص٢٩ .
(٣) أبو حيان - تفسير البحر المحيط جـ ٢ ص١٩٨ .

الرابعة – حقائق علمية كونية أخرى متفرقة :

أولاً : حقيقة :"وقرآن الفجر" :

مصداق قوله تعالى :"أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً" الإسراء آية ٧٨.

وهكذا فان الحكمة الإلهية في التكليف بالأمر ، أو النهي ، والإتباع ، والترك تتجلى شواهدها في كل لحظة ، فما من آية ، وما من تكليف إلا وله حكمته المتأصلة في الخير، والنفع لهذا الإنسان المخلوق القوي الضعيف ، الهلوع ، الجاحد ، الجزوع، الكافر ، المنوع.

وتؤصل يقظة الفجر أجلّ ، وأسمى الحكم الربانية بالنسبة لصلاة الفجر بالفوز والفلاح في الدنيا ، والآخرة . إنّ منافع صلاة الفجر، ويقظته لا يستشعر بها إلا الإنسان المصلي المسلم ، المؤمن بربه ، العزوف عن عصيانه لا تلهيه مشاغل النهار، ولا سهرات الليالي عن الاستمتاع بيقظة الفجر يعبد فيها ربه ، ويشعر بحلاوة الإيمان، وعظمة القيام في الصلاة ، والتعبد ، والدعاء لله تعالى ، فتكون صلاة الفجر بالنسبة له خيرا من الدنيا ، وما فيها.

قال "صلى الله عليه وسلم" :"ركعتا الفجر خير من الدنيا ، وما فيها" رواه البخاري.

إن العلم الحديث ، وهو ينكر حكمة التعبد الروحي ، وقيام صلاة الفجر ، يخضع صاغرا ، مدهوشا أمام ما اكتشفه من حكم ، ومنافع ، وفوائد دنيوية ، وصحية، ونفسية ، وعصبية ، وذهنية ، وجسمية ، وعقلية ليقظة الفجر . وهنا تتجلى حكمة الأمر النبوي الصحية بالنوم المبكر في أول الليل ، والاستيقاظ المبكر في آخر الليل، وقبل طلوع

الشمس لتؤدي صلاة الفجر أي الصبح. وهنا تتجلى حكمة الأمر النبوي أيضا بعدم السهر بعد صلاة العشاء إلا للعلم ، وحيث اصبح الكلام بعد صلاة العشاء مكروها حتى ولو كان في الأصل مباحا ، وذلك حتى يكون آخر كلام المؤمن صلاته، ودعاؤه ، فلا يتكلم كلاما يخطئ فيه ، ويعصي ربه ، فينام بعد صلاته مغفورا له بإذن الله تعالى. وهنا أيضا تتجلى حكمة الآثار الصحابية ، والمتعلقة بفضائل صلاة الفجر. فلقد روي عن عائشة أم المؤمنين – "رضي الله عنهما" – قالت :"عجبت لمن لا يصلي الصبح كيف يرزق" حيث أن التبكير في طلب الرزق مبارك فيه ؛ لأنه يعقب صلاة الصبح ، ويكون المسلم المصلي قد دعى ربه لان يوفقه في يومه ؛ ولان طلب الرزق مبكرا فيه ربح للوقت ، والزمن ، فيكون كافيا لتحقيق اكبر الأرباح المادية . ولان طلب الرزق مبكرا فيه منافع صحية ، وجسدية ، وذهنية ، ونفسية تحفز المصلي المبكر على النشاط، والحركة ، والسعي الدؤوب ، فيوفقه الله، ويكسب الرزق ، ويحقق الأرباح المرجوة من سعيه مبكرا. ويتسم وقت النهار من يقظة الفجر إلى صلاة الظهر بالاتساع الكافي ، والضروري لطلب الرزق ، وهو وقت يتصف فيه الساعي المصلي بالنشاط الزائد ، والحركة الدؤوب . قال تعالى :"إن لك في النهار سبحا طويلا" المزمل آية ٧.

أي أن لك في النهار تصرفاً ، وتقلباً ، وعملاً ، وانشغالاً في شؤون الدنيا ، وطلب الرزق ، والعمل ، والسياحه. قال ابن جزي :"السبح هنا عبارة عن التصرف في الأعمال ، والأشغال ، والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك ، وتفرغ بالليل لعبادة ربك"[١] .

ومن السنة عدم النوم بعد صلاة الفجر ؛ لان نومه الصبح تمنع الرزق ؛ لان ذلك وقت يطلب الإنسان فيه رزقه ، وهو وقت قسمة الأرزاق ، ولذلك فنومه لحرمان إلا

لعارض ، أو ضرورة ، رأى عبد الله بن عباس - "رضي الله عنهما" - ابنا له نائما نـــوم الصبحة ، فقال له : قم ، أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق؟!! (٢) .

ويروي ابن قيم الجوزية في كتاب :"الطب النبوي" المأخوذ من زاد المعاد : "نــوم النهار خلق ، وخرق ، وحمق. فالخلق نومة الهاجرة "أي الظهر" وهو خلق رسول "صلــى الله عليه وسلم". والخرق نومة الفجر يشتغل عن أمر الدنيا ، والآخـــرة والحمــق نومــة العصر. قال بعض السلف من نام بعد العصر ، فاختلس عقله ، فلا يلومن إلا نفســـه"(٣) . وروى البعض : تنسموا الصباح قبل أن تدنسه أنفاس العاصين.

ولقد اصل العلم الحديث بعضا من يقظات الفجر الصحية ، ومنها :

١- اثبت العلم أن أعلى نسبة لغاز الأوزون في الجو تكون عند الفجر في آخر الليـــل ، وتقل مع طلوع الشمس تدريجيا. ولهذا الغاز فوائد صحية كبيرة لجســـم الإنســـان حيـث تعكس، وتمنع عنه أشعة الشمس فوق البنفسجية. ولذلك لا يمتع بهذه الفائدة إلا من استيقظ يقظة الفجر ، وصلى الصبح ، وخاصة إذا خرج من منزله إلى مصلاه في المسجد.

واثبت العلم أن الأوزون مفيد جدا للجهاز العصبي ، فـــهو ينشـط الأعصـــاب ، ويحفزها على ممارسة وظائفها بشكل طبيعي ، وبحيوية ، ونشاط.

وكذلك فان الأوزون مفيد للجهاز الفكري ، والذهنـــي ، ويحفــز الدمـــاغ علـــى الانتعاش ، وهو مفيد أيضا لعضلات الجسم ، فيحفزها على النشاط ، فتقوى ، وتشتد.

ولا شك أن الأوزون يتضاعف ، ويتكاثف مع نسمات الليل النقية ، ويقـــل مـــع نسمات النهار الملوثة. ولذلك فقد اكتشف رواد الفضاء الأمريكان وجود فتحة خاليـــة مـــن

---

(١) ابن جزي : تفسير التسهيل لعلوم التنزيل حــ٤ ص١٥٧ .

(٢) ابن قيم الجوزية - كتاب = زاد المعاد حــ٤ ص٢٤٢ .

(٣) ابن القيم - زاد المعاد - نفس المرجع حــ٤ ص٢٤٢ .

الأوزون في غلاف الأرض الخارجي ، وعزوا ذلك إلى كثرة تسرب الهواء الملوث من المصانع في الأرض ، والتي تعمل غالبا في أوقات النهار.

٢- اثبت العلم أن أعلى نسبة للكورتزون في الدم تكون عند يقظة الفجر قبل طلوع الشمس؛ فمن استيقظ لصلاة الفجر ، نعم بهذه النسبة العالية ، والتي تقدر من ٧-٢٢ مكروغرام لكل ١٠٠ ملغم بلازما؛ وتنخفض هذه النسبة إلى ٧ مكروغرام لكل ١٠٠ ملغرام بلازما في المساء.

والكورتزون مفيد جدا للجسم حيث ينشط الخلايا ، والأنسجة ، والأعضاء ، ويزيد من نسبة السكر المطلوبة في الدم ، فتتضاعف قوة الجسم ، وطاقته.

٣- اثبت العلم أن يقظة الفجر تساعد على منع الإصابة بمرض القلب ، وذلك لان حركة أعضاء الجسم ، واستنشاق الهواء النقي ، والأوكسجين يساعد على تأكسد المواد الدهنية ، وعدم ترسبها على جدران الأوعية الشريانية ، ومنها : الشرايين الإكليلية القلبية، وحيث ثبت علميا أن النوم الطويل ، وحتى شروق الشمس يسمح للمواد الدهنية أن تترسب على جدران تلك الشرايين، فتضيق ، وقد تنسد ، فتسبب مرض العصيدة الشرياني الذي يؤدي بدوره إلى التجلط ، والموت بالسكتة القلبية.

٤- اثبت العلم أن يقظة الفجر تساعد على توفير الفيتامينات للجسم ، وذلك لان الأشعة فوق البنفسجية التي يصاحب صدورها طلوع الشمس تحفز الجلد على صناعة فيتامين "د" و "جـ".

٥- اثبت العلم أن يقظة الفجر تساعد على توفير الحيوية، والنشاط، وتحفيز الجسم على الحركة الدؤوب، وذلك طيلة النهار؛ وكذلك تحفز خلاياه، وأعضاءه الذهنية، والعضلية، والعصبية، والنفسية على الحيوية، والتجدد ، ويظهر هذا جليا فيما تقوم به الأشعة الحمراء وقت طلوع الشمس من حفز، وإثارة للأعصاب، فتقوى وتنشط.

ومن هنا نلاحظ المكاسب الصحية ، والبدنية للمصلين الذين يقومون يقظة الفجر ، ويحافظون على صلاة الليل ، وهم وعلى قلة نومهم يتمتعون دوما بالحيوية ، والنشاط مما ينفي القول: بان طول النوم يهب الصحة ، والقوة ، وأن سهر الليل للصلاة ، ويقظة الفجر تضعف الصحة ، والجسم.

ويكفينا الإشارة في هذا المقام إلى أن يقظة الفجر يتمتع صاحبها بنوعين من الفضائل : دنيوية، وأخروية . أما الدنيوية – فجزاؤها الصحة ، والحيوية ، والنشاط ، ومقاومة الأمراض.

وأما الأخروية – فجزاؤها الثواب ، والأجر ، والغفران من الله ، وبمثل هذه المعاني ذكر الله القائمين يقظة الفجر للصلاة ، والتهجد ، والقيام ، والسجود ، والاستغفار فقال تعالى :"والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما" الفرقان آية ٦٤ .

وقال تعالى :"كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون" الذاريات آية ١٧–١٨ وقد كرم الله يقظة الفجر ، وأصحابها المصلين على غيرها من أوقات الصلاة الأخرى بان جعل صلاة الفجر مشهودة من قبل الملائكة يستغفرون للذين يؤدونها من أمة محمد "صلى الله عليه وسلم". وقد وصفها الله تعالى بأنها قرآن الفجر تعظيما لها ، فقال :"وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا" الإسراء آية ٧٨ وقرآن الفجر هي صلاة الفجر أي الصبح ، وكما ورد في الحديث :"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار، فيجتمعون في صلاة العصر ، وصلاة الفجر ..... " .

ولقد ذكرت السنة النبوية فضائل يقظة الفجر لصلاة الصبح الروحية ، والثوابية ، وبنصوص عديدة فيها قوله "صلى الله عليه وسلم" :"من صلى الصبح ، فهو من ذمة الله ، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشيء" رواه مسلم عن جندب بن سفيان "رضي الله عنه" .

وقوله "صلى الله عليه وسلم" :"لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها" يعني الفجر ، والعصر . رواه مسلم عن أبي زهير عمارة بن رويبة "رضي الله عنه" .

وقوله "صلى الله عليه وسلم" :"من صلى البردين دخل الجنة" البردان : الصبح، والعصر . متفق عليه . وقوله "صلى الله عليه وسلم" :"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، يجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ، وهو اعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم ، وهم يصلون ، وأتيناهم ، وهم يصلون" متفق عليه.

ثانياً : حقيقة :"ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال"

مصداق قوله تعالى :"ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال" الكهف آية ١٨ . ولله في كل آية حكمه ، وحكمته تعالى في تقليب أهل الكهف الراقدين فيه حتى لا تأكلهم الأرض ، والتي تأكل الأجساد ، والجيف الثابتة غير المتحركة . وإن نوم أهل الكهف ثلاثماية وتسع سنين لكفيل أن يسمح للأرض أن تاكلهم إن لم يتحركوا؛ فالأرض تحتوي على عوامل، وأسباب التآكل للأجسام الراقدة عليها ، وفيها : كالرطوبة ، والتحلل العضوي ، والفيروسات ، والبكتيريا، والجراثيم ، والحشرات . ومن هنا تجلت الحكمة الربانية في تقليبه لهم ، وتحريكه لهم حفظا لهم من التعفن ، والتحلل ، والتآكل. ، والله تعالى قادر على أن يحفظهم من كل ذلك دون أن يقلبهم ، ولكن السنن الإلهية في هذا الكون اقتضت أن يخلق الله الأسباب لتحدث المسببات؛ تعليما لبني آدم ، وتذكيرا بضرورة الأخذ بالأسباب ، أسباب الحفظ، والحماية من التعفن ، والتآكل، وعلى رأسها ضرورة تحريكها ، وتقليبها حتى تحفظ الأجسام من التآكل ، والتعفن ، ومن ثم الموت. وبالنسبة لأهل الكهف

فقد تولت العناية الإلهية تقليبهم ، وتحريكهم ؛ لأن أمرهم في رقادهم وكل إلى ربهم؛ ومن اجل ذلك قال :"ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال" وقد اثبت العلم حديثا أن التقليب يمنع الأمراض مثل قرحة الخشكريشات ، والتي تصيب الجلد ، والأنسجة الثابتة بسبب نقص التروية الدموية في خلايا الجسم الملاصقة للأرض ، وبسبب عوامل الضغط بين الجسم اللين ، الطري ، وبين الأرض الصلبة ، ومن أمثلة القرح ؛ قرحة العنق، والظهر ، والعجز ، والالية ، والتي تبدأ بالتشكل عادة بعد مرور اثنتي عشر ساعة من النوم دون تقلب ، أو تقليب.

ثالثاً : حقيقة :"لتكون لمن خلفك آية" .

مصداق قوله تعالى :"فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون" يونس آية ٩٢ .

إن **حقيقة "لتكون لمن خلفك آية"** تؤصل المعجزة الإلهية المتمثلة في حفظ الله لجثة فرعون من التعفن ، والتآكل ، وإبقائها سليمة ؛ لتكون عظة ، عبرة لجميع الناس، وعلى رأسهم من هم على شاكلة فرعون من الحكام الظالمين الطاغين المتكبرين.

قال ابن عباس :"إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون ، فأمر الله البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح ، ليتحققوا موته ، وهلاكه"[1] .

إن حقيقة مومياء فرعون، والمعروضة الآن في المتاحف ليراها الناس إن هي إلا آية ربانية حفظها الله تنفيذا لوعده الذي وعده لفرعون ، وتضمنه قوله :"فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" وذلك عندما اسلم فرعون لحظة أن أدركه الغرق ، فلم ينفعه إسلامه . نعم ولتكون جثته عبرة لغيره من الجبابرة ، والعتاه الذين يظلمون الناس دون

وجل من الله ، ودون وخز من ضمير ، والقائلين ، والمتفوهين مقولات فرعون "يا أيـــها الملأ ما علمت لكم من اله غيري" القصص آية ٣٨ وقوله :"أنا ربكم الأعلى" النازعات آية ٢٤ . قال ابن عباس :"كان بين المقولتين أربعون سنة ، وكذب عدو الله بل علم أن له ربـا هو خالقه ، وخالق قومه"(٢) .

إن حقيقة "لتكون لمن خلفك آية" تؤصل معنيين اثنين أحدهما مــادي، والآخــر روحي ، وكلاهما يدخل ضمن حكمة هذه الحقيقة في ضرورة الاتعاظ ، والاعتبار.

أما المعنى المادي – فيتمثل في اتخاذ الأسباب لتحقيق المسببات ، ومن اجــل أن تتحقق الحكمة بان تبقى جثة فرعون سليمة غير متعفنة ، ولا متحللـــة ألــهم الله أطبــاء فرعون ، وغيرهم فن التحنيط ، وعلمهم أسباب حفظ الجثث ، وهداهم إلى وســائل تقنيــة كيميائية يحفظون بها جثث الفراعنة ، وحيث انهم نبغوا فيه ، ولا يزال فن تحنيطهم يبــهر العلماء ، والأطباء إلى يومنا هذا .

إن حقيقة "لتكون لمن خلفك آية" بجانب كونها حقيقة روحية ، فهي أيضا حقيقــة مادية صناعية، دوائية ، تحنيطية ترتبط بحكمة الله في خلقه للأسباب المحققة للمسببات. إن الله تعالى قادر على حفظ مومياء فرعون دون فن التحنيط، ودون تدخل من أحد من خلقه. ولكن مشيئته اقتضت أن يؤخذ بالأسباب ، ومنها فن التحنيط لتحقق المسببات، ومنها بقاء ، وحفظ مومياء فرعون سليمة ليراها الناس عبر القرون.

وأما المعنى الروحي – فيتمثل في اتخاذ العظات ، والعبر . ومن اجل ذلك حفــظ الله مومياء فرعون سليمة غير متعفنة ليتوب الظالم إلى ربه متابا ، ويزداد المؤمن إيمانا . إن آية :**"لتكون لمن خلفك آية"** هي في حد ذاتها حقيقة معصية لله يراها النــاس يوميــا ،

---

(١) محمد علي الصابوني – مختصر ابن كثير حــ٢ ص٢٠٦ .

(٢) القرطبي – تفسير الجامع لأحكام القرآن جــ١٣ ص٢٨٨ .

وهم يرون جثه فرعون مسجاة في بيت زجاجي في المتحف الوطنـــي المصـــري بقلـــب القاهرة . وتحقيقا لحكمة الله في جعل مومياء فرعون آية للناس، ألـــهم الله عـــالم الآثـــار "لوريت" فاكتشف قبر فرعون موسى "منفتاح بن رمسيس" واستخرج جثته ، وهو القـــائل لموسى في الآية الربانية حسب تقديرات العلماء :"قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا مـــن عمرك سنين" الشعراء آية ١٨ .

وإن منفتاح ، وغيره من فراعنة مصر الجبابرة تتناولهم حقيقة :"لتكون لمن خلفك آية" عظة ، وعبرة لغيرهم. لقد بغى فراعنة مصر في الأرض، فذبحوا أبناء بني إسرائيل، واستحيوا نساءهم . وفي مقدمة هؤلاء الفراعنة الفرعون "رمسيس" وقد تكهن كهنته مـــن رجال الدين انه سيولد ولد من بني إسرائيل سيقتله ، ويأخذ ملكه ؛ من اجل ذلك أمر بقتـــل كل مولود يولد من بني إسرائيل، ولكن المشيئة الإلهية حفظت مولودا منهم ســـيكون زوال ملك فرعون على يديه ، وهو موسى عليه السلام ، فالتقطه فرعون مصر مـــن البحـــر ، ليكون له عدوا، وحزنا . ومن بعده تابع ابنه الفرعون "منفتاح بن رمسيس" مسيرة الظلـــم التي استنها له أبوه من قبله ، وكما قيل: من شابه أباه فما ظلم ، فلحق بموسى، وقومـــه، وطارده ليقتله ، فأغرقه الله في بحر القلزم ، وهو خليج السويس حاليا "حتـــى إذا أدركـــه الغرق قال أمنت انه لا اله إلا الذي أمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين" ولكن إسـلامه لم ينفعه ، ولم يقبل منه ، وخاطبه ربه قائلا :"الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفســدين ، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" قال ابن عباس :"جعل جبريل – عليه الســـلام – في فم فرعون الطين مخافة أن تدركه الرحمة"(١) .والمراد بالرحمة النجاة من الغرق ، كما هو طلب المخذول دوما ، والذي يخاف من الموت.

---

(١) الطبري – تفسير جامع البيان – حـــ١١ ص١٦٣ .

لقد اقتضت المشيئة الإلهية إغراق فرعون في البحر ، واقتضت في نفس الوقت نجاته ببدنه ، وحفظه سليما دون تعفن ، أو تحلل، أو تآكل ليكون لمن خلفه آية ليتعظ بها ، وليعتبر منها كل من هم على شاكله فرعون من الحكام العتاة المتجبرين ، والمتكبرين، والظالمين للناس في الأرض. وحتى تتحقق حقيقة :"**لتكون لمن خلفك آية**" فقد أخضعتها المشيئة الإلهية لقوانين السنن الإلهية في الكون، ومنها قانون السبب والمسبب . ومن هنا فقد يسرت العناية الإلهية نوعين من الأسباب ، **النوع الأول** منها ذاتي يتعلق بالأسباب المادية التي تحفظ مومياء فرعون من التعفن. **والنوع الثاني** بصري يتعلق بالأسباب المادية التي تيسر رؤية ، ومشاهدة مومياء فرعون.

النوع الأول الذاتي : ويتعلق بالأسباب المادية التي تحفظ مومياء فرعون من التعفن ، والتآكل، والتحلل ، والفناء ، والذوبان حتى يبقى بدنه سليما يراه الناس على مدار العصور ، والأزمان. وزيادة في إهانة فرعون ، وتحقيره، اقتضت المشيئة الإلهية أن يكون اختراع أسباب الحفظ هذه على أيدي بطانة فرعون من الكهنة ، والأطباء ، والعلماء، ومن صناعتهم ، وفنونهم ، ومنها فن التحنيط ، ونحت التوابيت الحجرية التي تحفظ بها جثث الفراعنة ، ومن أحجار البازلت القوية السوداء. وكذلك تشييد الغرف المغلقة ، وبناء الأهرامات . وحديثا فقد يسرت العناية الإلهية أسبابا أخرى لحفظ الجثث الفرعونية بعد اكتشافها كالبيوت الزجاجية ، وأشعة الليزر التي تسلط على الجثث فتقتل ما علق بها من بكتيريا ، وجراثيم ، وتبقى أعضاء الجثة قوية، متماسكة تقاوم كل تأكسد، وتعفن، وتحلل ، وتتحقق بالتالي حقيقة :"**لتكون لم خلفك آية**" محوطه بقانون أسباب حفظها لتؤتي أكلها ، وعظاتها ، ولتكرس عبرها لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورا.

النوع الثاني – البصري : ويتعلق بالأسباب المادية التي تمكن من رؤية مومياء فرعون ، ومشاهدتها بالعين المجردة من قبل ممن سيأتي خلفه من الناس ليصدقوا بحقيقة:

"لتكون لمن خلفك آية" وليتعظوا ، ويعتبروا ، فيتوب الظالم إلى ربــــه متابــا ، ويــزداد المؤمن إيماناً .

لقد يسرت المشيئة الإلهية قديما ، وحديثا أسبابا مادية عديدة تيسر سبل الوصول ، والنظر إلى جثث الفراعنة ، ومنها أسباب اكتشافها من الآلات ، والماكينـــات، وأســباب المواصلات من الدواب، والسيارات ، والطائرات، والسفن ، والبواخر ، وأسباب التصويـر من أدوات النقل الظلي، والتقاط الصـــور ، وآلات التصويـــر الشمســـي ، والكـــهربائي ، وأسباب البث من أجهزة الفيديو ، والتلفزيون ،وأجهزة الإعلام الآلي ، وغيرها من وســائل النظر ، والرؤى ، والمشاهدة ، والبصر ، والتي مكنت ، وما تزال تمكن ملايين الأفـــراد من النظر إلى ورؤية فراعنة مصر ، والمسجاة الآن في بيوت زجاجية ، معروضة فـــي دور العرض ، والمتاحف ، والصالات ، والقاعات العديدة في القـــاهرة ، وفـــي المـــدن المصرية الأخرى ، والى درجة أن أصبحت الجثث الفرعونية في هذه الأيام محط أنظـــار شعوب العالم جميعها تروج لمتعة مشاهدتها وسائل الإعلام الحديثة بكل ثقلـــها ، وبحيـــث تحولت متاحف الجثث الفرعونية إلى مزارات ، ومواسم سياحية يقصدها الناس مـــن كـــل بقاع الأرض مصطحبين معهم العملات النقدية الصعبة تـــدر الملاييـــن علـــى الخزينـــة المصرية كل سنة، فيكون فرعون قد أغنى الناس بعد مماته بعد أن أفقرهم فـــي حياتـــه ، فصدقت فيه مقولة ربه: **"لتكون لمن خلفك آية"** .

هذه الآية لم تنته بعد ، وثابتة بثبوت جبل أحـــد ، وصـــامدة بصمـــود المســـجد الأقصى، وتبقى تجر بذيلها على من هم على شاكلة فرعون ، ويشـــبهونه مـــن الحكـــام الظالمين في مختلف العصور ، والى قيام الساعة ، والذين يرفعون شعارات فرعون فـــي الظلم ، والجبروت كقوله :"ما علمت لكم من اله غيري" " وأنا ربكم الأعلى" و "ما أريكـم

إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" و "يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلــغ الأســباب أسباب السموات فاطلع إلى اله موسى وإني لأظنه كاذبا" .

وما اكثر فراعنة القرون من بعد فرعون موسى ، ومنها قـــرن جاهليــة القــرن العشرين ، ولكنهم أي الواحد منهم وكثير هم لم يتوبوا عندما ادركهم الموت ، واســـتمروا يظلمون الناس ، ويمسكون في أيديهم سياطا كأذيال البقر يضربون بها الناس حتى والـــى آخر قطرة من حياتهم . قديما قتل أبو جهل أبو الحكم عمرو بن هشام في غـــزوة بــدر ، وكان بإمكانه أن يسلم عندما كان ينازع الموت ، ولكنه لم يفعل فقال الرسول "صلــى الله عليه وسلم" :"انه اشد من فرعون"، لقد مات فراعنة القرن العشرين ولــم يتوبــوا ، ولــم يسلموا ، فأخذهم الله اخذ عزيز مقتدر ، وأصبحت مصائرهم ، وأضحت نهاياتهم حكايات، وعبرا لمن بعدهم تتناولهم حقيقة :**"لتكون من خلفك آية"** وتجر بذيلها عليهم إلى حد بعيـد ، فقد حنطت جثثهم ، ووضعت في المتاحف ، ودور العرض يقصدهـــا النـــاس ، ويراهـــا الملايين منهم كل يوم ، وشهر ، وسنة ، وقد صورت أبدانهم ، ونحتت من الأحجار تماثيل لهم زينت بها كثير من الميادين، والساحات ، والشوارع ، والحدائق في المدن العديـــدة ، وذلك ليتذكرهم الناس على مساوئهم ، فلا يترحمون عليهم ، وحتى تبقى حقيقــة :**"لتكــون لمن خلفك آية"** تتناولهم ، وتحتضنهم بين جنباتها مع الفراعنة القدامى ليحاكموا ، ويقتــص منهم على ما اقترفوه من ظلم ، وجرائم بحق شعوبهم يوم القيامة.

إن حقيقة :**"لتكون لم خلفك آية"** تجر بذيلها على فراعنة القرن العشــرين، وفــي مقدمتهم زعماء الإلحاد : أمثال : لينين ، وستالين ، وماوتسي تونغ ، وزعماء الظلم أمثــال :مصطفى كمال اتاتورك ، وهيروهتيو ، ونهرو ، وتيتـــو ، وهيلاسلاســي ، وفـــاروق ، ونوري السعيد، ومحمد رضا بهلوي شاه إيران ، وغيرهم كثير جعل الله نهاياتهم المحتومة آيات لمن خلفهم ؛ فمنهم من فتك به شعبه ، وسحل جثته في الشوارع ، ومنهم من أماتـــه

الله بأمراض لم يجد الطب لها علاجا ، ومنهم من احرقه الله بناره بعد مماته ، وقبل دفنه تقدمة ، بحرقه بنار جهنم، والتي وكما ورد في الحديث الشريف إنها أحر من نار الدنيا بسبعين مرة.

في هذا القرن بغى فرعون فارس شاه إيران ، وافسد في الأرض ، وقتل شعبه، وأفقره ، ووالى الكفار ، وجعل من نفسه تبعا لهم ، وسخر خيرات بلاده لهم ، فكانت نهايته المحتومة آية لكل حاكم ظالم في هذا العصر ، ولمن خلفه . وعندما ثار عليه شعبهم، وعزله ، واستولى على ملكه تخلى عنه أسياده الصليبيون ، واليهود ، ولم يسمحوا له حتى بالإقامة في بلدانهم ، واخذ يتنقل من بلد إلى آخر، ولم يجد من يؤويه إلى أن انتهى به المطاف في القاهرة ، ويموت فيها ، ويدفن في نفس الغرفة ، التي دفن فيها أبوه من قبل في مسجد الرفاعي ، والذي سار على منواله في الظلم ، فلقي نفس مصيره ، فاعتبروا يا أولي الأبصار إن حقيقة :**"لتكون لمن خلفك آية"** ستبقى آية على مصير كل فرعون ظالم إلى قيام الساعة.

رابعاً – حقيقة الختان :

يعرف الختان بأنه قطع بظر الأنثى كله أو بعضه ، وقطع جلدة قلفه عضو الذكر التناسلي (القضيب).

والبظر الأنثوي أو الذكري يتكون من شعيرات دموية ، وعصبية عديدة مما يجعله اكثر حساسية ، وهياجا بالاحتكاك ، أو المؤثرات ، والحوافز العاطفية ، والجنسية . والبظر عادة يزيد في تهيج الأنثى لأقل ملامسه له، فيبعث فيها نشوة الجنس، وشبق العاطفة ، وثوران الغريزة الجنسية . ومن هنا فان ضرورة الختان اقتضتها ضرورة تخفيف الشبق الجنسي ، والهيجان الغريزي عند الأنثى إلى حد أن يحفظ عليها حياءها.

وتقول الروايات أن سيدنا إبراهيم ولد مختونا ، وانه اختتن سيدنا إسماعيل ، وأن النبي "صلى الله عليه وسلم" ولد مختونا[1] ، وفي رواية أخرى : أن إبراهيم اختتن نفسه بقدوم عند بلوغه ثمانين سنة .

وقد ورد في السنة الشريفة أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" حض على الختان. فقال : "سنة للرجال مكرمة للنساء".

وقال لأم حبيبة – وكانت امرأة مهاجرة تختتن النساء الجواري :"يا أم حبيبه ..... هل الذي كان في يدك اليوم؟ فقالت أم حبيبة : نعم يا رسول الله ..... إلا يكون حراما، فتنهاني عنه؟! قال : بل حلال فادن منيّ حتى أعلمك ، فدنت منه أم حبيبة فقال لها : يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكي ، فانه أشرق للوجه ، وأحظى عند الزوج" .

وقال "صلى الله عليه وسلم" :"خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر" رواه جماعه السنة عن أبي هريرة.

---

(١) تفسير القرطبي جـ١ سورة البقرة . وفي رواية أن الرسول "صلى الله عليه وسلم"، قال: "اختتن إبراهيم بعدما أتت عليه ثمانون سنة ، واختتن بالقدوم" رواه البخاري عن أبي هريرة.

موقف العلماء من الختان : أوجب الشافعية الختان للجنين الذكـــر ، والأنثـــى ، وأنكر شيخ الجامع الأزهر محمود شلتوت الختان.

وأوجب الحنابلة الختان للذكور فقط دون الإناث ، ويرى المالكيـــة، والحنفيـــة أن الختان سنة مستحبة استنادا إلى قوله "صلى الله عليه وسلم" :"سنة للرجال مكرمه للنساء".

ولنا القول : بوجوب الختان للذكر ، وسنة الاستحباب للأنثى عند الضرورة.

فبالنسبة للذكر: فالختان يعين على طهارة العضو الذكري ، ونظافته بقطع القلفة ، وتخليص العضو من القاذورات ، والأوساخ التي تحتويها القلفة عادة.

وأما بالنسبة للأنثى: فان الختان سنة مستحبة ، ولكن يجب أن يكـــون بـــاعتدال، وذلك دون استئصال البظر كاملا ليضمن للأنثى حق استمتاعها بالجنس ، أو تركه وعـــدم إجرائه للأنثى.

فالرسول "صلى الله عليه وسلم" لم يحرم الختان ، ولم يبحه على الإطلاق ، وإنمـا حض عليه باعتدال كما ورد في حديث أم حبيبة ، بل لم يوجبه . وقد فسر بعض العلمـــاء قوله لام حبيبة :"يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكي" انه "صلى الله عليه وسلم" كان يـــود لو تركت ختان الجواري.

ولنا القول أيضا: إن درجة ضرورة اختتان الأنثى تتوقف عادة علـــى الأحـــوال والظروف الصحية ، والمناخية ، والبيئية ، والاجتماعية التي تعيشها . حيث ثبت أن بعض الظروف ، والأحوال تلك ، وخاصة في المناطق الحارة تزيد من شبق الأنثى ، وهيجانـــها جنسيا مما يقتضي ضرورة اختتانها . ولكن باعتدال، لأنه لا يجوز بأي حال من الأحـــوال قطع بظر الأنثى بصورة كاملة ، وحرمانها من حق التمتع الجنسي مع زوجها . فهي فـــي هذه الحالة تصاب بالضيق ، والملل، والعصبية، والنفور من العمليات الجنسية مما تنعكس أثاره الضارة على علاقتها مع زوجها.

خامساً – حقيقة "وإن كنتم جنباً فاطهروا" :

وهي حقيقة القيم الصحية للنظافة ، والطهارة:

تبلور هذه الحقيقة الحكمة الشرعية الإلهية ، والنبوية ، لعوامل النظافة ، والطهارة في صحة البدن ، وحمايته من الأمراض الفتاكة.

قال تعالى :"إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"[١] .

وقال تعالى :"فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين"[٢] .

وتتجلى في هذا المقام حكمة فرضية الطهارة من النجاسة أي الجنابة ، وحكمه فرضية الوضوء كشروط لصحة الصلاة.

قال تعالى :"وإن كنتم جنبا فاطهروا"[٣] .

وقال تعالى :"وثيابك فطهر"[٤] .

وقال تعالى :"يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين"[٥] .

وفي الحديث الشريف أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" قال :"النظافة تدعو إلى الإيمان" رواه الطبراني . وقال أيضا :"الطهور شطر الإيمان" رواه مسلم.

وقال أيضا :"الطهارة نصف الإيمان" رواه احمد.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٨ .

(٣) سورة المائدة آية ٦ .

(٤) سورة المدثر آية ٤ .

(٥) سورة المائدة آية ٦ .

وقال أيضا : "لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء" رواه مالك ، والشافعي.

وقال أيضاً : "السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب" رواه احمد ، والنسائي ، والترمذي.

قواعد صحية في النظافة توصلها السنة النبوية ، ويعترف بها العلم الحديث.

وقال رسول "صلى الله عليه وسلم" :"خمس من الفطرة : الاستحداد ، والختان، وقص الشارب ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر" رواه الترمذي وقال أيضاً : "لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ، ولا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه" رواه مسلم وغيره.

"ونهى أن يبال في الماء الراكد" رواه احمد.

"ونهى أن يبال في الماء الجاري" رواه الطبراني.

الفوائد والقيم الصحية للنظافة ، والطهارة:

١- الوقاية من الإصابة بالأمراض المعدية : والتي تنتقل عن طريق التلوث الخارجي: كتلوث الجلد ، والأيدي ، والرجلين ، واهم هذه الأمراض : التيفوئيد ، والكوليرا ، والالتهاب المعوي ، وتسمم الطعام الجرثومي . ومن هنا يقتضي غسل الأيدي ، وأدوات التنظيف ، والأواني قبل الاستعمال ، وبعده.

٢- تخليص الجسم من الادران : فالطهارة تساعد على طرح المتوسفات الجلدية، والافرازات الدهنية ، والسموم الجلدية كالعرق ، وكذلك الغبار ، والأوساخ بحيث يبقى الجلد نظيفا.

٣- تنشيط الدورة الدموية : فالطهارة تفتح مسامات الجلد ، وتنشط الخلايا، والأعصاب ، وتنشط حركات القلب ، والدورة الدموية.

٤- تخفيف الاحتقان الدموي : فالطهارة تساعد على سرعة تدفق الدم ، وانتظام سريانه في الشرايين ، والأوردة ، فيزول الاحتقان الدموي في خلايا الجلد ، وفي الأعضاء التناسلية.

٥- تنظيم الوظائف الحيوية للجلد : فالطهارة بإزالتها للأوساخ ، والقاذورات من على الجلد تعمل على تفتح مساحات الجلد ، ومن ثم بعض الحيوية ، والنشاط في خلاياه ، مما يساعد الجلد على ممارسة نشاطاته الحيوية بكل انتظام ، كنشاطات الأحاسيس ، وتنظيم الحرارة .

٦- تحسين، وتنظيم الوظائف الحيوية للدماغ : فالطهارة تقوي عضلات الشرايين الدماغية ، وتحسن مناعتها ضد التمزق ، أو التلف ، أو النزيف.

٧- ترويض الجسم ضد الأعراض الدائية : فالطهارة ، والنظافة تحفزان حيوية الجسم بخلاياه ، وأعضائه ، وأجهزته مما يساعد على ترويضه ، وتكيفه في المناعة ضد الكثير من الأعراض الدائية المستوطنة : كالدوار ، والغثيان ، والقيء ، وزوغان البصر ، وضعف الذاكرة ..... الخ .

٨- الاطمئنان النفسي : بشعور الإنسان بالحيوية ، والقيم الصحية للنظافة، والطهارة فضلا عن شعوره بمناعته ، ووقايته من الأوساخ ، والقاذورات ، والأمراض ، فتزداد ثقته بنفسه، ويقبل على الحياة ، وممارسة النشاطات بكل ثقة ، وطمأنينة.

٩- تجديد خلايا الجسم : فالطهارة تساعد على تجديد خلايا ، وأنسجة الجسم المتهالكة، وذلك ببعث حركة التجديد ، وحفز الخلايا ، والأنسجة المعوضة الجديدة لتقوم بوظائفها؛ فضلا عن الارتياح ، والانتعاش الجسماني ،

والعضلي، والذهني ، والقلبي ؛ وهذا ما يشعر به الإنسان بعد الاغتسال . وهنا تتجلى حكمة الشرع الإسلامي في ضرورة الاغتسال بعد كل جماع.

١٠- تقوية الشعور الديني : وهذه سمة خاصة بالمسلم الطاهر النظيف ، حيث يباشر تطهير ، وتنظيف جسمه ، وثيابه ، وأمكنه تواجده كعبادة يؤديها طاعة لله تعالى.

سادساً : حقيقة : "فاعتزلوا النساء في المحيض"

قال تعالى :"ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"(١) .

والتحريم هنا وقتي ، وأثناء الحيض فقط ، فان زال الحيض، ارتفع التحريم.

ولقد اثبت العلم الحديث الحكمة الإلهية في تحريم نكاح الحائض ؛ لأنه يسبب أمراضا جسمانية ، ونفسيه ، ووراثية عديدة.

ولقد اثبت العلم أن أغشية الرحم المخاطية تتحقن وقت الحيض ؛ ولذا فان الاتصال الجنسي يحدث تمزقا شديدا في تلك الأغشية، فتتسبب الالتهابات ، وتعيش الفيروسات ، والميكروبات داخل الرحم ، وتنتقل إلى الرجل أثناء الجماع ، فيصاب بالتهابات الجهاز التناسلي ، والبولي ، وقد يمتد الالتهاب إلى الخصيتين ، وإلى الحويصلات المنوية ، وقد يُسبب الالتهاب احتقان ، وتلوث البروتستات ، مما يقلل من فرص الإنجاب.

وأثناء الحيض يكثر الدم في المهبل ، والجماع في الحيض يزيد من نزيف الدم؛ لأنه يخدش جدران المهبل الداخلية ، وبزيادة نزيف الدم يتحول العصير الحامضي (حمض

اللبن) إلى عصير قلوي مما يساعد على التلوث الجرثومي ، وبالتالي على حدوث التهابات مهبلية ، ورحمية قد تؤدي إلى العقم الذي يعالج في كثير من حالاتــه بــإجراء عمليــات النظافة للمهبل ، والرحم من الالتهابات ، والفيروسات ، والتخرشات ، والعصائر القلوية.

ولنا القول : بأن المرأة في حالة الحيض لا تكون مستعدة للنكــاح ، والمعاشــرة فهي تكون في حالة نفسيه ، وصحية متوترة ، وغير طبيعية مما يجعلها اكثر ابتعادا عــن الشهوة الجنسية ، والجماع ؛ ومن هنا فان نكاح الحائض يتعارض مع الفطرة الخلقية فــي النكاح ، والمعاشرة ، ومع الفطرة الإنسانية في المعاملة ، والمضاجعة.

وقد أبدع النص القرآني باستخدام كلمه "فاعتزلوا" بدل من ابتعدوا ، وذلــك نــهيا بالابتعاد الحازم ، والكلي عن معاشرة النساء الحائضات.

كما أن النص القرآني في استخدامه "ولا تقربوهــن" يوحــي بالنــهي الحــازم ، والجازم عن كل اقتراب.

سابعاً : حقيقة :"غربوا النكاح"

قال تعالى :"حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخــالاتكم وبنــات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة"(٢) .

وقال "صلى الله عليه وسلم" :غربوا النكاح" الحديث ضعيف.

وقال أيضا :"تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم" رواه ابن ماجــه في سننه . فالحكمة الربانية بتغريب النكاح تتمثل في :

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٢) سورة النساء آية ٢٣.

أ- التحريم المطلق للزواج من الأقارب الذين ذكرتهم النصوص القرآنية ، والنبوية حيث ثبت علميا الأضرار الخطيرة : الوراثية ، والنفسية ، والاجتماعية لهذا النوع من الزواج.

ب- تغريب النكاح بالزواج من غير الأقرباء ممن يحل الزواج منهم ، أو بهم.

أضرار الزواج من الأقارب :

١- تثبيت الأمراض الوراثية ، وانتقالها للذرية من الأولاد ؛ فدم الأقارب ينقل نفس الصفات ، والأمراض الكامنة فيهم بدلا من أن يقضي عليها.

٢- الإقلال من النسل : وقد يؤدي إلى العقم أحيانا – والشواهد كثيرة حيث أن الصفات الوراثية المتشابهة تقلل من فرص النسل ، أو تشجيعه ، وحيث أن الأمراض الوراثية تتكاثف ، وتقلل من فرص النسل أيضاً .

٣- كثرة الأمراض : التي تنتقل إلى الذرية مع الزمن ، وخاصة الأمراض الوراثية : كالصمم ، والخرس ، والبرص ، والسكر ، والضغط الدموي الحاد ، والضعف الجنسي ، والتهاب الشبكية الصاغي ، و ..... الخ .

٤- ترسيخ الأمراض الاجتماعية : فالزواج من الأقارب يرسخ الأمراض، والعادات الاجتماعية السيئة في الذرية . حيث أن الأمراض الاجتماعية المتمثلة في الزوجين القريبين تبقى كامنه فيهم ، وتنتقل إلى الأولاد ، والذرية ، وهذا عكس الزواج من غير الأقرباء يساعد على القضاء على مثل تلك الأمراض الاجتماعية المتفشية في العائلة الواحدة : كالخجل ، والكسوف ، والخمول ، والمشاكسة ، والانضواء ، وعدم ارتياد المجالس العامة ، والهيبة ، وعدم القدرة على مواجهة الأمور ..... الخ.

٥- إحداث التشوهات الخلقية : أي الجسمانية يساعد على تكونها الأمـــراض الوراثية ، والمتأصلة في الأقارب؛ فتنعكس في شكل صفات وراثية مرضيه ، وناقصة تلتصق بالجنين ، والوليد ؛ ومن هنا يلجا الطبيب الحديث إلى إجــراء فحوصات دموية بين الزوجين قبل الزواج للاطمئنان على ســلامة الصفــات الدموية.

ثامناً : حقيقة :"ولا تقربوا الزنى" :

قال تعالى :"ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا"[1] .

اثبت العلم الحديث حقيقة الحكمة الربانية في تحريم الزنا ، وذلك لتسببيه للكثير من الأمراض : الصحية ، والخلقية ، والاجتماعية ، والسلوكية ، والأمراض الوراثية.

وما من أمة تفشت فيها جريمة الزنى إلا وقد أنهكت ، وتفككت خلقيا ، واسريا، واجتماعيا ، وسرت فيها أمراض الزهري ، والسيلان التي تنهك أجهزة الجسم الهضمية ، والعصبية ، والدموية ، والتناسلية ، والبولية حتى أن مرض السيلان تستوطن فيروساته أعضاء الجسم التناسلية ، والبولية ، وتتعداها إلى العين ، والجلد ، وحتى المفاصل ، وبواسطة فيروس كونوكوك النشيط الفعال[2].

وأما مرض الزهري فتستوطن فيروساته المسببة لمرض السفلس، وأهمها : جرثومة حلزونية تسمى "سيروكيتا بالبديوم" الدماغ ، وقد تصيبه بالشلل ، أو الجنون[3]. فضلا عن القرح الجلدية المتمثلة بالبقع الحمراء.

ولقد أشار العالمان "باشلر" و "موريل" إلى أن تفشي الأمراض الزهرية إنما سببه هو الزنى، ويشير الدكتور "جون بستون" إلى أن معظم الأمراض الزهرية إنما سببها هو الصلات المشبوهة خارج الزواج.

وفي إحصائية تضمنها كتاب: "أعمال المؤتمر العالمي للزهري" دونت فيه أبحاث علماء من خمسين دولة اجتمعوا في شكل مؤتمر سنة ١٩٦٤ لبحث الأمراض الزهري

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٢.
(٢) د. عبد الرزاق الشهرستاني – المرجع السابق .
(٣) د. عبد الرزاق الشهرستاني – المرجع السابق .

تفشت في اكثر من ٧٠ دولة في الفترة من ١٩٥٠-١٩٦٠ ، وأكثرهـــا دول أوروبيـــة ، واقلها دول شرق البحر المتوسط.

ولقد بلغت إصابات السفلس في أمريكا سنة ١٩٥٧ م ٧٦٠٠ إصابة زادت إلـــى ٢٠,٠٠٠ إصابة ســـنة ١٩١٦ م ولقـد بلغـت إصابـات مـرض السـيلان "التعقيبـة" (١٠٠٠,٠٠٠) مليون إصابة سنويا في أمريكا لوحدها ، وقد قدرت إصابات السفلس فـــي العالم سنة ١٩٥٣ (٢٠,٠٠٠.٠٠٠) عشرين مليون إصابة[1] .

أمراض الزنى : أهمها :

١- السفلس .

٢- السيلان.

٣- التهاب المهبل بالشعرية المهبلية.

٤- القرح اللين.

٥- الورم الحبيب الاربي.

٦- النمو البلغمي الالتهابي الجنسي.

٧- الزهري .

٨- السيدا أو الإيدز.

١- السفلس :

تعريفة : هو اخطر الأمراض الزهرية على الإطلاق . تسببه جرثومـــة لولبيـــه شاحبة شبيهة بالأفعى في شكلها ، وحركاتها ، وخبثها.

أنواعه : وهما نوعان :

النوع الأول : السفلس المكتسب.

النوع الثاني : السفلس الولادي أو الجنيني.

---

(١) د. نبيل الطويل كتاب : الأمراض الجنسية.

النوع الأول :

السفلس المكتسب : وتسببه الجرثومة اللولبية الشاحبة ، والتي تعيش في الجسم المصاب ثلاثة أسابيع لا تظهر فيها أعراض الإصابة ، وتسمى بفترة الحضانة ، ومراحل السفلس المكتسب ثلاث :

المرحلة الأولى – السفلس الأولي : وأعراضه ثلاثة هي :

أ- القرح : ويظهر مكان العدوى ، ويصيب ٩٠% من الأجهزة التناسلية في الرجل ، و المرأة على حد سواء.

ب- ضخامة العقد البلغمية الناحية.

جـ- انتشار اللولبيات الشاحبة في القرح ، والعقد البلغمية.

المرحلة الثانية – السفلس الثانوي : وأعراضه ثلاثة هي :

أ- الآفات الجلدية المخاطية : حيث تهاجم اللولبيات الشاحبة الخلايا الجلدية المخاطية ، فتسبب البقع ، والتقرح ، والورم ، وتظهر الآفات المخاطية على اللسان ، والشفتين ، والأعضاء التناسلية ، وتظهر أمراض الطلاء الأبيض على اللسان ، والتي قد تسبب سرطان اللسان ، ومدة الإصابة في هذه المرحلة من ٣-٤ سنوات.

ب- الإصابات الداخلية : وتصيب الكبد ، والطحال ، والكلية ، والسحايا ، والحنجرة، والدماغ؛ وخطرها يكن في خفايها ، وقد تظهر فجأة، ويكون خطرها عنيفا.

جـ- الاضطرابات العامة : مثل : الانحطاط العام ، والصداع ، والآلام ، والارتفاع الحراري.

المرحلة الثالثة – السفلس المتأخر – ويسمى الثالثي ، وأعراضه هي :

أ– إصابات الجلد حيث تتحول إلى درنات ، وندبات ، أو صموغ ، ومدة هذه الإصابة من سنة إلى ٢٠ سنة تحدث خلالها التهابات عنيفة داخل أعضاء الجسم.

ب– الإصابات الحشائية : حيث تتغلغل الفيروسات داخل الأعضاء الداخلية للجسم مثل : الكبد، والطحال ، والكليتين ، والخصيتين ، والمعدة.

جـ– سحايا الدماغ : تنهك الفيروسات اللولبية حجيرات الدماغ فتسبب الشلل ، والصداع حتى الموت.

النوع الثاني :

السفلس الولادي أو الجنيني :

ويصيب الجنين منتقلا عن أمه المصابة بداء السفلس . مراحله، له ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى – الإصابة الجنينية : وهي إصابة مبكرة تصيب الجنين ، وهو في بطن أمه، فيلد الجنين مصابا يعاني من الضعف ، والاهتراء ، بل وأحيانا الموت.

المرحلة الثانية – الإصابة الوليدية : ويصاب الوليد بها أثناء ولادته، فيظهر القرح على وجهه، أو رأسه بعد ثلاثة أسابيع من ولادته.

المرحلة الثالثة – الإصابة الذرية : ويصاب بها الذرية من الحفدة ، وأولاد الأولاد حيث تنقلها ذرية إلى ذرية ، وتسمى الإصابة هنا بالسفلس الوراثي :

٢– السيلان :

تعريفه :وهو التهاب الاحليل البني أو التعقيبه. وتسببه فيروسات تسمى المكورات البنية ؛ وهو سريع الإصابة ، والانتقال أثناء العمليات الجنسية غير الشرعية خاصة بـــل

وقد ينتقل عن طريق المناديل ، والملابس ، وأدوات النظافة ، كالصابون أو عن طريق ميزان الحرارة ، أو الشراشف ، أو الأسرة ..... الخ.

ويمتاز السيلان أيضا بأنه سريع التوطن ، وخاصة في رحم المرأة حيث قد يبقى، ويعيش فيها لمدة تزيد عن ١٠ سنوات؛ وهنا تكمن خطورته ؛ حيث قد ينتقل ويصيب الوليد أثناء الولادة ، وغالبا ما تهاجم فيروساته عين الوليد ، وتسبب له التهاب ملتحمة العين . ولذلك جرت العادة أن تقطر عينا الوليد بعد الولادة مباشرة بعصير الليمون ، أو غيره . وتبلغ فترة حضانة مرض السيلان حوالي ٥ خمسة أيام.

مراحل الإصابة بالسيلان : وهي ثلاث :

المرحلة الأولى : مرحلة التقيح :

وتتسم بظهور التقيح المصحوب بالحرقة في الجهاز البولي للمرأة المصابة ، أو الرجل المصاب – ويعرف التقيح في هذه المرحلة بالتهاب الإحليل الحاد.

المرحلة الثانية – مرحلة التقيح البؤري :

وتتم بظهور بؤر قيحية على جدر المهبل ، وداخل الرحم ، وعنقه ، وغالبا ما تتحول البؤر القيحية إلى التهابات مزمنة.

المرحلة الثالثة – مرحلة الالتهابات التناسلية:

أ- وتكون في الرجل في شكل : التهابات الحشفة ، وضيق القلفة، والتهابات البروتستات ، والتهابات الحويصلات المنوية ، والحبل المنوي ، والتهابات الخصية ، والتهابات البربج ، وقد تسبب هذه الالتهابات العقم عند الرجل.

ب- وتكون في المرأة في شكل : التهاب عنق الرحم ، وداخله ، والتــهاب غــدة بارتولين، والتهاب المبيض ، وقد تسبب هذه الالتهابات انسداد البوقين ، واهتراء المبيض ، ومن ثم العقم عند المرأة.

جـ- وتكون في الطفل الوليد في شكل : التهاب في العين يصيب القرنيــة قـد يؤدي إلى العمى إذا لم يعالج مبكراً .

د- وتكون في الرجل ، والمرأة ، والطفل في شكل : التهابات جرثومية - يحملها الدم، فتصيب القلب ، ومنها التهاب شغاف القلب ، والتهاب الجملة العصبية ، وتكون فــي شكل التهابات المفاصل ، والجلد ؛ وأخطرها ما يصيــب الأعضــاء التناسـلية وأجــهزة الإخصاب مما يؤدي إلى عقمها.

٣- التهاب المهبل بالشعرية المهبلية :

تعريفه ، وهو التهاب يصيب مهبل المرأة ، وتسببه جرثومــة تسـمى بالدويبــه المشعرة .

وأعراضه : سيلان قيحي ، مع حكة فرجيه ، وحرقة بولية ، واهم مسببات هــذا المرض الاتصالات الجنسية المحرمة.

٤- القرح اللين :

وهو من الأمراض الزهرية التي تصيب الأعضاء التناسلية ، وتســببه جرثومــة اسمها : العصية الدوكرية المستديمة ، واهم أعراضــه: الالتــهابات القرحيــة الحــادة ، والمؤلمة ، واهم مسبباته الاتصالات الجنسية اللامشروعة.

٥- الورم الحبيبي الاربي :

وهـو مـن الأمـراض الزهريـة المنتشـرة فـي المنـاطق المداريـة ، وتسببه الاتصالات الجنسية الغير مشروعة. وأعراضـه : أورام ، ونتـوءات ، ودمـامل متقرحة.

٦- النمو البلغمي الالتهابي الجنسي :

وهو من الأمراض الزهرية التي تصيب الرجـال عـادة ، وتسـببه فيروسـات راشحة.

وأعراضه : الحويصلات الصغيرة التي تنتشر على العضو الذكري ، وتحتـوي سائلا قيحيا ، وتتحول بعد أسابيع إلى تورمات مؤلمة في المغبن . وقد يسبب هذا المـرض تشوه الجهاز التناسلي ، وداء الفيلة.

ولنا القول : بان الأسباب الأساسية في انتشار الأمراض التناسـلية ، والزهريـة تكمن في الإباحية المطلقة في تعاطي الاتصالات الجنسية غير المشروعة ، والمنتشرة فـي معظم البلدان الرأسمالية ، والاشتراكية سواء في البلدان المتقدمـة ، أو المتخلفـة ، **ولنـا القول**: بان العلاج لا يكمن في الأدوية ، وإنما في الالتزام الديني ، والخلقي ، والسلوكي ، وفي إنزال العقوبات الرادعة فيمن يرتكب جرائم الزنى . وهذا ما حققه ديـن الإسـلام ، وعلاجه افضل علاج ، وأنجحه. قال تعالى :"الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهم مائـة جلدة ولا تأخذكم بهما رافه في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر"(١) .

٧- الزهري :

وهو نوع من أنواع السفلس ، وهو مرض تناسلي معد تسببه جرثومة تسمى "تريبونيما بلليدم" ويبلغ طولها حوالي ٧-١٤ (والميكرون يساوي واحد على ١٠٠٠ من المليمتر) والجرثومة حلزونية الشكل متحركة ضعيفة تموت بالحرارة، والماء ، والصابون، والمضادات الحيوية ؛ ولذا يسهل علاجه . ومرض الزهري سريع العدوى بالتقبيل ، أو اللمس ، أو الممارسات الجنسية ، أو باستعمال الأدوات.

وتبلغ حضانة الزهري من ٣-٤ أسابيع.

مراحل الإصابة بمرض الزهري : يمر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : ويظهر فيها بشكل يسمى بالشنكر.

المرحلة الثانية : ويظهر فيها خلال ستة اشهر من الأولى ، وبعد مضي ستة أسابيع.

المرحلة الثالثة : وتتسم بظهور مرض الجاما ، ويظهر بعد ٣-٧ سنوات تصاحبها أعراض مرض الشلل العام للإنسان ، أو المضاعفات العصبية ، وذلك بعد مضي ١٠-١٥ عاما.

أما مضاعفات الدورة القلبية، فتظهر بعد خمسة عشر إلى عشرين عاما.

المرحلة الأولى – الشنكر– ويظهر المرض بشكل دمل أو تقيح صلب غير مؤلم، وقد يسيل منه الدم ، وغالبا ما يختفي دون علاج.

---

(١) سورة النور آية ٢.

ويصاحب المرض الشنكر تضخم متماثل من الجنبين للغدد الليمفاوية ، وفي هـــذه الغدد يسكن الفيروس.

وغالبا، وفي أحوال ٩٠ في المئة يظهر الشنكر على الأعضـــــاء التناســـلية ، أو الشفاه مكان التقبيل ، وبين فروج الأصابع ، وعلى حلمتيْ الثديين.

المرحلة الثانية – وتظهر بعد مضي ستة اشهر ، وتصاحبها أعراض الحـــــرارة المرتفعة ، وطفح جلدي ينتشر في جميع أنحاء الجسم، وردي اللون ، وتضخـــم، وتـــورم بالغدد الليمفاوية . ويصاحب المرحلة الثانية ظهور اليرقان ثم التهاب الكبـــد ، والطحـــال، وحدقة العين ، وتأكل أطراف الأصابع ، وسقوط الشعر ، وصداع ، والآم شديدة بالعظام ، والتهاب العصب المخي الثامن.

المرحلة الثالثة : الجاما- وتظهر بعد ٣-٧ سنوات مـــن الإصابـــة بميكـــروب الزهري ، على هيئة ورم عميق غير مؤلم يتحول إلى قرحة زهريـــة مصحوبـــة بتـــورم غدي.

وتظهر الجاما عادة في الجلد ، والكبد ، والطحال ، والفم ، والحنجرة ، والقلـــب واللسان ، وفي بعض الأحشاء الداخلية.

وتؤدي الإصابة بمرض الزهري المزمن إلـــى الإصابـــة بتصلـــب الشـــرايين ، وخاصة الصمام الأورطي ، والبطين الأيسر.

٨- **السيدا أو الايدز.** وقد اكتشف حديثا ، وسببه العلاقات الجنسية المشـــبوهة ، والمحرمة ، والمخالفه للفطرة ، وقد ينتقل عن طريق نقل الدم من المصـــــابين بـــه إلـــى الأصحاء.

هذا وقد استفحل خطر هذا المرض هذه الأيام بعد أن تفشـــت ظواهـــر الزنـــى ، واللواط ، والشذوذ الجنسي ، وبعد أن صدرت القوانين الوضعية بتحليلها ، وبذلـــك فقـــد

أوجدوا فنونا من الزنى، والعلاقات الجنسية المحرمة ، والتي لم تعرفها البشرية من قبل، فسلط الله عليهم أمراضا كالسيدا ، والإيدز لم تعرفها البشرية من قبل.

عن عبد الله بن عمر قال :"اقبل علينا رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، فقال: "يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعون ، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال، والميزان إلا اخذوا بالسنين ، وشدة المؤونه ، وجور السلطان عليهم ؛ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ؛ ولم ينقضوا عهد الله ، وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم ، فاخذوا بعض ما في أيديهم ؛ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما انزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم"[1] .

تاسعاً : حقيقة :"اللواط أي الشذوذ الجنسي" :

قال تعالى :"ولوطا إذا قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون"[2] .

وقال تعالى :"أتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل انتم قوم عادون"[3] .

وقال تعالى: "ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون"[4].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه في باب العقوبات في كتاب الفتن.

(٢) سورة الأعراف ٨٠ و ٨١ .

(٣) سورة الشعراء ، آية ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤) سورة النمل آية ٥٥.

وقال "صلى الله عليه وسلم" :"من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"-رواه أصحاب السنن الخمسة إلا النسائي ، وأخرجه الحاكم ، والبيهقي. وفي لفظ النسائي :"لعن الله من عمل عمل قوم لوط" لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط".

وفي الأثر أن الخليفة أبا بكر احرق رجلا كان يلاط به .

التعريف باللواط : وهو النكاح في الشرج ، أي في الدبر سواء كان دبر الرجل ، أو المرأة. واللواط هو اشد أنواع هتك العرض ؛ لأنه مخالف لسنة النكاح السوية التي يجب أن تكون في القبل؛ ولأنه يحط من القيم الرجولية إذا نكح الرجل الرجل . وجماع الرجل للرجل هو اكثر أنواع اللواط شيوعا، واللواط جريمة نكراء شنعاء مخالفة للفطرة في النكاح ، ويترتب عليها تعطيل النسل ، وإذلال الرجال.

وقد اثبت العلم حديثا الأضرار التي يسببها اللواط سواء كان صحية جسمانية، أو نفسيه.

ولقد اخبر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، أو غيره : انه لولا القرآن اخبرنا باللواط ما عرفنا أن الرجل يمكن أن ينكح الرجل.

أضرار اللواط : تقسم إلى قسمين :

الأول – الأضرار الجسمانية.

والثاني : الأضرار النفسية.

القسم الأول : الأضرار الجسمانية :

أ- اللواط يسبب جميع الأمراض الزهرية بأعراضها ، وأنواعها ، والتي يسببها الزنى، ومنها: السفلس، والسيلان ، والقرحة اللينة ، والورم الاربي ، ..... الخ.

ب- اللواط يسبب مرض الجرب ، والأورام الشرجية.

جـ- اللواط يسبب تمزق المستقيم ، وبالتالي عدم التحكم بالغائط ، أو البراز .

د- اللواط يسبب تشققات الشرج ، وآلامه.

القسم الثاني : الأضرار النفسية:

أ- اللواط يسبب الشذوذ الجنسي ، فيعزف الملوط فيه عن النكاح السليم ، والزواج الفطري ، ويسعى لإشباع غريزته مما يخالف فطرتها.

ب- اللواط يسبب أمراضا نفسيه مثل السادية ، والمازوخية.

جـ- اللواط يحفز سوء الأخلاق ، والابتعاد عن المجتمعات الصالحة.

د- اللواط يسبب إذلال الرجولة في أبناء المجتمع.

ولنا القول : بان اللواط يخالف ابسط قواعد الفطرة الأخلاقية السليمة ، فهو عدا أمراضه الجسمانية ، والنفسية فهو يساعد على انحطاط المفاهيم الفكرية ، والثقافية في المجتمعات. ومما يؤسف له أن قوانين كثير من البلدان المتقدمة تسمح بتعاطي اللواط ، ولا تجعل ارتكابه مخالفا للقانون – ومن هذه البلدان الدول الأوروبية ، والأمريكية، والتي تعترف بالإباحية الجنسية غير المشروعة ، وخاصة بالنسبة للكبار ، وهم الذين بلغوا الثامنة عشرة من العمر . ولقد ترتب على الاعتراف القانوني بجريمة اللواط ، وهو ما يسمى بالشذوذ الجنسي في بريطانيا إلى تفشيها حتى بين الكثير من الأطفال. فالإحصائيات الرسمية تشير إلى أن حوالي ٦٠-٨٠ ألف غلام يتعاطون اللواط كسبب من أسباب الارتزاق.

ولنا القول أيضا : بوجوب الحمد لله دائما كمسلمين ، حيث هدانا الله إلى الطريق القويم ، والسلوك السوي في النكاح . والإسلام نظم النكاح ، وبين أوضاعه السليمة ،

وحذر من أوضاعه غير السليمة كالزنى ، واللواط . ولعل في سرد القرآن الكريم لقصة قوم لوط خير اتعاظ، وعبرة المسلمين ، وحيث لا يتعظ إلا المؤمنون.

ولقد كانت عقوبة اللواط في القرآن الكريم اشد أنواع العقوبات التي أنزلها الله على مرتكبي المعاصي من الأقوام السابقة.

قال تعالى :"فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود"(١) .

واللواط محرم شرعا حتى مع الزوجة ، ولها الحق أن تطلب طلاقها من زوجها إذا لاط بها. قال تعالى :"فاتوهن من حيث أمركم الله"(٢) .

وهذه النصوص لا تتعارض البتة مع قوله تعالى :"فأتوا حرثكم أنىّ شئتم"(٣) .

فالمقصود هنا أن يجامع الرجل زوجته في أي وضع ، وفي جميع الأوضاع التي تحلو له ، وأن يضاجعها كيفما شاء على شرط أن يكون الإدخال في القبل ، وليس في الدبر ، أي في مكان الولد.

عقوبة اللواط في الإسلام: القتل للفاعل ، والمفعول فيه.

لقوله "صلى الله عليه وسلم" :"من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به" وجاء في الأثر أن الخليفتين أبا بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب احرقا من كان يلاط بهم.

عاشراً : حقيقة :"حرمت عليكم الميتة" :

وهي حقيقة القيم الصحية السلبية للخبيث من المأكولات ، والمشروبات:

---

(١) سورة هود آية ٨٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٣.

قال تعالى :"حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمخنقه والموقوذه والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب"(١) .

وقال تعالى :"إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله"(٢) .

حكمة الله في التحريم للخبائث من المطعومات تتجلى الآن واضحة فيما تسببه من أمراض ، وأضرار فتاكة أحاطها العلم الحديث دراسة ، وتحليلا ، وتطبيقا ، وإحصاء موصلا بالناس إلى عبرة التحريم في الشريعة الإسلامية لخبائث المأكولات ، وبأن المشرع الإسلامي لا يتناول بالتحليل إلاّ كل طيب ، ولا يتناول بالتحريم إلاّ كل خبيث.

إن عبرة النص القرآني بالتحريم لخبائث المطعومات تقتضي إلقاء الضوء على البعض منها ، وبالتحليل العلمي ، والطبي المعقول:

أولاً : الميتة :

وهي باصطلاح الفقهاء كل حيوان فارق الحياة بدون ذكاة شرعية، والذكاة الشرعية تقتضي قطع الحلق ، والودجين على جانبي العنق ، ونزيف الدم منهما . ولقد اثبت العلم الحديث فساد لحم الميتة، وضرره ، وخطره ، وعدم صلاحيته للغذاء ، حيث أن الميتة تكون عرضه للتلوث الجرثومي، وفي اقل الوقت.

ويذكر "والز" في كتابه صفحة (٦٣) إن اللحم الذي لا يصفى منه الدم جيدا لا يكون صالحا، لان السائل الزلالي الموجود بالدم يساعد على نمو الجراثيم في اللحم(٣).

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١٧٣ .

(٣) كتاب : "مع الطب في القرآن الكريم" المرجع السابق . ص١٣٣ .

ولقد ثبت علميا أن الميتة تتعرض لعمليات التعفن ، والنتن ، وفي اقل الأوقات؛ حيث أن دم الميتة يباشر فورا في الترسب في الأجزاء المنخفضة منها مشكلا ما يسمى بالزرقة الرمية. وبعد ٣-٤ ساعات يحدث التيبس الرمي ، وهو عبارة عن تصلب عضلات الجسم ، بسبب تكون أحماض خاصة :كحمض الفسفور ، وحمض اللبن ، وحمض الفورميك ، وبعد ذلك يزول تيبس العضلات ، وتعود القلوية ثانية ، وتغزو الجراثيم الجثة ، فتنمو الجراثيم الهوائية ثم الجراثيم اللاهوائية فتتعفن الجثة.

ومن جراثيم التعفن عصيات كولي ، والمنقلبات الاعتيادية ، والمكورات الدقيقة ، حيث تعمل على تفسخ الجثة ، وتكوين مركبات ذات روائح كريهة ، وسامة تسبب انتفاخ الجثة خلال ساعات يساعد في كل هذه الآثار التعفينه انحباس الدم داخل الميتة.

ومما يزيد من خطورة أضرار الميتة أنها قد تكون مصابة بأمراض فتعدي آكلها، ومن هذه الأمراض :

أ. **السل** : وتكثر أصابته في البقر ، وضرر عدواه يتحقق بأكل لحم البقر المصاب سواء كان مذبوحا ، أو ميتاً .

ب. **الجمرة الخبيثة** : وتنتقل إلى الإنسان عن طريق اللمس ، والهواء ، مما يقتضي دفن الحيوان المصاب بها ، أو حرقه.

جـ. **مرض السالمونيلا** : تسببه جراثيم السالمونيلا التي تحدث تسمما في جسم من يأكل الحيوان المصاب بها.

د. **الهرم** : فالهرم مرض في حد ذاته ، حيث أن لحم الحيوان اصبح اكثر تليفا، وبالتالي أسوا هضما.

ثانياً : - ويلحق بالميتة:

أ- **المنخنقة** : سواء بكتم النفس ، أو الغرق ، أو الردم ، وبقي الدم محبوسا فيها.

ب- **الموقوذه** : والتي ماتت بفضل الإنسان كالضرب ، ولم تذبح.

جـ- **المتردية** : والتي ماتت بسبب السقوط ، ولم تذبح.

د- **النطيحة** : والتي ماتت بسبب نطح حيوان آخر لها ، ولم تذبح.

هـ- **ما أكل السبع** : والتي ماتت بسبب افتراس الحيوان لها.

فكل أنواع هذه الميتة تتفشى في دمها الجراثيم ، بسبب الرضوض ، واحتقان الدم تحت الجلد فضلا عن انحباس الدم داخل أجسامها.

ولكن لو أمكن اللحاق بهذه الحيوانات بعد أصابتها ، وذبحت قبل موتها الذبح الشرعي، وسال دمها، جاز ، وأحل أكلها ، مصداق لقوله تعالى :"إلا ما ذكيتم"(١).

إحدى عشرة: حقيقة :"أو دماً مسفوحاً":

قال تعالى :"قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً"(٢).

لقد اثبت العلم حديثا أن الدم موقع خصب لتوالد الجراثيم بحكم وظيفته في جسم الإنسان، فهو يعمل كوسيط لنقل ، وحمل العديد من الجراثيم ، والفيروسات ، والفضلات ، والسموم ، والتي تنشأ عن عمليات التأكسد الكيمائية سواء في الجهاز الدموي ، أو التنفسي، أو الهضمي . ولم يحل لنا من الدم إلا الكبد ، والطحال، لسببيْن:

الأول: للانفصام الضرري عن الدم : حيث ، ولو أن تركيبهما من النسيج الدموي إلا أن تحور هذا التركيب من الضرري المعوية إلى النفعية الصحية يسوغ لنا

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٥ .

أكلهما . فالكبد ، والطحال لا يأويان الجراثيم كالدم ، إنما هما كاللحم تماما في عضويتـــه، وفائدته.

الثاني: للقيمة الغذائية لهما : فهما يحتويان علـــى البروتينـــات ، والفيتامينـــات ، والمعادن، وغيرها مما جعلهما من اكثر مصادر الغذاء غنى ، وفائدة ، ونفعا للجسم.

وتؤازر النفعية الغذائية للكبد ، والطحال النص النبوي في التحليل لهما بالتنـــاول. قال "صلى الله عليه وسلم" :"أحلت لنا ميتتان ، ودمان ، أما الميتتان ، فالحوت، والجـراد ، وأما الدمان : فالكبد ، والطحال" رواه احمد ، والشافعي ، وابن ماجه ، والبيهقي ، والـــدار قطني.

حكمة تحريم الدم :

تتمثل حكمة النص القرآني بتحريم الدم في عدم النفعية الغذائية المطلقة منه مـــن جهة ، وفيما يسببه من أضرار خطيرة للجسم من جهة أخرى:

١- فالدم لا يشكل غذاء نافعا للجسم : فنسبة ما يحتويـــة مـــن البروتينـــات كالبومين ، والغلوبيولين ، والفيبرنيوجين ضئيلة جداً لا تتجاوز ٨ غـــم لكـــل ١٠٠ ملغ.

٢- الدم عسر الهضم : بسبب تشكل مادة الليفين فيه كما أن الكريات الدمويـة الحمراء فيه عسرة الهضم ، ولا تستحملها المعدة ، والحديـــد فيـــه عضـــوي يصعب على الأمعاء امتصاصه.

٣- الدم وسط صالح لنمو الجراثيم : خاصة إذا كان الدم من حيوان مريض، أو ميت أو مذبوحا بآلة ، وأيدي ملوثة ، أو معرضا للهواء الملوث . وتنشـــئ

بعض المعامل مزارع دموية لتكثير الجراثيم فيها ، حيث صلاحيتـــه كوســط لنمو الجراثيم أكيدة.

١.الدم وسيط لنقل السموم ، والفضلات : بحكم وظيفته الناقلة لـــهذه الســموم ، والفضلات مثل : المواد البولية ، وحمض البـــول ، والكريـــاتينين ، وغـــاز الكربون لطرده عن طريق الرئتين.

ويؤدي تناول الدم عن طريق الفم إلى امتصاص نتائج الدم الاستقلابية مما يــؤدي بدوره إلى ارتفاع نسبة البولة الدموية التي تسبب الاعتلال الدماغي.

اثنتا عشرة : حقيقة :"أو لحم خنزير" :

وهو حيوان رمام ، نجس في جسمه ، قذر فـــي أكلـــه ، شـــبق فـــي ســـلوكه ، وتصرفاته، شره يلتهم الرمم ، واقذر القاذورات ، والنجاسات ، ويصح ، ينمو على الجيف حتى جيف أقرانه ، فاضح في سلوكه يطلق صياحا عاليا عند التزاوج ، لا لحم فيـــه ، ولا هبر ، وإنما عضل، وشحم ، وألياف حرمه الإسلام على أتباعه ، تهافت على أكله من لـــم يدرك حكمة الإله في التحليل للطيب ، والتحريم للخبيث.

حكمة تحريم لحم الخنزير : أصلها الإسلام منذ أربعة عشر قرنـــا ونيفـــا. أدرك حقيقتها العلم حديثا منكرا له أية فائدة ، مفرزا له أضرارا قلما يحويها لحم حيوان آخـــــر. ومن الأضرار التي يسببها أكل لحم الخنزير:

١- مرض الزحار الزقي : تسببه طفيله الزقيات الكولونية التي تعيـــش فـــي أمعاء الخنزير.

٢- مرض البريمي اليرقاني النزفي : والمسمى بداء وايل، أو الداء البريمي – ويصيب الإنسان عن طريق الماء الملوث ببول الخنزير ، والكلاب ، والجرذان.

٣- مرض الزحار الاميبي : تسببه الأميبا النسيجية التي تعيش في جسم الخنزير.

٤- مرض حصبة الخنزير : وتسمى بالحمرانية تسببها فيروسات تعيش في جسم الخنزير. وعادة تصيب الجزارين ، والدباغين ، وتكون بشكل بقعة حمراء مؤلمة ، وحارة ، وتسبب القشعريرة ، والحرارة ، والتهاب العقد، والأوعية البلغمية.

٥- شريطية السمك العريضة : ويصل طولها إلى ٣-١٠٠ م وعادة يعولها لحم الخنزير.

٦- شريطية الخنزير المسلحة : ويصل طولها إلى ٢-٢٣م وتصيب الإنسان عن طريق أكل لحم الخنزير غير المطبوخ جيدا ، أو النيئ ، الذي يحوي الحويصلات الخنزيرية المثانية التي تكمل أطوار حياتها في أمعاء الإنسان ، وتسبب إسهالا ، وإمساكا ، وجوعا ، وضعف شهية ..... الخ وقد تعيش هذه الحويصلات الخنزيرية المثانية في قلب الإنسان ، أو عينه، وذلك إذا دخلت جسم الإنسان في شكل بيوض حيث لا علاج لها إلا العمليات الجراحية.

٧- سموم الدودة التريخينية : وهي دودة شعرية يصل طولها إلى ٣-٥ م تصيب الإنسان في حالة تناوله لحم الخنزير غير المطهي جيداً : كالسجق، والشاورما ، وغيرها. ومن أمراض ، وسموم الدودة التريخينية :

أ- التهاب الأمعاء.

ب- الطفح الجلدي .

جـ- صعوبة التنفس .

د- الآلام.

هـ- شلل العضلات التنفسية.

و- إصابة القلب. وللأسف لم يجد الطب إلى الآن أي علاج للحالة الأخيرة.

هذا ولقد أثبتت التجارب العلمية التي أجريت على خمسين في المائة من الخنازير في بعض الولايات المتحدة الأمريكية إنها مصابة بمرض ترخينيا. وهو نوع من السموم الذي تفرزها الدودة التي تحمل هذا الاسم ، وتسبب أمراضا تشبه أمراض الكوليرا[1].

يقول "بيتي وديكسون" :"إن الإصابة بها تكاد تكون عامة في جهات خاصة من فرنسا، وبريطانيا ، وإيطاليا ، ولكنها تكاد تكون نادرة في البلاد الشرقية التي يحرم دين أهلها أكل لحم الخنزير" وقد اثبت العلم أن ديدان التريخنيا تضع الأنثى الواحدة منها نحو ١٥٠٠ جنينا في الغشاء المبطن لأمعاء المصاب، فتتوزع الملايين المولودة بطريق الدورة الدموية إلى جميع أنحاء الجسم ، فتتجمع الأجنة في العضلات حيث تسبب آلاما شديدة ، والتهابات عضلية مؤلمة تؤدي إلى انتفاخ النسيج العضلي ، وتكون الأورام.

٨-ارتفاع نسبة الشحوم: فقد ثبت علميا ، وبالتحليل الكيميائي أن نسبة الدهون في لحم الخنزير اكثر من ضعفيْ نسبتها في اللحوم العادية.

وتسبب الترسبات الدهنية إفراز مادة الكولسترول التي تساعد على تصلب الشرايين ، وبالتالي الجلطة في القلب[2].

٩-الإصابة بحمض البول : يسبب أمراضا مثل :

---

(١) د. يوسف السويدي . المرجع السابع ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) د. عبد الرزاق الشهرستاني كتاب : أسس الصحة ، والحياة.

أ- تصلب الشرايين.

ب- الآلام المفصلية.

جـ- التسمم الوشيقي[1].

١٠- الإصابة بالأنفلونزا : تشير أحدث المكتشفات العلمية أن فيروس الأنفلونزا يعيش ، ويتوطن ، ويكمل بعض أطوار حياته في جسم الخنزير.

١١- كثرة ألياقه :والتي تشكل مع الشحوم المادة اللحمية حيث لا لحم في الخنزير وقد ثبت علميا أن بعض هذه الألياف لا تنضج حتى بالطهي ، وتكون عسرة الهضم تنهك المعدة ، والأمعاء في هضمها فضلا عن قلة قيمتها الغذائية.

كما ثبت علميا أن بعض الديدان التي تعيش في ألياف الخنزير لا تموت بالطهي ، وتحتاج إلى درجة حرارية عالية حتى تموت.

١٢- الإصابة بالدودة الشريطية وتسمى "تينيا سويلم" ويتراوح طولها ما بين ستة إلى ثمانية أمتار تحتوي على حوالي ٨٠٠ أسلة ، أو قطعة . وللدودة راس به أربع ممصات، وصفان من الأشواك الكلابية يبلغ عددها حوالي ٢٢-٣٢ شوكه.

وتنتقل يرقة الدودة من عضلات الخنزير إلى أمعاء الإنسان ثم دمه ، وقد تصل إلى المخ ، وتتحوصل هناك ، ومن ثم فقد يصاب الإنسان بتشنج، ونوبات صدعية حادة.

وبالجدير بالذكر أن كل قطعة من الدودة تحتوي على جهاز "تناسلي" وجهاز عصبي ، وجهاز إخراجي ، وجهاز تنفسي ، وجهاز دوري ، ويصل عدد البويضات التي تفرزها الدودة الواحدة إلى خمسين ألف بويضة في المرة الواحدة.

ثلاث عشرة : حقيقة :"إنما الخمر رجس" :

قال تعالى :"يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون"(٢).

وقال "صلى الله عليه وسلم" :"لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها، ومبتاعها، وبائعها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه"(٣) .

تعريف الخمر :

تعرف الخمر لغة واصطلاحاً : "بأنها كل مسكر" .

قال "صلى الله عليه وسلم" :"كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام"(٤) .

ومصادر الخمر قد تكون الفاكهة مثل : العنب ، والزبيب ، والتمر ..... الخ.

وقد تكون الحبوب . مثل : الحنطة ، والشعير ، والذرة ، والأرز ..... الخ.

وقد تكون العسل ، والمواد التي يصنع منها الخمر كثيرة.

مسميات الخمر :

مسميات الخمر كثيرة ، وفضلا عن أنواع الخمور التي كانت معروفة قديما استحدث في هذه الأيام أنواع عديدة من الخمور ، وبأسماء متنوعة مثل :

---

(١) كتاب . "مع الطب في القرآن الكريم" المرجع السابق . ص١٣٩ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٠ ، ٩١ .

(٣) رواه احمد أبو داوود عن ابن عمر ("رضي الله عنه" الله عنهما).

(٤) رواه احمد ، وأبو داوود عن ابن عمر ("رضي الله عنه" الله عنهما) .

الكونياك ، والشمبانيا ، والعرق ، والجن ، والويسكي ، والبراندي ، والفودكا الروسية ، والبيرة.

ومع اختلاف مسميات المسكرات فجميعها خمر ، والخمر حرام.

قال "صلى الله عليه وسلم "ليشربن أناس من أمتي الخمر ، ويسمونها بغير اسمها"[١] .

حكم الخمر :

التحريم القطعي . وبغض النظر عن مبررات شربها حتى ولو للدواء، فهي محرمة قال "صلى الله عليه وسلم" :"إن الله انزل الدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام"[٢] .

وقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" :"لطارق الجعفي عندما سأله عن الخمر ، فنهاه فقال طارق : إنما اصنعها للداء ، فقال رسول "صلى الله عليه وسلم": "انه ليس بدواء، ولكنه داء"[٣].

وقال "صلى الله عليه وسلم" :"كل مسكر حرام" رواه البخاري ، ومسلم؛ وقال أيضا :"كل خمر، وكل مسكر حرام" رواه أبو داوود وقال أيضاً : "كل مسكر حرام ، وما اسكر الفرق منه ، فملء الكف منه حرام" رواه الترمذي ، وحسنه.

---

(١) أخرجه الإمام احمد في مسنده ، وأبو داوود في سننه عن أبي مالك الاشعري.

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه.

(٣) أخرجه معسلم ، والترمذي.

حكمة تحريم الخمر : أصلتها شريعة الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ونيف ، وفي ضرر الإثم ، والنفس ، والبدن؛ آزرها العلم الحديث في بلاد الكفر لم يستطع إنكارها.

إن العقلانية السليمة تقتضي الأخذ بهذه الحكمة الشرعية في التحريم ، ولجميع أنواع الخمر ، والى قيام الساعة ، وحتى بالنسبة لشرب القليل منها.

قال "صلى الله عليه وسلم" :" ما اسكر كثيره ، فقليلة حرام" رواه ابن السني وصححه الحفاظ. **ولسنا نبالغ القول** – تؤازرنا التجارب العلمية الحديثة – ما للخمر من أضرار على الجسم ، والعقل ، والنفس ، وبشكل يفوق حد التصور حتى أن بعض بلدان الكفر كالولايات المتحدة الأمريكية حرمت تناولها في زمن الرئيس "روزفلت" ولفترة وجيزة أول العقد الثالث من هذا القرن قال "صلى الله عليه وسلم" :"كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام" رواه مسلم.

ويقول دكتور "اوبري لويس" رئيس قسم الأمراض النفسية في جامعة لندن ، وفي اشهر مرجع طبي بريطاني هو :"مرجع برايس الطبي" إن الكحول هو السم الوحيد المرخص بتداوله على نطاق واسع في العالم كله ويجده تحت يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله ، وبهذا يتناوله مضطربو الشخصية بكثرة ، ويؤدي هو بذاته إلى اضطراب الشخصية . وإن جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم ، وتؤدي إلى الهيجان ، أو الخمود ، وقد تؤدي إلى الغيبوبة. أما شاربو الخمر المدمنون فهم عرضة للانحلال الخلقي الكامل ثم الجنون(1).

ويقول دكتور (لورنس) وهو رئيس قسم الطب العلاجي في جامعة لندن : "أول ما يفقد من وظائف المخ بواسطة الكحول هو القدرات الدقيقة على التحكم ، والملاحظة ،

---

(1) دكتور يوسف السويدي المرجع السابق ص٣٧٢ ، و د. غازي عناية . كتاب مناهج البحث المرجع السابق ص٥٥ .

والانتباه . كما أن الكفاءة العقلية ، والبدنية تنخفض بتناول الكحول مهما كانت الكمية قليلة. وتقلل من دقة النظر ، ومن القدرة على السمع الجيد ، والشم ، والتذوق كما تؤدي إلى فقدان توازن العضلات"[1] .

ولقد ثبت حديثا أن حوادث السير بسبب شرب الخمور تشكل نسبة ١٠% من إجمالي نسب حوادث السير العالمية[2].

مضار الخمر :

تصيب الخمر بأضرارها جميع أعضاء ، وأجهزة الجسم - فهي بلا شك أم الخبائث . فالخمر مضر للدماغ ، وللجهاز الهضمي ، وللجهاز التناسلي ، وللكبد، وللحالة النفسية ، وللجهاز الدموي.

أ- أضرار الخمر على الدماغ : الخمر مذهبة للعقل ، مثبطة لعوامل منشطاته ، وذات تأثير سريع عليه ، فهي تسبب :

١- **الهذيان** : وهي حالة فوضى التفكير ، وعدم الواقعية، فيشعر السكران بالعظمة ، والكبرياء، ويعيش في جو هذياني يخرجه من جو الواقعية ، فيكذب ويخرف، ويختلق المواقف المزعومة له ..... الخ .

٢- **الانفعال** : تنتاب السكران حالات الغضب ، والتهيج ، والانفعال ، والصياح ، والتهور يعقب هذه الإحالات نوع من السبات الدماغي.

٣- **الوسوسة** : تنتاب السكران وساوس الشيطان تدفعه إلى التفكير ، وأحيانا إلى تنفيذ ما توسوس له نفسه من ارتكاب المعاصي ، والجرائم : كحوادث القتل ، والسرقة ،

---

(١) دكتور يوسف السويدي المرجع السابق ص٣٧٢ ، و د. غازي عناية . كتاب مناهج البحث المرجع السابق ص٥٥ .

(٢) دكتور غازي حسين عناية المرجع السابق . ص٥٥ .

والاعتداء ، والاغتصاب ، والشواهد على مثل هذه الوقائع كثيرة جداً ، وتقع باستمرار في معظم البلدان.

٤- **التثبيط** : بتعطيل فاعلية الدماغ ، فتدنو الخمر بشاربها إلى مرتبة الحيوانات ، فيسلك سلوكها . وتبدأ حالة التثبيط عند تعاطي السكران لنسبة ٠,٠٥% من الكحول ، وتؤدي إلى الوفاة عند نسبة ٥٤% .

٥- **التحلل الدماغي** : أي تحلل النخاعين الحدبي المركزي ، وضمور الدماغ، وتنكس قشرة المخيخ.

ب- أضرار الخمر على الجهاز العصبي :

١- التهاب الأعصاب : بسبب نقص الفيتامينات ، وخاصة فيتامين ب الناتج عن شرب الخمر ، ومنه : التهاب العصب البصري.

٢- اعتلال الأعصاب : فتفقد قدرتها على الحركة ، والنشاط، وينتابها التوتر، والارتجاف ، والضعف، والضمور ، ومثال عليها : توتر العضلات العصبية.

٣- شلل الأعصاب : وهو التوتر التام مثل :شلل الوجه ، وشلل الأعصاب المحركة للعين ، وخلل العضلات.

٤- مرض الحصاف : ويسمى بالبلاغرا.

جـ- أضرار الخمر على الجهاز الهضمي :

١- التهاب المعدة : سواء الالتهاب السطحي الحاد ، أو الالتهاب المزمن الضموري.

٢- القرحة الهضمية : مع ما يصاحبها من نزيف حيث أن الخمر كما يقول دكتور جوردان يسبب من ١٠-١٥ قرحة هضمية.

٣- سرطان المعدة : حيث يشارك الخمر في حوالي ٩٠% من الإصابات بسرطان المعدة.

٤- سوء الامتصاص : بسبب ما يحدثه الخمر في المعدة ، والأمعاء من توترات.

٥- فقر الدم : بسبب ما يحدث الخمر من سوء تغذية ، وبالتالي من نقص البروتين ، حيث يعطل الخمر الوظيفة الامتصاصية للبروتينات ، والفيتامينات، ومنها فيتامين ب١٢[١].

٦- الالتهاب المعوية : وتسمى التهاب المعتكلة الحاد ، والمزمن حيث يسبب الخمر ٧٠% من الإصابات البطنية الحادة غير الجراحية.

٧- التهابات المريء : ينتج عنها اقياءات دموية غزيرة خاصة عند التقاء المعدة بالمريء.

٨- سرطان المريء : حيث يسبب الخمر ٩٠% من حالات سرطان المريء.

٩- التهابات الفم ، والبلعوم : بسبب التحرشات التي يحدثها الخمر في جنس، وأغشية الفم ، والبلعوم.

١٠- سرطان اللسان : ويبدأ عادة في شكل إصابة بيضاء على اللسان.

د- أضرار الخمر على الجهاز الدموي :

١-التوترات القلبية : وخاصة توترات العضلات القلبية تحدثها بصفة خاصة مادة الكوبالت الموجودة في البيرة.

٢-توسع الأوعية الدموية : مما يؤدي إلى عدم انتظامية التدفق الدموي في الأوردة ، والشرايين ، فتنتفخ الأوعية الدموية ، ويحمر الجلد ، وهذا ما يشاهد عيانا عند المدمنين حيث يعتقد الجاهلون أن اللون الأحمر دليل على تضاعف كريات الدم الحمراء الصحي، والمفيد للجسم.

٣-ارتفاع ضغط الدم : مما يؤدي إلى انفجار شريان المخ ، والإصابة بالشلل .

٤-فقر الدم : بسبب نقص فيتامين ب١٢ ، ونقص مادة حمض الغوليك ، ونقص الحديد.

٥-الداء الهيموسدريني.

٦-أمراض الدم الوراثية : ومنها تشوهات قلب الوليد . وقد اثبت العالمان "ستوكار" و "وشارت" أن الكحول (الغول) تنتقل بالوراثة من دم الأم الحامل إلى دم الجنين عن طريق المشيمة داخل الرحم ، أو عن طريق حليب الرضاعة(٢).

٧-انخفاض سكر الدم : مما يؤدي إلى السبات ، وأحياناً إلى الموت.

٨-مرض النقرس : بسبب ارتفاع حمض البول في الدم .

هـ- أضرار الخمر على الجهاز التناسلي :

١-مضاعفة الرغبة الجنسية : مما يؤدي إلى الإفراط الجنسي في حالة يتعرض فيها الجسم إلى سوء التغذية مما يؤثر على سلامة الإنجاب.

٢-الضمور الخصوي : يصاحبه تضخم ثديي عند المدمنين من الرجال.

---

(١) دكتور عبد الرزاق الشهرستاني . المرجع السابق ص٢٨٢ .

(٢) دكتور عبد الرزاق الشهرستاني . المرجع السابق ص٢٨٢ .

٣-التشوه النطفي : يؤدي إلى تشوهات جنينية ، وقد لوحظ أن نسل المدمنين على الخمـر يتعرضون إلى تشوهات جنينية ، وبنسبة ٣٣% وأهمها : التخلف العقلـي ، والتشـوه القلبي ، والاضطراب النفسي.

٤-اضطراب السلوك الجنسي عند المرأة.

٥-الجرائم الجنسية : بسبب الرغبة الجنسية الزائدة.

و. أضرار الخمر على الكبد :

١-القصور الكبدي : أي القصور الوظيفي للكبد يؤدي إلى نقص السكر في الكبد ، والـى تراكم الدسم الدهني.

٢-التخرش السمي للكبد.

٣-الضمور الكبدي : بسبب نقص الغذاء ، والفيتامين والبروتين ، والسكر .

٤-الالتهاب الكبدي .

٥-التسمم الكبدي .

٦-التشمع الكبدي . حيث يموت منه حوالي ٢٢,٥٠٠ شخص سـنوياً فـي فرنسـا ، و ١٦٠٠٠٠ في سنوياً في ألمانيا.

٧-السرطان الكبدي.

٨-السبات الكبدي .

٩-التوتر الكبدي - المعروف بالتوتر البابي الذي يسبب دوالي البطن ، ودوالي المريء .

ع. أضرار الخمر على الحالة النفسية :

١-الهلوسة : يصاحبها هذيان ارتعاشي ، وتخبط تفكيري ، وسرعة انتشاره.

٢-الاعتلال الدماغي الغير نكي : وهو ضعف ذاكرة يصاحبه هذيان ، وانعدام بصـــيره، والتهاب عصبي ؛ وشلل عضلي في العين ، وبلادة في التفكير.

٣-تناذر كورساكوف : وهو ضعف ذهني فكري يصاحبه التهاب عصبي.

٤-تخلف عقلي : وهو ضعف ذهني ، وفقدان ذاكرة يصاحبه عطب دماغي ، واضطراب عاطفي .

أمراض أخرى يسببه الخمر :

١-السرطان : وخاصة سرطان الرأس. وفي دراسة للعالم "لورمي" وجد أن ٥١ مريـض من اصل ٥٨ مصابون بسرطان اللسان ، واللوزتين ، والبلعوم ، وقـــاعدة الفـم هـم المدمنين على الخمر .

٢-العجز الكلوي : حيث يسبب الخمر تكون الحصيات الكولوية المزدوجة ، ويسبب تنخر حليمي كلوي.

٣-تشوه المخيخ ، والضمور الدماغي.

٤-تنكس قشرة المخيخ.

٥-تخرب الجسم التفتي.

٦-التحلل النخاعي الحدبي.

أربع عشره : حقيقة "تحريم المخدرات" :

لقد ورد في الحديث الشريف عن أم سلمة "رضي الله عنه" الله عنها "أن الرســول "صلى الله عليه وسلم" نهى عن كل مخدر ، ومفتر" رواه احمد مرفوعاً" رواه السيوطي في الجامع الصغير برقم ٩٤٩٨ .

ويعني التخدير : التعطيل أي تعطيل الأعصاب ، والأعضاء الجسمية عن القيام بوظائفها.

ويعني التفتير : العجز أي إصابة الأعصاب ، والأعضاء الجسمية بالعجز ، والكسل، والتباطؤ في وظائفها . فالمخدرات ضارة ، وهي من الخبائث التي حرمتها النصوص القرآنية:

قال تعالى :"ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"[1] .

مسميات المخدرات : للمخدرات مسميات عديدة ، كلها تصنف ضمن مادة المخدر؛ لاشتراكها جميعها في صفة التخدير ، وعلة الضرر .

أمثلة على المخدرات :

أ- مخدر الحشيش : ومصدره نبات الخشخاش ، وهو غير خشخاش الحمضيات.

ب- مخدر الأفيون : ومصدره نبات القنب.

جـ- مخدر الكوكائين : ومصدره نبات الكوكا.

د- مخدر المارجوانا : ومصدره نبات المارجوانا .

هـ- المورفين : ويصنع كيميائيا ، ويستخدم في التخدير أثناء العمليات الجراحية.

و- الدخان.

ز- القات .

حكمة التحريم : الضرر حيث أن المخدرات تشترك مع المسكرات في إحداث الكثير من الأمراض التي تصيب مختلف أجهزة الجسم ، وأهمها : الجهاز العصبي ،

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

والدماغ ، والجهاز الهضمي ، فتعطلها عن القيام بوظائفها أولا ، وتسبب لـــها الأمـــراض المختلفة ثانياً .

ولقد أجريت البحوث العلمية العديدة على المخدرات ، وأثبتت إنها مـــواد ســـامة، تدخل السموم إلى جسم متعاطيها ، فهي:

أ- تعطل أجهزة الجسم ، وأعضائه عن القيام بوظائفها ، وبشكل طبيعي .

ب- تسبب التوتر المزمن ، والحاد لأعضاء الجسم .

جـ- تسبب أمراضا عديدة للجسم.

د- تدخل السموم إلى أعضاء الجسم.

هـ- تخرج المصاب عن كينونته الآدمية ، وتنقله إلـــى الكينونـــه الحيوانيـــة ، فيتصرف كما تتصرف الحيوانات ، ويصبح سلوكه سلوكها.

و- تحفز المصاب على ارتكاب المعاصي ، والجرائم .

ز- تسبب نوبات الصرع ، والهيجان ، وسوء التصرف ، والتهور.

خامس عشرة حقيقة :"تحريم التدخين"

قال تعالى :"ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"[1] .

وفي الحديث الشريف عن أم سلمة أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" (نهى عـــن كل مخدر ، ومفتر) رواه احمد ، والسيوطي .

مسمى الدخان : كلمة الدخان مشتقة مـــن التدخيـــن أي الســـحب ، وامتصـــاص الدخان، الغاز الصادر من احتراق نبات التبغ ، وإدخاله إلى جوف الإنسان.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

فالدخان نباتي المصدر ، وهو نبات التبغ يصنع على شـكل اللفـائف ، وقطـع مفروزة ، أو مقطعة ، أو مفرومة ، ومحشي داخل أصابع تغلف أصابع بأغلفـة ورقيـة رقيقة ، وتوضع داخل علب خاصة ، وتسمى بأسـماء متعـددة : كـالتبغ ، والتمبـاك ، والسجاير ..... الخ [1].

حكمة التحريم : تؤصلها الشريعة الإسلامية بالضرر ، وعدم النفع ، وقـد اثبـت العلم حديثا انه لا توجد للتبغ أية فائدة للجسم ، وعلى العكس من ذلك، فمضاره كثيرة.

فقد يحتوي الخمر على منافع إلى جانب المضار ، والآثام ، ولكن التبـغ معـدوم الفوائد . قال تعالى :"يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما"[2] .

فالخمر بها شيء من المنفعة للجسم ، ولكن ضررها ، وإثمها اكبر من نفعـها ، وقد حرمها الله، فما بالك بالدخان الذي ليس له أية منفعة إطلاقا. والدخان لم يكن موجـودا زمن الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وعلى علمنا لو وجد لحرمه ؛ لأن الرسـول يحـرم الخبيث دوما ، وقد وجد الدخان في القرون الوسطى ، واستفحل انتشاره في هذا القـرن ، القرن العشرين.

ولنا القول : بان انتشار الخبيث ، أو الضار ، أو المحرم لا يسوغ أبدا تعاطيه، أو ارتكابه ، أو تحليله ؛ فعادة التدخين ، وعلى انتشارها الواسع هذه الأيام وعلى الأخص فـي المجتمعات الإسلامية لا يجوز الاستناد إليها في التحليل، فالعادة غير محكمـة إذا كـانت تخالف النصوص الشرعية الإسلامية. بل ولقد تردد حتى بعـض العلمـاء عـن تحريـم التدخين، فاعتبروه مكروها ؛ وحجتهم ، عدم وجود النص الذي يحرمه. ولكننا نقول إلـى

---

(١) يراجع في تحريم التدخين-دكتور غازي عناية-كتاب: يا أمة الإسلام، التدخين حرام.
(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ .

كل من يحلل تعاطي التدخين هذا المشروب المنكر الخبيث : إن النصوص التي تحرمه موجودة ، والدلائل الشرعية المحرمة له كثيرة ، وأن صفته كخبيث ، ومضاره العديدة تحكم ألا مجال للتردد في التحريم ، وخاصة في أعقاب المكتشفات العلمية الحديثة لمضار التدخين ، وأخطاره.

قال الله تعالى :"قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون"(١) .

دلائل تحريم الدخان : تحكم شواهد تحريم الدخان النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والقواعد الكلية الشرعية .

أولاً : النصوص القرآنية التي تحرم التدخين :

أ- قال تعالى :"ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"(٢) .

يتناول النص القرآني بالتحليل كل طيب ، وبالتحريم كل خبيث .

وهنا يرد التساؤل عن شواهد الطيب ، وعن شواهد الخبيث ؟؟

وعبارة أخرى متى نحكم على المأكول، أو المشروب بأنه طيب ، ومتى نحكم عليه بأنه خبيث! والجواب على ذلك : بان المطعوم الطيب هو ما كان نافعا للجسم . والخبيث ما كان ضارا للجسم. وقد ثبت، وباليقين العلمي أن التدخين ضار للجسم ، ولا نفع فيه إطلاقا ، فهو خبيث . ولذلك تتناوله الآية السابقة بالتحريم.

وقال تعالى :"وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً"(٣) .

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٣) سورة المائدة آية ٨٨ .

فالأمر هنا بالرخصة في الأكل الحلال هو من الطيب فقط . حيث أن وضوح النص يفيد بان مفهوم المخالفة أن كل خبيث ، وهو غير طيب ، وبالتالي فهو حرام ، ولا يحل تناوله ، أو أكله ، والدخان خبيث فهو حرام.

وقال تعالى :"يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات"[1] .

ومفهوم المخالفة يعني : أن كل خبيث ليس بحلال، والدخان خبيث ، فهو ليس بحلال. وقال تعالى : "يا أيها الذين أمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم"[2] .

ومفهوم المخالفة يعني : بوجوب تحريم الخبيث غير الطيب . أي تحريم الدخان؛ لأنه خبيث. وإذا كان الأصل في الطيب الحلال فإذا ثبت ضرره بالنسبة للبعض اصبح حراما ، فكيف بالخبيث الضار ، فالأصل فيه التحريم.

ب- قال تعالى :"ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا أخوان الشياطين"[3] .

والتبذير هو الإنفاق في الحرام حتى ولو كان قليلا . والإنفاق على التدخين حرام؛ لأنه تبذير، ولان التدخين ثبتت مضاره ، وعدم منفعته ، فكل إنفاق فيه كمشروب ضار حرام قطعا حتى ولو كان قليلا، ولقد ربط الله بين المدخنين ، والشياطين في الاخوة . فالمدخنون متضررون ضارون كالشياطين حيث يتعدى ضررهم إلى غيرهم من الأفراد بل ، والى مجتمعهم .

والتبذير غير الإسراف : فالتبذير : هو الإنفاق في الحرام ، ولو كان قليلا . أما الإسراف فهو الإنفاق في الحلال ولكن في غير حاجة ، وفي الكثير غير الضروري .

---

(١) سورة المائدة آية ٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٧ .

(٣) سورة الإسراء آية ٢٦ و ٢٧ .

جـ- قال تعالى :"ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين"[1] .

ويعرف الإسراف بأنه : كل إنفاق في حلال ، ولكن في غير حاجة ، أي في غير ضرورة. **والإنفاق على التدخين** حرام طبقا لهذه الآية ؛ لأنه إسراف في غير حاجة، وفي غير ضرورة ، ولنا القول : بأننا نتحدى أن يثبت أي إنسان إذا كان هناك حاجة واحدة ، أو ضرورة واحدة ، أو داع واحد، أو سبب واحد للتدخين ، أو نفع واحد يوجب التدخين؟؟

ويعني الإسراف – وعلى عكس التبذير – الإنفاق في الكثير الزائد عن الحاجة كالإنفاق على النفس ، أو البيت ، أو الأولاد بما يزيد عن حاجتهم ، وبحيث يستغنون عنه، ويعتبر السفه نوع من الإسراف المحرم ، والسفيه حكمه أن يحجر عليه ، ويمنع من التصرف بماله ، فالمدخن سفيه ؛ لأنه يسيء استخدام ماله ، وينفقه في غير ضرورة ، بل وفي الضرر ، وفي الحرام.

د–قال تعالى :"والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً"[2].

يربط الله بين الإنفاق ، وبين الاعتدال فيه وهذا أمر ، وإخبار على ضرورة الاعتدال في الإنفاق ، وهو بين الإسراف ، وبين التقتير.

ولنا التساؤل هنا : هل الإنفاق في التدخين يوصل معنى الاعتدال ؟ الجواب أبدا، فهو إنفاق فيه إسراف ، وفيه تبذير .

فالمسلم عليه ألا يكون مسرفا ، والمدخن هنا مسرف ، فهو يخالف الحكم الشرعي الوارد في هذا النص. كما على المسلم ألا يكون بخيلا، ولكن وسطا بين ذلك.

---

(١) سورة الأعراف آية ٣١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧ .

ويربط النص الإلهي أيضا بين الاعتدال في الإنفاق ، وبين شواهد الإيمان ، فالمدخن تنتفي عنه شواهد الإيمان ؛ لأنه غير معتدل ، مسرف في إنفاقه ، ومبذر لماله.

هـ- **قال تعالى** :"ولا تقتلوا أنفسكم ..... "[1] .

والتدخين هو نوع من القتل البطيء للنفس بإدخال السموم ، والغازات القاتلة ، والإضرار ، والأمراض التي تفتك بالجسم ، وتؤدي به إلى الهلاك .

والمحافظة على النفس من الضرر ، والمخاطر هو أمر مطالب به المسلم ، وعلى سبيل الوجوب .

ولنا التنويه هنا : بأن التدخين ليس هو سبب الموت ، والموت سببه فقط انتهاء الأجل ؛ ولكن المدخن بتعاطي التدخين إنما يأخذ بالحالات التي قد يتضمنها السبب ، وتؤدي به إلى الهلاك سواء المرض ، أو الموت .

والمدخن يعيش مريضاً طيلة حياته ، سقيماً ، عديم العافية ، والصحة ؛ فهو هالك فعلا ينتظر نهايته بالموت وهو ميت ولو مجازا ؛ لأنه غير سعيد في حياته يعاني آلام سقمه ، ومرضه ، واعتلال صحته ، ونتانة رائحته ، وسعاله ، وتنخعه ، وسواد أسنانه.

ثانياً : الأحاديث النبوية التي تحرم التدخين :

أ- عن أم سلمة "رضي الله عنه" الله عنهما : "أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" نهى عن كل مخدر ومفتر" رواه احمد ، والسيوطي.

والتدخين مخدر ، للأعصاب ، مفتر لها ، فهو يعجزها ، ويدعو الأعصاب ، وأعضاء الجسم إلى الكسل ، والتثبيط.

---

(١) سورة النساء آية ٢٩ .

والأخطر من ذلك فان التدخين ينبه الأعصاب ، ويحفزها على النشاط في أوقات راحتها ، وسكنها ، مما يثبط من قوتها ، ونشاطها عندما تعود إلى حالتها الأولى قبل التخدير.

والنص النبوي بالتحريم ثابت ، واضح ، وغير قابل للتأويل ، وإذا صح للبعض أن لا يصنف الدخان ضمن المخدرات ، فهو لا يصح له أن ينكر صفة التفتير له ، فالدخان يصنف ضمن المفترات بلا شك ، والمفتر منهي عنه ، فالدخان منهي عنه ، لأنه مفتر .

ب- قال "صلى الله عليه وسلم" ناهياً عن الانتحار :"من شرب سما ، فقتل نفسه ، فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، والترمذي ، واحمد والدارمي.

والتدخين سم ، يسمم الجسم بغازاته ، ومواده السامة الضارة .

والحديث النبوي يطلق السم على أي شراب سام دون تحديد .

وتقتضي الحكمة العقلانية الامتثال للأمر النبوي بعدم تعاطي السموم ؛ لان تعاطيها انتحار للنفس ، والانتحار حرام منهي عنه ، ولا يجوز للمسلم الإقدام عليه مطلقا ، وكفى بالمتعظ عبرة بهول العقاب لمن ينتحر ، وهو الخلود في جهنم أبدا .

اللهم إننا نستعيذك من نار جهنم ، ونستعيذك من أي ما يقربنا إليها من قول ، أو عمل. ولقد ثبت علميا أن التبغ نبات سام ، ويصنف ضمن النباتات السامة، فهو في حد ذاته مصدر سام ، وهو في حد ذاته وسيلة نقل للسموم إلى داخل جسم الإنسان .

ثالثا : القواعد الكلية الشرعية :

أ- قاعدة المحافظة على الضرورات الخمس : وهي الدين ، والنفس ، والمال، والعرض ، والعقل . فالمحافظة على هذه الضرورات الخمس ، تقتضيها القواعد الكلية الشرعية.

والمسلم مطالب بالأخذ بأسباب المحافظة عليها ، وصيانتها، وعدم تعريضها للخطر ، أو التلف ، والإهمال ، وعلى سبيل الوجوب ، وإلا فهو آثم .

والتدخين هو خرق لتلك القاعدة في الحفظ ، الصيانة لتلك الضرورات .

ففي التدخين أعتداء على الدين ، وحرماته ، بمخالفة أحكامه في الأمر ، والنهي. فالدين ينهى عن تعاطي الخبائث ، والتدخين من الخبائث .

والدين ينهى عن تعاطي المحرمات ، والتدخين هو في حد ذاته تعاط للمحرمات .

والدين ينهى عن تعاطي المضار ، والتدخين هو في حد ذاته تعاط للمضار .

والدين ينهى عن تعاطي السموم ، والتدخين هو في حد ذاته تعاط للسموم .

والدين ينهى عن قتل النفس ، وعن الانتحار ، والتدخين هو في حد ذاته قتل للنفس ، وهو انتحارها .

والدين ينهى عن التبذير ، والإسراف ، والتدخين هو في حد ذاته إنفاق في التبذير، والإسراف. وفضلا عن الاعتداء على الدين بعدم الالتزام بحلاله ، وحرامه ، فان التدخين فيه اعتداء على النفس ، وبإهلاكها ، وإضعافها، وقتلها .

والتدخين فيه اعتداء على المال بإنفاقه في التبذير ، والإسراف ، وكلاهما محرمان .

والتدخين فيه اعتداء على العرض حيث يحفز تعاطيه على التفريط بعرضه عند الحاجة إليه .

فالمدخن المدمن لا يصبر عن التدخين ، وهو يفـرط بعرضـه، ولا يتوانـى إذا اشتاقت نفسه إليه، ولم يجد ما يشتريه به من مال ، والأمثلة الإحصائية كثيرة ، وتتنـاول الشباب ، والفتيات معاً .

والتدخين ثبتت أضراره للبدن باليقين ، وبدون أية شكوك.

والتدخين ثبت ضرره على العقل ، بتخديـره ، وتثبيطـه ، وإثـاره ، وتوتـير أعصابه.

ب- **قاعدة الضرر** : والأصل في الضرر التحريم ، وتوصل الأحـاديث النبويـة حكم الضار سواء للنفس ، أو المال هو التحريم.

أما المكتشفات العلمية الحديثة فقد أكدت ، وبدون أدنى شـك الضـرر الكبـير ، والمضار ، والأخطار العديدة ، والفتاكة التي يسببها الدخان لجسم الإنسان .

ولقد اثبت العلم العلاقة الوثيقة بين الكثير مـن الأمـراض الفتاكـة كالسـرطان بأنواعه، والتي لم يجد العلم علاجا له حتى الآن وبين التدخين بل ، وكونه السبب المباشـر الأساسي للإصابة بها.

أمثله على الأمراض التي يسببها التدخين :

١- **السموم** : لقد حدد البرفسور "كومج" أهم هذه السموم ، وهي :

أ- النيكوتين : ونسبته ٠,٥ % من السيجارة الواحدة .

ب- النيكولتين : ونسبته ٠,٥ - ٠,٩ % من السيجارة الواحدة .

جـ- المبليريوم: ونسبته جزء واحد من ٣٠ مليون جزء من السيجارة الواحدة.

ويرى البرفسور "كوميج" أن مادة البليريوم هي التي تسبب السرطان ، وتـتراكم على الجدار الداخلية لشريان القلب فتحدث التصلب ، والجلطة الدموية ، وتفشي سـرطان

القلب. هذا ولقد ثبت علميا أن الدخان ليس فقط وسيلة لنقل السموم إلى داخل الجسم ، وإنما هو في حد ذاته سام ؛ ويصنف العلماء التبغ ضمن النباتات السامة فهو سام في ذاته ، وفعله .

ولنا القول : بان حجة المدخنين بان ضرر التدخين نسبي ، وهو ضار ويمكن تحريمه على المتضرر منه فقط هي حجة باطلة؛ لان نبات التبغ هو سام في حد ذاته ، والسام ضار حتماً ولذا فشربه حرام قطعاً .

٢- **السرطان** : حيث ثبت علميا أن العلاقة وثيقة جدا بين الإصابة بالسرطان، وبين التدخين ومنها :

١-سرطان الحلق .

٢-سرطان البلعوم .

٣-سرطان المريء .

٤-سرطان القلب .

٥-سرطان المثانة .

٦-سرطان الدماغ أو الرأس والذي يشارك في الإصابة به عدا التدخين : التوابل ، والمكسرات .

٧-سرطان الرئة .

٣- **فقر الدم** : بسبب فقدان الشهية مما يترتب عليها نقص الغذاء ، وبالتالي نقص البروتينات ، والفيتامينات ، والأملاح التي يحتاجها الجسم.

٤- **الجلطة القلبية** : نتيجة تراكم المواد السامة على الجدار الداخلية لشرايين القلب .

٥- **الهزال والشحوب** : يصاحبها ضعف في الإرادة ، والتحكم ، والقدرة .

٦- **التوتر العصبي** : حيث ينتاب العضلات العصبية توترات حادة متعاقبة خاصـــة بعـد انتهاء مفعول التدخين الوقتي .

٧- **النوبات العصبية** : حيث تصيب المدخن المدمن ، وفي حالات الانفعال ، والاستثارة ، أو عند فقدان الدخان .

٨- **الذبحة الصدرية** : تصاحبها حالات ضيق الصدر ، وصعوبة التنفس ، والآلام الحـادة في الصدر ، وفي المعدة ، وفي القلب .

٩- **التنخع ، والبصاق** : حيث يدمن المدخن على التنخع بمناسبة ، وبدون مناسبة. وكذلك البصق ، وأمام الناس ، وفي جميع المحافل ، والمناسبات .

١٠- **الروائح الكريهة** : التي تصاحب الإدمان على التدخين تفوح من فم المدخن لتـؤذي المستمعين له ، أو المجاورين له.

١١- **اسوداد الأسنان** : مع ما يصاحبها من تلف يشوه مظهرها ، وتسوس يساعد علـى تلفها .

١٢- **إضاعة المال** : وبدون أية فائدة ، ومن غير ضرورة ، ولا حاجة .

١٣- **سوء الأخلاق** : فالمدخن إنسان غير سوي سواء في تصرفاته ، أو سلوكه ، أو عدم التزامه بقواعد الصحة ، والسلامة التي تحض عليها قواعد الدين الحنيف .

كما أن التدخين يؤدي إلى سوء السلوك ، ومصاحبة الأشرار ، وارتياد محـلات الفسق ، والفجور ؛ لعلاقته الوثيقة بآثار تعاطي المخدرات السيئة ، وذات الآثار السـلبية على أخلاق المدمنين لها.

١٤- **ارتكاب الجرائم** : بالاعتداء على الأنفس ، والأموال ؛ وذلك بعد أن يكون التدخين قد طبع المدمن على سوء الأخلاق ، ومصاحبة الأشرار ، فضلا عن أن الحاجة إلى التدخيـن

قد تدفع المدخن الذي لا يملك المال إلى جرائم السرقة ، والقتل ، والاعتداء على العرض ، بل وقد يفرط المدخن بعرضه في سبيل الحصول على لفائف التبغ.

ولنا القول : بأنه وإزاء ما أوردناه من دلائل شرعية ، وضرورية على حرمة التدخين فان اقتناعنا اصبح كاملاً ، وتاما في أن التدخين حرام ، وانه يجب الابتعاد عنه، ويأثم من يقترفه – اللهم هل بلغت اللهم ، فاشهد .

وبالنسبة للضرر : يدعي البعض أن كثيرا من المدخنين لا يتضررون ، ولا يموتون من التدخين فكيف نعلل حرمة التدخين بالنسبة إليهم على الأقل ؟؟! .

الجواب على هذا سهل للغاية : فنقول :بان ضرر التدخين ثابت علميا ، وبدون شك، فمن شربه، أو تعاطاه، فحتما سيتضرر منه – أي أن السموم ، والغازات، وما تسببه من أضرار كلها تتواجد داخل جسم المدخن ، وأي مدخن ، ولكن قد تظهر أعراض المرض على بعض المدخنين ، وقد لا تظهر بالنسبة للبعض الآخر، فهل يعني هذا عدم حصول الضرر بالنسبة لمن لم يظهر عليه عرض المرض ؟؟ أبدا فالضرر حاصل ، وواقع .

وبعبارة أخرى : يجب أن نفرق بين المرض الذي يسببه التدخين ، وبين أعراض المرض . فأعراض المرض قد تظهر، وقد لا تظهر ؛ وعدم ظهورها لا يعني عدم الإصابة بها . وذلك كالأمراض الأخرى فقد تظهر أعراضها ، وقد لا تظهر عند البعض ؛ وفي هذه الحالة لا يجوز أن ننكر وجودها. فضرر التدخين موجود في جسم المدخن حتى ولو لم تظهر أعراضه أحيانا. ومن هنا فالتدخين حرام حرام حرام ، اللهم هل بلغت ، اللهم فاشهد ، سواء ظهرت أعراض مرض التدخين ، أم لم تظهر.

ست عشرة حقيقة :"فيه شفاء للناس" .

وتمثل هذه الحقيقة القيم الصحية الإيجابية لمشروب العسل ، وحيث تبلور هذه الحقيقة الحكمة الإلهية في تحليل الطيب ، النافع ، الشافي من المطعومات والمشروبات، ومنها العسل . إنّ الحكمة الإلهية في تحليل شرب العسل تؤكدها حقائق العلم الحديث ، والمتعلقة بالعسل ، وبحيث تكشف هذه الحقائق سر هذا المشروب، وما يحتويه من عناصر الغذاء ، والدواء التي تغذي الجسم البشري ، وفي نفس الوقت تداويه ، وتشفيه من الأمراض ، والأوجاع ، والأسقام .

لقد أكدت التحليلات المختبرية غنى العسل بعناصر الغذاء كالمعادن ، والفيتامينات، والبروتينات ، والسكريات ، والنشويات ، والحوامض ، وغيرها من العناصر التي تجعل من المأكول، أو المشروب طيبا إن وجدت فيه ؛ ولذلك حضت النصوص القرآنية على تعاطيها ، فقال تعالى :"يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون"(١) .

وقال تعالى :"ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"(٢) .

ويندرج تحت هذا النص تحليل كل طيب ، وتحريم كل خبيث من المطعومات والمشروبات ، إلى قيام الساعة.

ويقع على راس هذه الطيبات من المطعومات عسل النحل ، إذ يقول تعالى : "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلي

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون"[1].

إن حقيقة القيم الغذائية لعسل النحل تؤكدها الاكتشافات العلمية الحديثة للعناصر الغذائية المفيدة، والتي تدخل في تركيب العسل ، ومكوناته من سكريات ، وفيتامينات ، وأحماض ، وبروتينات، وحديد ، ومعادن ، وأنزيمات ، وغيرها .

ولعل الإعجاز القرآني في الحض على شرب العسل ، وتعاطيه ، وكونه فيه شفاء للناس يتأصل في جانبين:

الجانب الأول - الغذائي.

الجانب الثاني - العلاجي.

فبالنسبة للجانب الأول ، وهو الغذائي ، فان العلم الحديث يؤكد ، ويؤكد حقائقه، وخاصة المتعلقة بالعناصر الغذائية مرتفعة الفوائد للجسم البشري من فيتامينات، وسكريات، ومعادن ، وغيرها.

وبالنسبة للجانب العلاجي للعسل ، تأكدت صحة حقيقته في القرآن الكريم ، والسنة النبوية منذ أربعة عشر قرنا ؛ وعلى اعتبار ألا عبث فيما يقرره القرآن ، والسنة من قواعد صحية ، وغيرها . وفي نفس الوقت أضحت التجارب العلمية مستسلمة ، ومؤكدة للحقائق الصحية للعسل الواردة في القرآن، والسنة . ولقد أكدت التجارب التي أجريت على العسل في جامعة ليبزغ في ألمانيا أن نسبة الجلوكوز تبلغ فيه ما بين ٢٥-٤٠% وأن هذه النسبة تستعمل لعلاج الكثير من الأمراض ، وتشكل عنصراً رئيسيا في الكثير من الأدوية ، وكمغذ ، ومقو للجسم . ويستعمل كذلك في علاج التسمم البولي نتيجة

---

(١) سورة النحل ، آية ٦٨-٦٩ .

مرض الكبد ، وفي علاج الاضطرابات المعوية ، والمعدية، والتيفوئيد ، والحصبة ، والالتهاب الرئوي ، والسحائي الذي يصيب المخ .

ويستخدم أيضا لعلاج حالات الذبحة الصدرية ، وأمراض أخرى عديدة .

ولقد اثبت أحد الجراحين في مستشفى (نورفولك) في إنجلترا ، إيجابية العسل في قتل البكتيريا بوضعه على الجروح الناتجة عن العمليات الجراحية حيث يساعد على التئام الجروح(١) . وأعلن البروفيسور "كلود هيليو" الفرنسي أن عسل النحل الملكي له القدرة الكبيرة علي قتل الجراثيم(٢).

يقول دكتور عبد العزيز إسماعيل :"وإذا علمنا أن الكلوكوز يستعمل مع الأنسولين حتى في حالة التسمم الناشئ عن مرض البول السكري علمنا مقدار فوائده ، وأن القرآن الكريم لم يذكره بطريق المصادفة ، ولكنه تنزيل ممن خلق الإنسان والنحل"(٣) .

ولعل الحقيقة الإيجابية للعسل قد رسختها السنة النبوية أيضا ، حيث الوصف النبوي باستعمال العسل في العلاج. فقد شكى الأعرابي بطن أخيه للرسول "صلى الله عليه وسلم"، فأمره أن يسقى أخاه العسل. ثم شكى إلى الرسول "صلى الله عليه وسلم" عدم شفاء أخيه ، فقال له : صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، فاسقه العسل ثانية . وتكررت المحاورة للمرة الثالثة ، والرسول "صلى الله عليه وسلم" يطلب من الأعرابي دوامية الاستمرار في اسقاء أخيه العسل ، وبعدها شفي أخو الأعرابي من مرضه. عن أبي سعيد الخدري قال :"جاء رجل إلى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقال : إن أخي استطلق بطنه، فقال الرسول "صلى الله عليه وسلم" : اسقه عسلا ، فسقاه ، ثم جاءه ، فقال : إني سقيته عسلا، فلم يزده

---

(١) د. يوسف السويدي ، المرجع السابق ص٦٤ .

(٢) د. يوسف السويدي ، المرجع السابق ص٦٤ .

(٣) د. عبد العزيز إسماعيل المرجع السابق ، ص١٩٩ .

إلا استطلاقا ، فقال له ثلاث مرات ، ثم جاء الرابعة، فقال : اسقه عسلاً ، فقال : لقد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقا ، فقال رسول "صلى الله عليه وسلم" : "صدق الله ، وكذب بطن أخيك" فسقاه ، فبرأ"(١) .

مكونات العسل : تعكس فعالية العسل القوية سواء في المجال الغذائي، أو الدوائي قوة ، وتعقد، وتعدد مكوناته ، ومركباته ؛ ولعل هذا ناشئ من تعدد، وتراكيب الأزهار ، والثمرات التي يمتص رحيقها النحل .

قال تعالى :"ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون"(٢) .

فتلون العسل ناشئ من تلون الأزهار . فتراكيب العسل معقده ، ومتباينة ، ومكوناته عديدة ، ومتشابكة ، والى جانب الوظيفة العسلية يقوم النحل بوظائف معقدة أخرى هي في حد ذاتها معجزة وقف العلم حائرا بالنسبة لها .

فالنحل يقوم بتصنيع خلايا الشمع السداسية ، ويقوم بتصنيع غذاء ملكة النحل الذي لا يجاريه أي غذاء آخر سواء بالنسبة لقيمته الغذائية ، أو العلاجية .

ولقد أفضى التقييم العلمي الحديث لمكونات العسل ، وتراكيبه إلى توضيحات كثيرة منها :

١-يحتوي العسل على اكثر من سبعين مادة غذائية ، وعلاجية .

٢-يحتوي العسل على نسبة كبيرة من المواد السكرية الطبيعية المركزة ، ففي العسل حوالي (١٥) خمسة عشر نوع من السكاكر أهمها : سكر الفاكهة بنسبة ٤٠% وسكر العنب جلوكوز بنسبة ٣٠% ، وسكر القصب بنسبة ٤%.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي في سننه .

(٢) سور النحل آية ٦٩ .

٣-يحتوي العسل على أنزيمات أي خمائر تساعد على الهضم ، وأهمها : خميرة الشعير التي تحول النشا إلى سكر ، وخميرة القلابين التي تحول السكر العادي إلى سكر عنب ؛ وسكر فواكه، وخمائر الكاتلاز ، والبيروكسيداز ، والليباز .

٤-يحتوي العسل على اكثر الفيتامينات أهمية ، وفائدة، وأهمها : فيتامين أ المفيد للبصر ، وفيتامين ي، وفيتامين ب، وفيتامين ب٢، وفيتامين ب٣ ، ويسمى بحامض البانتوثيني ؛ وفيتامين ب٥ ، ويسمى بحمض النياسين ، وفيتامين ب٦، ويسمى بالبيرودكسيد ، وفيتامين ث ، وفيتامين ك .

٥-يحتوي العسل على نسبة كبيرة من البروتينات الضرورية لبناء الجسم ، وتوليد الطاقة .

٦-يحتوي العسل على نسبة كبيرة من الحموض الامينية ، والحموض العضوية كحمض النحل ، وكمشتقات الكلوروفيل .

٧-يحتوي العسل على مواد حيوية ، ومنعشة ، ومنشطة للجسم .

٨-يحتوي العسل على روائح عطرية تتنوع بتنوع روائح الزهور التي يمتصها النحل .

٩-يحتوي العسل على نسبة كبيرة من الأملاح المعدنية، وأهمها : أملاح الكلس، والصوديوم، والبوتاسيوم ، والمغنيزيز ، والحديد ، والكلور ، والفسفور ، والكبريت ، واليود، وتشكل هذه الأملاح ٠٠٢% اثنين بآلاف من العسل ، وتشكل أهم مكونات الخلية الجسمانية للإنسان .

١٠-يحتوي العسل على مواد علاجية ذات كفاءة عالية في قتل الجراثيم ، والميكروبات ، والتحام الجروح ، والتقيئات ، واهم هذه المواد الماء الاكسجيني .

١١-يعطي العسل طاقة حرارية كبيرة ، حيث أن كغم من العسل يعطي طاقة تقدر ب ٣٢٥ حرارية .

١٢-يحتوي العسل على هرمونات جنسية لها فاعلية كبرى على الإخصاب ومنها : هرمون الاستروجين .

١٣-اكتشف العالم الكيميائي الفرنسي :ألن كاياس" الراديوم في العسل يساعد في شفاء كثير من الأورام الخبيثة .

ميزات العسل :

للعسل ثلاث ميزات رئيسية :

الأول - انه غير قابل للعفونة ، والتلف .

الثاني - انه ذو قيمة غذائية كبيرة .

الثالثة - انه ذو قيمة علاجية كبيرة .

الميزة الأولى - العسل غير قابل للعفونة : وذلك للأسباب التالية :

١-لاحتواء العسل على مادة حمض النحل ، وهو من المواد المضادة للعفونة .

٢-لاحتواء العسل على السكر الشديد التركيز حيث تصل نسبته ٨٠% من مكونات العسل.

٣-لاحتواء العسل على مواد مثبطة لنمو الجراثيم ، والعسل هذا هو الطبيعي، والذي تصنعه النحلة ، ولهذا فان هذه الميزة يفقدها العسل الصناعي .

٤-لاحتواء العسل على مادة الماء الاكسجيني ذي الفعالية القوية في قتل الجراثيم .

٥-لاحتواء العسل على مواد مضادة لنمو الفطريات. وهذا ما يسمو بـــه علـــى المـــواد الغذائية الأخرى كالأطعمة المطبوخة ، وعصير الفواكه حيث تسمح بتكـــاثر ، ونمـــو الفطريات فيها .

الميزة الثانية – العسل ذو قيمة غذائية كبيرة : وذلك للأسباب التالية :

١-لاحتوائه على السكريات الشديدة التركيز .

٢-لاحتوائه على الخمائر ، والأنزيمات العديدة .

٣-لاحتوائه على الفيتامينات الغنية العديدة .

٤-لاحتوائه على البروتينات ، والحموض الامينية ، والحموض العضوية ، والمنشـــطات الحيوية .

٥-لاحتوائه على الأملاح المعدنية المفيدة ، والعديدة .

الميزة الثالثة – العسل ذو قيمة علاجية كبيرة : وذلك للأسباب التالية :

١-لاحتوائه على مواد مضادة ، وقاتله للجراثيم كالماء الاكسجيني .

٢-لتأثير محلول العسل الطبيعي الطازج ٥٠% و ٢٥% والفعال في إبادة الجراثيم ، ذات المناعة الكبيرة ، كالجراثيم المكورة ، والعصوية .

٣-لتأثير محلول العسل القديم ، والفعال في إبادة الجراثيم عدا المكورات العنقودية .

٤-للقدرة العجيبة للعسل على تعقيم الأنسجة ، وحمايتها من التحلل .

التقييم العلمي للقيمة العلاجية للعسل :

يؤصل العلم الحديث القيمة العلاجية للعسل ضمن تقييمين اثنين :

التقييم الأول – الدور العلاجي الوقائي للعسل .

التقييم الثاني – الدور العلاجي الشفائي للعسل .

التقييم الأول – الدور العلاجي الوقائي للعسل . يمكننا تأصيل هذا الدور ضمن علاقة العسل الوقائية ببعض الأمراض وأهمها :

١-علاجية العسل الوقائية لمرض السكري .

٢-علاجية العسل الوقائية لمرض الأسنان .

٣-علاجية العسل الوقائية لمرض السرطان .

٤-علاجية العسل الوقاية ضد أمراض الطفولة .

١- علاجية العسل الوقائية لمرض السكري :

لقد اثبت العلم حديثا قوة العسل العلاجية الوقائية ضد داء السكري ؛ وذلك بسبب احتوائه على مادة سكر الفواكه ، وبنسبة عالية تصل إلى ٤٠% من تركيبه . ولقد ثبت أن سكر الفواكه ، وعلى عكس سكر الطعام لا يضر مرضى السكر، فهو إلى جانب خاصيته في امتصاصه السريع من قبل الجسم المصاب بداء السكر ، فان سكر الفواكه يزود الجسم بما يحتاجه من الطاقة ، والسعرات الحرارية ، وفي نفس الوقت لا يزيد من نسبة الأنسولين ، أو السكر في الدم ، ولهذا فان العلماء ينصحون مرضى السكر بتعاطي العسل حيث يقيهم من تزايد نسبة اسكر ، أو الأنسولين في الجسم .

ويؤكد العالمان كيليان وتوبيانس أن تناول مرضى السكري لعشرين (٢٠) غم من العسل صباحا، و (٢٠) ظهرا لا يضرهم ، ولا يزيد من نسبة الأنسولين ، أو مستوى السكر في دمهم .

ولقد اثبت العالم "منكونسكي" من خلال تجاربه على الكــلاب أن للعســل فــائدة علاجية وقائية داعمة لأحماض الدم في وقاية الجسم من أمراض السكري .

وكذلك اثبت العالم البلغاري البروفسور "فاتيف" من جامعة فارصوفيا قدرة العسل التأثيرية ضد مرض السكري ، وذلك من خلال تجاربه السكرية على ٣٦ طفلا.

ولقد اثبت العلم حديثا وجود مواد شبيهة بالأنسولين في العسل لها قيمة كبيرة فــي استقلاب السكر ، وخاصة عند المصابين به .

٢- علاجية العسل الوقائية ضد داء نخر الأسنان :

لقد اثبت العلم حديثا قوة العسل العلاجية الوقائية ضد مرض تسوس الأسنان الـذي تسببه عادة العصيات اللبنية الموجودة في السكريات. فلقــد اثبــت العلمــاء وســبورنن ، ونويزيسكين ، وستار ، من خلال تجاربهم على فئة من الناس ، ولمــدة خمســة أســابيع ونصف أن ١٠٠% من الذين تناولوا العسل ، وبكمية ٧٠غم يوميــا لــم يصــابوا بنخــر الأسنان ، بينما وجدوا أن ٧٢,٧% من الذين تناولوا عسل صناعي ، أو ســكر طبيعــي ، وبكمية ٦٥ غم يوميا قد أصيبوا بنخر الأسنان ، وتفشت العصيات اللبنية في جميعهم .

وقد اثبت العلم حديثا أيضا أن للعسل فعالية كبرى في بناء الأســنان ، والعظــام، وكذلك في تبييض الأسنان ، وتخليصها من التلف خاصة إذا ما دعجت بالعسل الممــزوج بالفحم الطبي .

٣- علاجية العسل الوقائية ضد داء السرطان :

لقد اثبت العلم حديثا قوة العسل العلاجية الوقائية ضد أمراض السرطان؛ ولذا فهو يستعمل كعلاج وقائي ضد أمراض السرطان في مستشفى ايسلر للأورام الســرطانية فــي ألمانيا الغربية .

وقد اثبت العلماء أن نسبة إصابة النحالين بالأورام السرطانية ضعيفة جداً لا تتجاوز ٣٦% في الألف في حين إنها تزيد عند عمال تصنيع الخمور عن ٤,٦ بالألف أي بزيادة ١٣ ضعف تقريبا(١) .

٤- علاجية العسل الوقائية ضد أمراض الطفولة : لقد اثبت العلم هذه الميزة من خلال دور العسل في:

أ- يجنب الطفل أمراض الإسهال ، والاضطرابات الهضمية ، وسوء التغذية، وسوء التغذية، وسوء الامتصاص .

ب- انه يزيد من الكريات الدموية الحمراء في دم الطفل .

جـ- يجنب الطفل أمراض العفونات المعوية .

د- يساعد في بناء أسنان الطفل بسرعة ، وقوة .

هـ- يزود الطفل بفيتامين ب٦ ويساعده على امتصاص الكلس ، والمغنيزيوم.

التقييم الثاني : الدور العلاجي الشفائي للعسل : يمكننا تأصيل هذا الدور ضمن علاقة العسل الشفائية ببعض الأمراض وأهمها :

١-علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز الهضمي .

٢-علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز التنفسي .

٣-علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز العصبي.

٤-علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز الدموي.

٥-علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز البولي.

---

(١) كتاب : "مع الطب في القرآن الكريم" ، المرجع السابق . ص١٨٨ .

٦-علاقة العسل الشفائية بأمراض العين.

٧-علاقة العسل الشفائية بأمراض الأنف ، والأذن ، والحنجرة.

٨-علاقة العسل الشفائية بأمراض الجلد.

٩-علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز التناسلي الأنثوي.

١ – علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز الهضمي :

تساعد المواد الكيماوية في العسل على شفاء كثير من الأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي:

أ- يساعد العسل على الهضم بفعل الأنزيمات ، والخمائر التي يحتويها مثل حمض الليبان ، والكاتلاز ، والاميللاز .

ب- يفيد العسل في تخفيف الحموضة المعدية الزائدة ، وبالتالي في تنظيم معدلاتها .

جـ- يمنع العسل حدوث التخميرات ، والتعفنات المعوية ، بسبب احتوائه على حمض النحل ذي القدرة الكبيرة على قتل جراثيم الأمعاء.

د- يفيد العسل على علاج استطلاق البطن ، وهو الإسهال - وقد حدث أن المصطفى عليه الصلاة والسلام "كان يصف العسل لعلاج هذا المرض" .

هـ- يمنع العسل حدوث الإمساك خاصة الذي يحصل بعد العمليات الجراحية للأمعاء ؛ وذلك لما يحويه من مواد عطرية طياره ، ومنعشة تنشط حركات الأمعاء ، كما أن العسل يحتوي على مادة "الغلوكوسيد استراسيتل" التي تتحول إلى مادة "اوكسي ميثيل اتراكيون" في الأمعاء ، وهذه تكافح الإمساك .

و- يستخدم العسل في علاج القرحة المعدية - فقد جربت "البرفسورة خوتكينا" علاج القرحة الهضمية مرة بالأدوية العادية، ومرة بالأدوية العسلية ، وتبين : أن نسبة الشفاء من الأدوية العادية بلغت ١١% وبقي ١٨% من المعالجين بدون شفاء في حين تبين أن نسبة الشفاء من الأدوية العسلية بلغت ٨٤% وبقي فقط ٥,٩% من المعالجين بدون شفاء .

ز- يفيد العسل في سرعة التئام جروح المعدة ، وتهدئه الجهاز العصبي لها .

ح- يفيد العسل في معالجة معظم أمراض الكبد ، والصفراء حيث يغذي النسيج الكبدي ، كما يزيد من احتياطي الكبد من مولد السكر .

ك- وتبين أن العسل إذا مزج بغبار الطلع ، والغذاء الملكي تزداد فعاليته في تنشيط وظائف الكبد ، واستقلاب السكاكر ؛ وذلك لما يحتويه من هرمونات ، وخمائر ، ومضادات حيوية ، ولقد شخص العالم "كوخ" العامل الغليكوتيلي في العسل ، وتأثيره الفعال في تنشيط وظائف الكبد ، والقلب .

٢- علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز التنفسي :

تتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور التالية :

أ- يساعد العسل في شفاء أمراض السعال الديكي ، والتهاب الحنجرة ، والتهاب البلعوم.

ب- يساعد العسل في شفاء التهابات القصبات الهوائية ، والسعال ، ولهذا فقد أضافت الشركات الألمانية مادة العسل إلى شراب الملروزوم ، تحسينا لطعمه ، ويساعد في شفاء أمراض السعال ، والتهاب المقصبات .

جـ- يساعد العسل في شفاء أمراض الربو القصبي ، وذات الرئـة ، فيسـتعمل العسل بشكل ارذاذ مع كلور الكلس ، ومحلول الديمدرول (مضاد ميستامين) .

د- يساعد العسل في شفاء مرض السل ، حيث يزيد العسل من مناعة الجسم ضد الالتهاب السلي . وقد ثبت أن إعطاء ١٠٠-١٥٠ غم من العسل يوميا لمرض السل الرئوي يؤدي إلى تناقص السعال ، وزيادة خضاب الدم ، وبالتالي زيادة وزن الجسم .

٣- علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز العصبي :

وتتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور التالية :

أ- يفيد العسل في تهدئه توترات الجهاز العصبي .

ب- يفيد العسل في معالجة داء الرقص .

جـ- يفيد العسل في معالجة التهاب العصب الوركي باستخدام الملكائين .

د- يفيد العسل في معالجة داء اللمباجو بحقن محلول ملكائين ، وهو عسـل مـع نوفوكائين موضعياً .

٤- علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز الدموي :

وتتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور التالية :

أ- يفيد العسل في معالجة فقر الدم ، حيث يزيد من الكريات الدمويـة الحمـراء، وكذلك الهيموجلوبين .

ب- سيعوض العسل النقص في فيتامين (ك) اللازم لمكافحة نزيف الدم .

جـ- يقوي العسل عضلة القلب عـن طريـق سـكاكره السـريعة التمثيـل ، والامتصاص ، ويوسع الأوعية الكليلية .

د- يفيد العسل في تنظيم ضربات القلب .

هـ- يفيد العسل في معالجة التهاب عضلة القلب الدفتريائي .

و- يستخدم العسل بعد العمليات الجراحية كمنعش للقلب .

ز- يفيد العسل في معالجة قصور القلب المرافق ، أو غير المرافق للذبحة الصدرية.

٥- علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز البولي :

وتتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور التالية :

أ- يفيد العسل في علاج حالات القصور الكلوي ؛ لاحتوائه على البروتينات ، والأملاح المعدنية .

ب- يستخدم العسل كمدر للبول ؛ لكونه مادة سكرية مفرطة التوتر .

جـ- يستخدم العسل بعد مزجه بزيت الزيتون ، أو عصير الفجل ، أو عصير الليمون في إدرار ، وطرد الرمال البولية من الجسم .

٦- علاقة العسل الشفائية بأمراض العين :

وتتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور التالية :

أ- يفيد العسل في علاج التهابات حواف الأجفان .

ب- يفيد العسل في علاج التهابات قرنية العين مثل : التهاب القرنية التاكس ، والتهاب القرنية السلبي ، والتهاب القرنية الإفرنجي ، والتهاب القرنية التراخومي .

جـ- يفيد العسل في علاج تقرحات قرنية العين .

د- يفيد العسل في علاج حروق العين المختلفة ، وذلك بمزجه بمرهم البوسيد، أو زيت السمك ، وذلك لما له من تأثير واقي من الانتان .

هـ- يفيد العسل في تقوية البصر ، نظرا لما يحتويه من فيتامين أ : ولقد أكد هذه الفائدة الباحثان ماكسيمو نكو ، وبالوتينا .

٧- علاقة العسل الشفائية بأمراض الأنف ، والأذن ، والحنجرة :

وتتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور التالية :

أ- يفيد العسل في معالجة النزلات الشعبية مثل: الرشح، والأنفلونزا، والكريب، وحيث اثبت العلم أن النزلات الشعبية التي تعالج بالعسل تشفى خلال ثلاثة أيام.

ب- يفيد العسل في علاج التهابات الأنف الحادة .

جـ- يفيد العسل في علاج التهابات البلعوم ، والقصبات الهوائية ، وذلك بخلطة العسل المسماة بروكوبن .

د- يفيد العسل في شفاء التهابات اللوز المزمنة ، وخاصة بمزج العسل بالبنسلين.

هـ- يستخدم العسل في علاج الآفات التنفسية العلوية الضمورية : مثل التهاب الأنف الضموري ، والتهاب البلعوم الضموري .

و- يفيد العسل في علاج التهاب الجيوب الانفية المزمن .

ز- يفيد العسل في علاج التهاب الأذن الوسطى القيحي المزمن ، وذلك بالغسيل بمحاليل العسل المركز ٣٠% حيث له القدرة على قتل الجراثيم ، وتوقيف نموها : كالجراثيم العقدية ، والعنقودية ، والعصيات المرافقة لأمراض الأنف ، والأذن، والحنجرة.

ح- يفيد العسل في شفاء التهابات الفم القلاعية ، وذلك بالعلاج الموضعي لمدة خمسة أيام.

٨- علاقة العسل الشفائية بأمراض الجلد :

وتتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور العلاجية التالية :

أ- يساعد العسل في التئام الجروح الجلدية ، والجروح النسيجية ، بسبب احتوائه على مادة الغلوتاتيون .

ب- يساعد العسل على شفاء الجروح الجلدية الواهنة الناتجة عن طلق ناري ، وذلك بتطبيقه موضعيا بالتشديد الكهربائي .

جـ- العسل علاج للتقرحات الجلدية : مثل الدمامل ، والجمرة الحميدة ، والتينه العنقودية ؛ لأنه يوقف نمو الجراثيم ، ويغذي الجلد ، والأعصاب .

د- يفيد العسل كضماد للتغيير على العمليات القذرة التي تحتمل التلوث الجرثومي، كعمليات قطع الفرج .

هـ- يفيد العسل في علاج التقرحات الجلدية ، فيدخل في مركبات المراهم ، والكريمات الجلدية ، وتعالج التقرحات المزمنة بمزيج من خلطة العسل بنسبة ٤/٥ والفازولين بنسبة ١/٥ .

٩- علاقة العسل الشفائية بأمراض الجهاز التناسلي الأنثوي :

وتتأصل هذه العلاقة ضمن الأمور العلاجية التالية :

أ- يستخدم العسل في علاج التهابات المهبل : حيث يدهن جدار المهبل ، وعنق الرحم ، والأعضاء التناسلية الظاهرة بالعسل لمدة ٦ أيام تغسل قبلها بالماء الاكجسيني ، حيث تقتل الدويبات المشعرة بعد يومين أو ثلاثة ، وتزول الحكة ، وذلك بفعل مضاعفة العسل لحموضة المهبل.

ب- يفيد العسل في علاج الحكة الفرجية المعندة .

جـ- يستخدم العسل في التئام جروح الفرج ، وخاصة بعد العمليات الجراحية .

د- يستخدم العسل في التهاب المثانة الحاد ، وذلك بالحقن العسلي بنسبة ٣٣% مع محلول نوفوكائين بنسبة ٠,٥% .

هـ- يستخدم العسل في العلاج القيء الحملي - وذلك بحقن المرأة الحامل بمحلول الملكائين العسلي حقنا وريديا بطيئا حيث تظهر النتائج الشفائية بعد حقنتين، أو ثلاث.

و- يخفف الحقن العسلي الوريدي، وبتركيز ٤٠% من آلام المخاض، والولادة.

ثبت المراجع

كتب التفاسير

١-ابن جزي – تفسير التسهيل لعلوم التنزيل .

٢-ابن كثير – تفسير القرآن العظيم .

٣-أبو حيان – تفسير البحر المحيط .

٤-أبو السعود – تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم .

٥-الالوسي – تفسير روح المعاني .

٦-الخازن – تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل .

٧-الرازي – تفسير مفاتيح الغيب .

٨-الزمخشري – تفسير الكشاف .

٩-سيد قطب – تفسير في ظلال القرآن .

١٠-الصاوي – تفسير الحاشية على تفسير الجلالين .

١١-الطبري – تفسير جامع البيان .

١٢-القرطبي – الجامع لأحكام القرآن .

١٣-محمد علي الصابوني – تفسير مختصر ابن كثير .

كتب الأحاديث :

١-ابن ماجة – السنن .

٢-أبو داوود – السنن .

٣-احمد بن حنبل – المسند .

٤-البخاري – الصحيح .

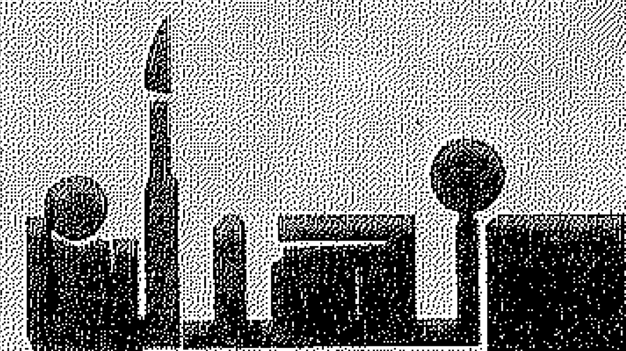
٥-الترمذي – السنن .
٦-مسلم – الصحيح .

الكتب العامة :

١-ابن تيمية – الفتاوي الكبرى .
٢-ابن قيم الجوزية – تحفة المودود بأحكام المولود ، وكتاب زاد المعاد .
٣-أبو بكر ثابت البغدادي – الفقيه والمتفقة جـ٢ .
٤-أنور الجندي – تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب ، والسنة .
٥-المقريزي – الخطط جـ٣ .
٦-سعيد حوى – الله .
٧-سيد قطب – معالم في الطريق .
٨-الشهر ستاني – الهيئة والإسلام ، وكتاب : أسس الصحة ، والحياة.
٩-صبري قباني – الغذاء لا الدواء .
١٠-الطبري – تاريخ الأمم ، والملوك .
١١-عبد الحميد ذياب ، واحمد قرقوز –مع الطب في القرآن الكريم .
١٢-عبد الرحمن حسن حبنكه – أجنحة المكر الثلاثة .
١٣-عمر فروخ ، ومصطفى الخالدي – التبشير ، والاستعمار .
١٤-عبد العزيز إسماعيل – الإسلام ، والطب الحديث .
١٥-غازي عناية – هدى الفرقان في علوم القرآن ، وكتاب : أسباب النزول القرآني وكتاب : إن التدخين حرام.
١٦-نادية شريف العمري – أضواء على الثقافة الإسلامية .
١٧-نبيل الطويل – الأمراض الجنسية .

١٨-مصطفى محمود - القرآن محاولة لفهم عصري .
١٩-وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى.
٢٠-يوسف السويدي - الإسلام ، والعلم التجريبي.

موضوعات الكتاب



المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران
للنشـــر والــتوزيع

تلفاكس : ٥٣٣١٢٨٩ – ص.ب: ٢١٢٤٣٧ – الرمز البريدي ١١١٢١ عمان الأردن